LIVE

الطبعة 4

محمد حياه

اعترافات جثة 2

الساديـــزم ـــــ روايـــة

دارك

ضياء
t.me/twinkling4

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.
اعترافات جثة (الساديزم2)
اسم المؤلف: محمد حياه
تصميم الغلاف: عبير طوسون
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2023/20946
الترقيم الدولي: 978-977-86449-7-5
صدر عام: 2020
طبعة: 2023

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

t.me/twinkling4

إهـــداء

«ابني العزيز».

لا أعرف هل ستكون حيًّا عندما تصلك تلك الرسالة أم أكون قد قتلتك قبلها، أو أتركك تقرأها ثم أقتلك، هذا لا يفرق معي فأنا يكفيني أنك شغلتَ حيزًا من تفكيري حتى أقرِّر أن أكتب تلك الرسالة لك، وتلك مكانة سوف يحسدونك عليها.

هل قرأتَ يا بني عن وصايا لقمان لابنه في الزمن الماضي القريب؟ لا تتعجل بالحُكم عليَّ وتظن أني سوف أذكرها لك في تلك الرسالة، فأنا لستُ حكيمًا بهذا الشكل المفرط لأكتب مثل تلك الوصايا، لكني أترك لك أعظم وصية آمنتُ بها جدًّا وآمَنَتْ هي بي بشدة، نعم أنا والدك السافل السادي الذي يتلذذ بدموع وآلاَم الآخرين، أنا المرادف الحي لكلمة نذل في المعجم العربي، أنا الذي تلذذت بقتل مشاعري في هدوء أخافها مني كثيرًا، أنا لا أخطئ أبدًا ولذلك أوصيك ألا تعتذر مهما فعلت، ولكن إذا جاء اليوم وضعفت وأصبح أحد شرايين قلبك نوعًا ما بشريًّا، وشعرت أنك مخطئ فاعتذر، نعم أنا من يقول لك ذلك لا تتعجب، يجب أن يكون لديك ثقافة الاعتذار، ولكن كن نذلًا حتى في اعتذارك، كن نذلًا حتى في اعتذارك».

إمضاء

عامر سمير المندراوي

المقدمة

يوجد أفراد كثيرون يرتكبون جرائم وهم يفهمون تمامًا ما يقومون به وعدم قانونيته، ولكنهم غير مصابين بأية مشكلات عقلية واضحة، إنهم عقلانيون ومَنطقيون، ولا تبدو عليهم أية علامات لأي إعاقة تُعلَم أو أعراض ذهانية.

ويمكن لبعضهم أن يكونوا جذابين في الظاهر، ويتمتعون بقدرٍ كافٍ من الذكاء يجعلهم جديرين بالتصديق عند معرفتهم لأول مرة، إنهم لا يسمعون أصواتًا في رؤوسهم، ولا يظنون أن هناك قوى خارج نطاق سيطرتهم وتأمرهم بارتكاب جرائم.

ولكنهم مرارًا وتكرارًا يؤذون الناس ويكذبون دون ندم أو وخز ضمير، ويمكن أن يكونوا عنيفين على نحوٍ غير متوقَّع، ويبدون غير قادرين على التواصل مع الآخرين بفعالية على مدار أي فترة طويلة.

ومن الحتمي تقريبًا أن تشكِّل الجرائم بمختلف أشكالها ملمحًا ثابتًا في حياة هؤلاء الأفراد.

من كتاب

«علم النفس الشرعي»/ ديفيد كانتر

أستاذ علم النفس بِجامعة هدرسفيلد

ألغـاز

حكايتنا كلها حواديت

بطلنا مخه حويط

تحسه خَلّف إبليس

اياك تِحسه عبيط

تلبس قوام في الحيط

خلانا كُلنا قراطيس

حكايتنا كلها ألغاز.. اياك لحظة تنحاز.. كدبة يأثر فيك

مش بإجابة سؤال.. تأمِن باللي اِتقال.. لازم تشوف بعنيك

خدنا يمين وشمال.. أول ما راق البال .. طلّع لسانه ليك

حدوتة مريبة غريبة

ناسها بعيدة وقريبة

اتظلموا أشكال وألوان

عاشوا مجني عليهم

وبلعبة جت رجليهم

اِتحطوا ورا القضبان

حكايتنا كلها ألغاز.. اياك لحظة تنحاز.. كدبه يأثر فيك

مش بإجابة سؤال.. تآمِن باللي اِتِقال.. لازم تشوف بعنيك

خدنا يمين وشمال.. أول ما راق البال.. طلَّع لسانه ليك

إهداء من الشاعر/ إسلام عيادة

قاتلي العزيز..

أظنك الآن لا تتفاجأ بهذا اللقب، هل صدقتني عندما أخبرتك من قبل أنك سوف تخلع بيدك الشرشف الأبيض البرَّاق الزائف الذي تتستر تحته، والذي ترتديه ليصنع منك شخصًا بريئًا يُعلِّق على كتفيه جناحي الملائكة الصناعي وتخلعه عنك وتلقي به في وحل إثمك وخطاياك، ثم تنظر لشي بعينين غاضبتين وتقرر بكل سهولة قتلي.

لا تكذب؛ لأن الأدرينالين بداخلك أفشى لي بغضبك ولم تستطع ستره بداخلك، لا تكذب فلقد قررت قتلي أو رأيت أني أستحق القتل على الأقل مرة واحدة، وهي كافية بالنسبة لي كي أثبت لك أننا جميعًا أبناء قابيل في النهاية نتلذذ بالقتل، سواء كان التفكير فيه أو تنفيذه، ولذلك جاء وقت عقابك على ما اقترفه عقلك السادي، فاحذر فأنت لا تعرف من أين سوف تأتي الطعنة؟ ومِن مَن؟ نصيحتي لك قاتلي العزيز «لا تثق في أحد».

إمضاء

توقيع رقمي مشفر

الفصل الأول

بث مباشر

6 ديسمبر 1964

حي الزمالك

منزل كبير يتميز أثاثه بالرقي والذوق الرفيع، وكان أكثر ما يثبت رُقيّه وجود جهاز التلفاز، مما يدل على ثراء أصحاب هذا المنزل بكل تأكيد في هذا العصر، بيت لأسرة صغيرة تتكوَّن من أب وأمٍ وطفلين، يعم الهدوء نسبيًّا المنزل إلا من غرفة صغيرة يُسدل الستار على نافذتها محاوِلًا حجب القليل من أشعة شمس الصباح التي سطعت منذ ساعتين، وبداخلها تقف الأم وهي سيدة في أوائل العشرين من عمرها تحتضن طفلتها الرضيعة التي تئن وتصرخ دون انقطاع منذ ظلام الليل، طفلة لم تتعدَّ الثلاثة شهور، تهزها قليلًا الأم بكلتا يديها، وهي تجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا محاولةً أن تنجح في أن تجعل تلك الرضيعة تغفو حتى ولو بضع دقائق قليلة، لكي تستطيع أن تريح جسدها المُنهك وعينيها الذابلتين، والذين عانوا معها منذ منتصف الليل وحتى الآن، ما إن سمعت أنفاس الصغيرة تنتظم ويتوقف أنينها الطفولي الرتيب، فتأملتها بدقة وهي تحاول أن تصدق عينيها إنها بالفعل غفت ونامت، فوضعتها برفق وحرص شديد بداخل فراشها الصغير، وتحركت للخلف كلاعبة باليه على أطراف قدميها، وما إن خرجت من الغرفة حتى

دخل من ورائها طفل كان يراقب ما يحدث من بعيد، كان يختبئ خلف المناشف القطنية المعلقة بجوار باب الحمَّام المقابل لتلك الغرفة، طفل لا يتعدى عمره الخمس سنوات، عيناه تشعان غضبًا وحقدًا لا يستطيع أن يسترهما، يقترب من فراش تلك الطفلة بخطوات ثابتة، ما إن وصل لفراشها حتى صعد عليه واقفًا بجانبها، يزفر غضبًا وهو يحدق فيها، دنا منها بخطوة واحدة، ثم رفع قدمه لتعلو فوق وجه تلك الطفلة النائمة، ولكن فجأة يسمع صوت والده ينادي عليه، فيعيد قدمه مرة أخرى وينظر لها نظرة تفوح بالكره الشديد، ونزل من الفراش وخرج من الغرفة مسرعًا متجهًا نحو باب الشقة ليجد والده ينتظره، ما إن دنا منه حتى نزل على ركبتيه واحتضنه بشدة قائلًا:

- عامر حبيبي، احرص أن تكون بصحة جيدة وقوي، أنت ابني، ابن سمير المندراوي باشا، وابني بالطبع هو أفضل صبي في هذا الكون، الذي لا يهاب من أحد مهما كان.

أمسك وجهه بين راحة يديه وأردف بجدية:

- من يغضبك أخبِرني باسمه وأنا سوف أجعلك تشاهده وهو يتذلل ويُقبِّل قدمك كي أرحمه فقط، وأنا سوف أتركك تشاهده هكذا حتى تخبرني «كفى يا أبي»، حبيبي أنت أقوى من أي شخصٍ مهما كان.

أشار بسبابته محذرًا:

- مهما كان، تذكَّر هذا جيدًا.

قبّله والده وتركه ورحلَ وهو يشعر بالسعادة والغرور بدرجة كافية ليشبع غرائزه الصغيرة، نظر لصورة والده على الحائط بشاربه المنتصبة أطرافه والذي يتشبه فيها بشارب جده المتوفي بالصورة التي تعلو صورة والده، وبعد لحظات من التأمل والفخر قرَّر أن يفتح الباب صاعدًا الدرج ليصل إلى سطح المنزل واتجه بخطوات ثابتة نحو شيءٍ في أحد أركان السطح، رفع غطاءً قماشيًّا ليظهر أسفله صندوق وَرَقي مقوَّى صغير مُفرغ سقفه بفتحات صغيرة، مدَّ يده بداخله وأخرج منه حمامة صغيرة يحتضنها بين راحة يديه، نظر لها بسعادة وأنارت عيناه ببريق الفرحة، أمسكها ودار بها دورتين حول نفسه، وجناحاها يستسلمان للهواء النابع من دورانهما هذا، وتحرك عظام جناحيها ليداعب الهواء ريشها الصغير فانتفض من مكانه، ثم توقف وقرَّبها من عينيه مبتسمًا، ثم نفخ في وجهها نفخة صغيرة دافئة، ومنها فردَ ذراعه وقذف بها لأعلى، فأطلقت جناحيها عاليًا وبدأت في التحليق للسماء بنشوة الحرية.

ولكن للأسف لم تدم تلك النشوة فلقد جذبها للأسفل مرة واحدة بحبلٍ كان يلفه حول إصبعه، حبل كان قد عقده من قبل في أسفل قدميها، وبسبب ذلك تسقط الحمامة الصغيرة من أعلى منجذبة بعنف للأسفل، حتى يصطدم وجهها الصغير بالأرض فتنتهي حياتها بسبب

تهشم رأسها، وترقد مكانها دون حراك لتلفظ أنفاسها الأخيرة، دنا منها ببطءٍ وجلس الطفل عامر على ركبتيه متأملًا تلك اللحظات وهو يضحك بنشوة وسعادة ومتعة بما أنجزه بتلك اللعبة التي ابتكرها.

***

2 أغسطس 2019

نهار يوم تنفيذ الحكم على المتهمين

توقف محمود صقر بسيارته بداخل مرآب قسم الشرطة يجلس بنشوة وتفاخر، ثم مدَّ يديه وأخرج محفظته من جيب سرواله وفتحها وأخرج منها صورة لفتاة صغيرة لا تتعدى الخمس سنوات من عمرها شعرها لونه ذهبي داكن يزيد وجهها الأبيض جمالًا وسحرًا تبتسم ببراءة الملائكة، فنظر لها وعيناه تلمعان ببريق الدموع محدثًا الصورة:

- أترين يا (جنّة) كيف أصبح والدك ناجحًا واستطاع أن يحل قضية صعبة جدًّا، وأصبحت مشهورًا بسببها، هذا غير أني استلمت قرارًا بنقلي إلى مكان أفضل، واليوم كان آخر يوم فعلًا في تلك القضية وفي مكاني القديم، أريدك أن تكوني سعيدة ونخورة بي وأن تعلمي أني أحبك جدًّا وسوف أظل أحبك دائمًا.

قبَّلها بحرارة ثم أعاد الصورة بداخل محفظته وخرج من السيارة وتحرك نحو القسم، صعد درَجه بفخر متجهًا لجمع أغراضه، فلقد تم نقله لمبنى مديرية الأمن، وكان لجهوده

في قضية مقتل عامر الفضل في ذلك، دخل مكتبه في نشوة الانتصار متأملًا هذا المكان الذي شهد تعبه وجهده الدؤوب في حل العديد من القضايا والتي كان آخرها قضية اللعين السادي عامر سمير المندراوي، نظر له مودعًا للحظات بطولاته في هذا المكان ليبدأ بطولات أخرى في مكان آخر، دخل خلفه (بكر) حاملًا له مشروبه الخاص، فجلس محمود مرهقًا على مقعد مكتبه يتلذذ بتناوله فلقد كان في أشد الحاجة له بعد أن عاد من حضوره لتنفيذ حكم الإعدام على المتهمين الستة صباحًا، حتى دخل عليه قنديل بظرف مغلق وسلّمه لمحمود ثم ألقى عليه التحية العسكرية وانصرف، تاركًا محمود يفتح الرسالة في استغراب ليجد مكتوبًا فيها ما يلي:

«حضرة الضابط محمود صقر

بعد السلام والتحية..

٨٨٨٨/٥٥/٧/٨٨٨٨/٣

٨٨٨٨/٣/٥٥٥٥/٣/٨٨٨٨٨

٣/٧٧٧٧/٦٦

٧/٨٨٨٨/٧٧٧

٨/٨٨/٧٧٧/٢٢/٧٧٧٧

٧٧/٥٥٥/٣/٥٥/٢٢/٩٩٩/٣

إمضاء

٢ي٥٧٧٢٥١٤

ما إن رأى التوقيع الرقمي المشفَّر أسفل الإمضاء حتى شعر بالريبة وتكاثرت الأفكار بداخل عقله وكأنه لا يريد أن يصدق ما بين يديه، ما تلك الرسالة المشفرة؟ ومَن صاحبها؟ وما فحواها؟ ولماذا ترسل له بشخصه؟ اشتد غيظه

فصاح غاضبًا:

- قنديل.

دخل قنديل سريعًا، فهو يعلم جيدًا أن سماع اسمه بهذه الطريقة معناها غضب عارم، ما إن عبر الباب بخطوتين حتى نهض محمود من جلسته وتقدَّم نحوه صائحًا:

- مَن سلَّمك هذه الرسالة؟

بلع قنديل ريقه وأجاب في تلعثم:

- أخبرني مكتب الاستعلامات أن هناك من سلمهم هذا الظرف وأخبرهم أنه يخص سيادتك، وكان مكتوب اسم سيادتك عليه كما ترى؛ ولذلك أرسله لي كي أسلمه لك، وهذا ما فعلته بمجرد وصولك، أقسم لك يا باشا هذا ما حدث.

اتسعت عينا محمود غضبًا وقفزت عضلات وجهه غيظًا وتبعها بزفرة ساخنة ثم أمرَه بالانصراف مشيرًا بيده للخارج دون أن يتفوه بكلمة، ثم عاد إلى مقعده مرة أخرى وهو يتفحص تلك الرسالة بعناية، محدِّثًا نفسه:

- ماذا تعني هذه الرسالة؟ ومَن الذي سوف يرسل لي رسالة بها لغز كهذا؟ عامر مات ودُفن ومن قتلوه رأيتهم يُعدمون أمامي صباح اليوم، إذًا من صاحب هذه الرسالة؟ يجب أن أصل لحل هذا اللغز حتى أفهم ما يدور من حولي.

ضرب بقبضة يده سطح المكتب غاضبًا:

- اللعنة عليك يا عامر، كنت أظن أني ارتحت من قضيته، وارتب حالي لكي أستلم مكتبي الجديدة بالمديرية.

نظر مرة أخرى للرسالة ثم أكمل حديثه لنفسه:

- يجب ألا يعرف أحد شيئًا بخصوص هذه الرسالة الآن، حتى أصل لمن أرسَلَها أو ما المقصود منها على الأقل.

نظر لها بتمعن أكثر ودقق فيها، ولكن كان للتوقيع الرقمي المشفر سحر في جذب انتباهه كثيرًا وكأنه يرى شيئًا آخر فيه، والتوقيع في النهاية يعني اسم شخص ما ولن يكون رقمًا بأي حالٍ، وأن الأرقام تلك تعني حروفًا إلى اسم شخص، ظلَّ يرفع الورقة ويقرِّبها من عينيه ثم يبعدها مرة أخرى فلاحظ شيئًا غريبًا، بسبب تلك الحركة قد تشوَّشَت الرؤية بعض الشيء فالتصق رقمان بهذا التوقيع أمام عينيه وهما ٧ و٧ ليرى أمامه وكأنهما يُكوِّنان حرف (س)، وبعدها بحرفين كتب حرف (ي) وهو الحرف الوحيد المكتوب بالتوقيع المشفَّر، بدأ يرى باقي الحروف التي كُتبت منفصلة لترسم شكلًا قريبًا من الحروف ولكن بتعديل طفيف فيها ليكون (رقم ٥ = حرف م) و(رقم ٢ = حرف ر)، اتسعت عيناه، وبدأت الصدمة تجتاح ملامح وجهه بعنف وتساءل بغضب:

- سمير؟! عامر سمير؟! كيف؟ لا عامر توفى، إذًا من

يلعب معي هذه اللعبة القذرة؟

أطاح بيده غضبًا ما يوجد على سطح المكتب من أدوات مكتبية وأوراق ودفاتر ليتناثروا أرضًا مُحدِثين فوضى عارمة، ونهض متجهًا نحو النافذة وفتح ضُلفها على مصارعيها وكأنه يشعر بالاختناق الشديد ويريد أن يستنشق الهواء، ثم ظلَّ يجوب المكتب ذهابًا وإيابًا في توتر وغضب، لكن بعد دقائق من التفكير قرَّر أنه يجب أن يحل شفرة تلك الرسالة، فالتقطها من على الأرض وعاد جالسًا إلى مكتبه محاولًا حلَّ شفرتها بنفسه، وهو كان من السابق يعتمد على زياد في حل تلك الألغاز ولم يتطرق لحلها منذ بداية تلك القضية، ولكن هذا السر يجب ألا يعرفه أحد، وهو يعلم جيدًا أن ما آلت إليه العلاقة بينهما بعد تلك القضية ليس بالشيء الجيد، فلقد تعمَّد عدم ذكر اسمه في أي شيءٍ يخص تلك القضية من قريبٍ أو بعيدٍ، برغم أنه كان له الفضل والعون الحقيقي في حل كل الألغاز ومنها استطاع أن يفتح الملفات المشفَّرة، ونسبَ كل هذا النجاح لنفسه في النهاية، فكيف سوف يلجأ له الآن.

أعاد كل ما مرَّ عليه من ألغاز في تلك القضية اللعينة، وحاول أن يتذكر ما كان يقوله زياد عن أسلوب عامر في وضع الألغاز من تفكيره وطريقته المتبعة إذا فرضنا من الأساس أن تلك رسالة من الممكن أن تخص قضية عامر بسبب هذا التوقيع اللعين، فلقد كان أسلوب عامر

يعتمد على ثلاثة أركان في وضع اللغز، وهم: إنه لا يكرر ألغازه سواء كلغز أو مفتاح اللغز، إذا أراد أن يستخدم علامة حسابية سوف يضعها في اللغز، الحل أو اللغز سوف يكون له علاقة بالشخص صاحب الملف. ومنها لاحظ عدة أشياء أولًا أن طريقة كتابة الرسالة مميزة وجديدة عن الألغاز التي مرَّت عليه في قضية عامر وهذا يثبت أول ركن، وثانيًا خلوّ الرسالة من أي علامة حسابية من ضرب أو جمع أو طرح أو قسمة، ثالثًا أنها تخص شخصًا سواء باللغز أو الحل، ولكن مَن هذا الشخص؟ أو يكون هو؛ لأن الرسالة بدأت بِاسمه وموجهة له بالتحديد، دقائق من التفكير التي لم تثمر بشيء مما جعله يقرر أن يلجأ لأحدٍ يساعده في ذلك، شخص يثق فيه بشكلٍ كبير، أمسك هاتفه الخلوي وطلب شخصًا ما في توتر:

- ألو، كيفك يا عمر، أريد أن أقابلك بشكل ضروري، جيد نصف ساعة وأكون عِندك.

أنهى المكالمة وزفر زفرة غاضبة وساخنة، ثم طوَى الرسالة المشفَّرة ووضعها في جيبه، وتحرك خارجًا من المكتب ليجد قنديل، ما إن رآه حتى وقف منتصبًا رافعًا يده بالتحية العسكرية، وقف بجانبه محمود وقال له بحِدة مشيرًا بسبابته إلى داخل غرفة مكتبه:

- أبلِـغ (بكر) أن يأتي ويرتب المكتب سريعًا، فأنا سوف أعود بعد ساعة بالكثير.

خرج من باب قسم الشرطة ووجهه ما زال يتعكر بمشاعر الغضب التي احتلته عن آخره، لا يريد أن يصدق ما يحدث. وصل لسيارته وتحرك في عجالة من المرآب، ليزداد غضبه أكثر بسبب انخراطه مجبرًا في زحمة الطريق المتكدس بالسيارات، مرَّ على حالته تلك أكثر من نصف ساعة ولم يصل لنصف المسافة حتى، ليتفاجأ برنين هاتفه، وما إن يمسك به ويلمح اسم المتصل عمر المنياوي حتى يفلت الهاتف من يده عن غير قصد ويسقط منه بأرض السيارة وتنكسر شاشته، مما جعله لا يستطيع الرد على الاتصال أو فعل شيء آخر به، فسار قليلًا وهو يلعن الهاتف ويسبّ يومه التعس هذا، حتى رأى بجانبه محلًا لصيانة الهواتف، فوقف بسيارته وترجل من سيارته نحو المحل وأعطى للبائع هاتفه وصاح فيه غاضبًا وبكل حِدة أمرَه:

- أريدك أن تبدل هذه الشاشة الآن.

شعر البائع بحجم الغضب الظاهر على وجه محمود ويتطاير من عينيه، فحاول أن يهدِّئ منه قليلًا:

- يمكنك أن تستريح حتى أعلم متى يمكن أن ننهي طلبك.

لم تنجح محاولته فضرب محمود طاولة العرض الزجاجية التي أمامه غاضبًا:

- أنا ضابط مباحث، ويجب أن تصلح هاتفي الآن، أنا أحتاجه بشكل ضروري.

عاد البائع للخلف قليلًا وهو يومئ برأسه مجيبًا:

- تحت أمرك يا باشا خمس دقائق بالضبط وأحضره لمعاليك.

أمسك البائع هاتف محمود ودخل إلى غرفة خلفية من خلال باب صغير في آخر المحل، وسلَّمه لأحد مهندسي الصيانة بالداخل وعاد مرة أخرى وهو يقف منتصبًا أمام محمود مبتسمًا في خوف، ومحمود يطقطق أصابع يده من ملل الانتظار، وظلت عيناه تجوبان المكان محاولًا عدم النظر لابتسامة البائع الزائفة، تفحص أجهزة الهواتف الحديثة المختلفة ومستلزماتها من سماعات وشواحن طاقة وأغطية، ولكن جاء عند طاولة عرض زجاجية صغيرة في آخر المحل، وتوقف عندها وانحنى بِظهره ودنا بوجهه منها في تأمُّل شديد، كانت تحتوي تلك الطاولة على عدة هواتف محمولة قديمة قبل انتشار الهواتف الذكية الحديثة هواتف وُضعت للزينة لأنها لا تعمل، بعد لحظات من التأمل اتسعت عيناه وانعقد حاجباه، وبدأت أنفاسه تتعالى ليعود بظهره منتصبًا، ظلَّ يتحسس جيبه باحثًا عن قلمه ومدوَّنته الصغيرة ليكتشف أنه تركها على سطح مكتبه وهذا لم يحدث معه من قبل، ولكن تخبط تفكيره وتوتره دفعه لذلك، وهنا صاح في البائع:

- أعطني ورقة وقلمًا بسرعة.

هرول البائع وأحضر ما طلبه محمود سريعًا، فأخذهما

محمود منه ووضعهما على سطح الطاولة أمامه وأخرج من جيبه الرسالة المشفرة وانحنى من سطحها وأمامه البائع يراقبه مستغربًا ولكن لا يتفوه بكلمة، ظل محمود يحدق بتلك الهواتف القديمة فلقد لاحظ أن لوحة المفاتيح التي تعود لتلك الهواتف كانت تتميز بأنها تحتوي على الحروف الأبجدية العربية والإنجليزية بمعدل من ثلاثة لأربعة حروف في كل مفتاح رقمي وتعتبر كلوحة مفاتيح كتابية، وكانت تكتب الحروف بعدد الضغطات على هذا الرقم بحسب ترتيب الأحرف بها، والرسالة المشفرة كتبت بنفس الطريقة تلك التي كانت تكتب بها الرسائل النصية عليه، ومنها علم محمود مفتاح هذا اللغز اللعين وبدأ يحل شفرة الرسالة، ولكن ما إن أنهاها حتى سقط القلم من يده من صدمة ما قرأه، فلقد كان فحوى الرسالة هو «النذل ما زال حيًّا، ولن يتوقف اعتذاره».

***

أمام أحد الميادين الكبيرة والمزدحمة دائمًا بالسيارات والمارة في وسط المدينة، يتواجد مبنى مديرية الأمن في الجانب الأيمن من هذا الميدان، وبداخل أحد المكاتب بقسم المباحث بمبني مديرية الأمن تجلس امرأة مسنَّة تنهمر بالبكاء رغم زِيها الأنيق إلا أن حزنها أُطفئ بريقه بكل جدارة، تعتصر منديلًا ورقيًّا بيديها المرتعشة أسفل عينيها الغارقتين بالدموع، وهي تهتز وتنتفض من البكاء، افترس الحزن ما بقي من نضارة بشرتها، ليزيد من شقوق

شيخوختها الكاسحة لجمال الماضي الذي يتوارى خلفه، تجلس على مقعد أمام مكتب كبير، تقع بجواره نافذة كبيرة يقف أمامها ضابط في أوائل سن الأربعين من عمره يتميز بنحافته الشديدة ورغم ذلك فتظهر عليه الصلابة، تنير جبهته العريضة بسبب لمعة انعكست من ضوء النهار المطل عليه من النافذة، وصلابة وجهه تجعلك لا تتخيل أن هذا الوجه قد يبتسم في يوم من الأيام، حاد الملامح بشكل مريب، وضِيق عينيه يجعلك لا تشعر أمامهما بالراحة وكأنه يتفقد كلَّ خلية فيك في كل نظرة تقع فيها عيناه عليك، كان يدخن سيجارته في هدوء وصمت، يلمح من بعيدٍ كلَّ حينٍ وآخر بكاء تلك السيدة، وكأنه يتحاشى أن ترى نظرته فتجذبه في حديث هو يهرب منه الآن، لحظات قليلة تمر على هذا الصمت وهو ينتظر ضابط زميله كان قد طلب الإذن منه في أن يجرى مكالمة هاتفية سريعة والتي ما إن أنهاها حتى لاحظه يدخل من الباب، وهو شاب في أوائل الثلاثين من عمره، يمتاز بالبنية القوية وعينين ضيقتين، وأنف حاد كهرمٍ مقلوب، وشارب أسود صغير، وشعر منمق بعناية وكأنه البنيان المرصوص يدنو منه بخطوات ثابتة وهو ينظر لتلك السيدة في شيء من الحزن والشفقة عليها، ما إن وصل له حتى أشار له الأول أنهما سوف يخفضان صوتهما ويتهامسان فيما بينهما خشية أن تسمعهما تلك السيدة فقال الأول للآخر:

- يجب أن تغلق هذه القضية يا عمر، لن يحدث أي

جديد فيها وهذا قراري النهائي.

- لكن يا طارق باشا من الممكن أن نجد أي شُبهة جنائية ضد أحد ممن حول الضحية.

كاد طارق أن يصيح فيه عاليًا، ولكنه انتبه لتلك السيدة وهدّأ من نفسه بإطلاق زفرة طويلة ثم أردف هامسًا بحدة:

- لا توجد فائدة مما تقوله، الضحية لها تاريخ مُسجل من العلاج النفسي لمرض الاكتئاب الحاد، وحادث انتحاره طبيعي جدًّا لمريض مثله حاول الانتحار من قبل ودخل المصحة.

أومأ عمر برأسه معلنًا استياءه، ربت طارق على كتفه وأردف:

- أعلم يا عمر أنك ترغب في مساعدة هذه السيدة، ولكن جديًّا أنا فعلت ما يمكنني بتلك القضية وكنت أنت معي خطوةً بخطوة، وإذا كان هناك ذَرَّة أمل تأكد أني لن أسكت، ولكن كما ترى لا يوجد جديد أمامنا.

أومأ عمر برأسه مجيبًا:

- عندك حق يا طارق باشا أنا أعلم جيدًا أنك لم تقصر في شيء يخص هذه القضية، ولكني كنت أحاول أن أُؤخر صدمة هذه السيدة بالواقع.

نظر لها عمر بنظرة ملؤها شفقة والحزن، ودنى طارق منه

و أخبره في هدوء:

- لا تقلق سوف أحاول جاهدًا أن أخبرها الحقيقة بأخف طريقة ممكنة، هيَّا بنا.

أشار طارق له نحو المكتب وتحركا هما الاثنان وجلس طارق على مقعده بالمكتب وجلس عمر أمام السيدة التي هدأ بكاؤها قليلًا، وبدأ طارق بالتنحنح ليلفت انتباها قليلًا، ونجح في ذلك فعلًا فلقد مسحت أنفها وعينيها بمنديل ورقي والتفتت نحوه، ثم أردف قائلًا في هدوء مع رسم ابتسامة مزيفة:

- كيف هي قَهوتك سيدة إلهام؟

- شكرًا، يكفي كوب من الماء.

قالتها وهي تقلل من انحناء ظهرها وتنتصب قليلًا ليكون وجهها مقابل لوجه طارق، وشفاها ترتعش من أثر البكاء والنحيب وأنفاسها العالية والقصيرة تسيطر على اضطراب جسدها، فيستجيب طارق سريعًا ويطلب هاتفيًا من عامل البوفيه إحضار كوب من عصير الليمون وكوب ماء بارد، ثم أردف قائلًا في كثير من الهدوء والاتزان وقليل من الجدية:

- سيدة إلهام، حضرتك كنتِ متابعة معنا كيف كانت خطواتنا في قضية ابنك الدكتور يحيى، ومن بداية هذا الحدث البشع وأنا وزميلي عمر المنياوي لم نذهب لنستريح في منزلنا يومًا، تحركنا على أن الجريمة مُدبَّرة وأن حادث

حريق الشقة ووفاة الدكتور يحيى محروقًا هذا بفعل فاعل، وقمنا بالتحقيق مع كل شخص كان يعرفه الدكتور يحيى أو من الممكن أن يكون مشتبهًا به.

مدَّ يده وأخرج من دفتر ورقي أمامه على المكتب ورقتين وبدأ في النظر لهما وهو يشير بسبابته إلى بعض النقاط فيه وقال في صرامة:

- انتظرنا تقرير الطب الشرعي والذي أثبت أن لا توجد أي أثار للاقتحام من الخارج سواء كانت النوافذ أو الباب وهذا يعني من دخل الشقة معه المفتاح، هذا غير أنه لا يوجد أي آثار عنفٍ أو ضرب في مسرح الجريمة دليل على المقاومة، إلا كدمة خفيفة أسفل رأس الدكتور يحيى والتقرير يتوقع أنها ناتجة من الهياج العصبي الناتج من شعور الاحتراق على جسد الإنسان، ولكنهم اكتشفوا أن الدكتور يحيى كان قد تناول أحد المسكنات شديدة التخدير وبالفعل عثروا على بقايا حقنة كانت في يده، أنا لا أريد سوى أن أخبرك أننا فعلنا ما بوسعنا في تلك القضية وكنا نأمل أن نصل لشيءٍ يرضينا ويرضيكِ ولكن للأسف...

نظر طارق لعمر الذي هرب من عينيه ناظرًا للأسفل ليعود لها فيجدها منتبهة بشدة له واتسع جحوظ عينيها وبدأ العرق يقفز من خلايا وجهها الشاحب، هذا جعله يتردد قليلًا ثم قرَّر أن يكمل بنفس الهدوء:

- للأسف سوف تغلق القضية لعدم وجود مشتبه به،

وسوف تُدوَّن كقضية انتحار، بأن الدكتور يحيي أشعل النيران في نفسه وفي شقته التي ورثَها عن والدك، والذي دعم هذا القرار تاريخ الدكتور يحيي في المرض النفسي، وقد أثبت ذلك مُديره بالمستشفى أنه انقطع عن العمل بسبب مرضه النفسي لفترة طويلة، ولقد حاول أن يمنحه فرصة أخرى بعد أن امتثل للشفاء ولكن كانت النتيجة غير متوقعة تمامًا، العودة للعمل لم تساعده بل بالعكس عقَّدت الأمور أكثر ووصل في النهاية أن يأخذ قرارًا صعبًا مثل هذا القرار وهو أن ينهي حياته بتلك الطريقة البشعة والمؤلمة.

كانت تنصت له وهي تشعر بوخز في صدرها تقلصت معه ملامحه وجهها دون أن يلاحظها عمر أو طارق الذي أردف:

- هذا غير تقرير طبيبه النفسي الذي لا يعتبر سوى إثبات على تلك النقطة؛ لأنه أضاف في التقرير الخاص به أن مرض الاكتئاب النفسي الحاد الذي أصيب به الدكتور يحيي دفعه للانتحار عدة مرات في الفترة التي سبقت عودته للعمل، هذا غير أننا عثرنا على آثارٍ لأوراق مالية محروقة قد تم ثقبها قبل الحرق بآلة الثقب الإلكترونية (الشينيور)، وهذا فعل ليس عقلانيًّا بالمرة مَن يحمل هذا الكم من المال يقرر أن يثقبه ثم يحرقه ثم يحرق نفسه.

نظر لها في حزن وأسى وأردف:

- أنا آسف جدًّا، ولكن هذا أمر الله وحضرتك مؤمنة وبالتأكيـــ..

هنا تفاجأ طارق وعمر بسقوط رأس السيدة إلهام لتستقر على صدرها، فنهض عمر مفزوعًا نحوها محاولًا إفاقتها، مناديًا عليها بخوف:

- أستاذة إلهام.

كررها مرتين ولكنها لم تردّ، فحاول أن يربت على كتفها برفق ولكنها لم تستجِب له أيضًا، فانحنى قليلًا وأمسك بمعصم يدها لحظات ثم عاد واقفًا منتصبًا وعيناه تنظران بحزن لطارق الذي هرول من جلسته بجانبه:

- ماتت يا طارق باشا، لم تتحمل الخبر.

***

جلس محمود متوترًا بداخل أحد المقاهي الحديثة نوعًا ما والتي تقع بالجهة المقابلة لمبنى مديرية الأمن، جلس إلى طاولة بالطابق الأعلى بها، طاولة بجوار الحائط الزجاجي الشفاف الذي يطل على الميدان المزدحم بالسيارات، ويكشف أيضًا مدخل البوابة الرئيسية لهذا المبنى الأمني العتيق، يتابع محمود من يعبر تلك البوابة خروجًا أو دخولًا في توتُّر وقلق لم يستطع إخفاءهما، طقطق أصابعه عدة مرات وأمامه على الطاولة يوجد كوبان فارغان من عصير الليمون الخاص كما يفضله، ومن الواضح أنهما فشلا في جعل حالته أفضل، وتستمر حالته هكذا لأكثر من نصف

ساعة حتى رأى عمر المنياوي يعبُر البوابة خروجًا قادمًا نحو المقهى، وعمر يعتبر لمحمود معلِّمه وأخاه الكبير ومصدر ثقة كبيرة له، لحظات قليلة حتى لاحظ عمر قد صعد الدرج الداخلي بالمقهى وقادم نحوه ووجهه مليء بالإرهاق والتعب، نهض محمود من مكانه مُرحِّبًا به وهو يشير له بالجلوس بجانبه:

- ما بك يا عمر؟ أراك منهكًا تمامًا.

- مشكلة ما قد حدثت في مكتب المقدِّم طارق أباظة.

قالها عمر وهو يجلس ويلقي بهاتفه وحلقة المفاتيح الخاصة به على الطاولة وعيناه مليئتان بالحزن، أثار هذا فضول محمود الذي أردف بسؤاله في خوف:

- خير يا عمر؟ ماذا حدث؟ طمئني.

نظر له عمر ثم أشار بيده أن يتمهل عليه قليلًا، ثم رفع يده وطلب من النادل كوبًا من القهوة السادة، ثم عاد بنظره لمحمود مرة أخرى وزفر زفرةً عاليةً وأردف بنبرة ملؤها اليأس:

- طبيب شاب يدعى يحيى تم العثور عليه محروقًا في شقته، ومن خلال التحقيقات لم نجد أيَّ شُبهة جنائية، وكان الطبيب في السابق بداخل مصحة نفسية، وهذا كان السبب الرئيسي الذي استند إليه طارق باشا في أن يقرر غلق القضية بشكل نهائي كقضية انتحار وكذلك لعدم وجود دليل يعكس ذلك، وللأسف حاول طارق باشا

إخبار والدته بذلك، ولكنه لم يكمل حتى سقطت وفارقت الحياة بسبب أزمة قلبية وجاءت الإسعاف ونقلتها وكان هذا سبب تأخيري عليك، اعذرني.

هنا قاطعه محمود متسائلًا بكثير من الريبة:

- لحظة! أنت تقول إن الضحية التي حُرقت تعود لشخص اسمه يحيى؟ هل كان يعمل كطبيب تشريح؟

رفع عمر حاجبيه مستغربًا وأردف وهو يومئ برأسه مجيبًا:

- نعم، أنت تعرفه؟

أكمل محمود في حماس:

- وكان يدير قسم التشريح في مستشفى غرب؟

اتسعت عينا عمر وازداد فُضوله وسأله:

- نعم، وماذا تعرف عنه غير ذلك؟

ابتسم محمود ساخرًا من سؤاله ثم أردف ببعض من الجدية:

- أنا قادم إليك بسبب له علاقة به من الأساس.

- كيف؟

قالها عمر في تعجب رافعًا حاجبه الأيسر عاليًا، منتظرًا أن يروي محمود فضوله الظمئ والذي بدأ وأردف مسترسلًا:

- الدكتور يحيى عزمي عبادة، هو الطبيب الذي قام

بتشريح جثة عامر سمير وقضيته التي كنت أعمل عليها طيلة الفترة السابقة، والتي ساعدتني في التحريات عنها، وهو كان من أثبت بتقريره القضية على المتهمين الستة، والغريب أن اليوم هو يوم تنفيذ الحكم بالإعدام عليهم وقد حضرت تنفيذه بنفسي صباح اليوم، ولكن ما إن عدت لمكتبي كي أنقل أغراضي لمكتبي بمبنى المديرية هنا تفاجأت بأن هناك مَن ترك هذه الرسالة لي.

هنا أخرج محمود من جيبه الرسالة المشفرة فاردًا طياتها على سطح الطاولة التي أمامهُما ودنا منها عمر بوجهه يتفقدها ونظر لها باستغراب ودهشة، ثم عاد بنظره لمحمود الذي أردف حديثه بجدية:

- لقد استغربت مثلك عندما رأيتها في بادئ الأمر، ولكن الآن سوف يتملكك الاستغراب أكثر عندما تعلم ما علاقة هذه الرسالة بالقضية، الإجابة هنا.

في تلك اللحظة أشار بسبابته نحو التوقيع الرقمي وأردف أمام عمر الذي يتابعه بتركيز شديد:

- حاولت عدة مرات فك تلك الشفرة، ولكن تأتي الصدفة أن أنتبه أن الأرقام هي عبارة عن حروف مكتوبة بشكل قريب من الأرقام كأسلوب تمويه، حتى يكون في النهاية التوقيع هو «عامر سمير» اسم الضحية.

عاد عمر بظهره للخلف وعقد حاجبيه معلنين صدمتهما وانتصب بظهره جالسًا واتسعت عيناه وهو منصت لما يقوله

محمود الذي أردف:

- القادم سوف يصدمك أكثر، وأنا في طريقي لك سقطَ منِّي الهاتف وانكسرت شاشته مما اضطرني أن أتوقف لأقرب محلّ لصيانة الهواتف لِتصليح الشاشة، وهناك اكتشفت أن شفرة الرسالة هي لوحة مفاتيح الهواتف النقالة القديمة والتي كنّا نستخدمها في كتابة الرسائل والنغمات بالأخص، حتى يكون نَص الرسالة في النهاية هذا.

أخرج محمود من جيبه الآخر ورقة صغيرة كان قد أعطاها له بائع محل الصيانة وكتب عليها حل اللغز ووضعها بجوار الرسالة في اتجاه وجه عمر ليقرأها، والذي مدَّ يده وأمسكها بتمعن، وما إن أنهى قراءتها حتى قال مستغربًا:

- وماذا تعني؟

ضرب محمود بقبضة يده الطاولة وقال بشيء من الغضب:

- هذا ما جئت من أجله لك، لأني لا أعرف ماذا أفعل، القضية انتهت والمتهمون قد نُفذ فيهم الحكم، والضحية ماتت منذ أكثر من أربعة شهور، ماذا يعني أن تصلني رسالة موقعة باسمه ويخبرني فيها أنه ما زال حيًّا، أنا لا أعلم ماذا أفعل، إذا علم أحد بهذا الموضوع فسوف يكون قرار نقلي في خبر كان ومن الممكن أن أُتهم بالتقصير، وفي نفس الوقت أريد أن أعرف من مرسل هذه الرسالة؟ وكيف يكون القتيل حيًّا؟ إذًا مَن الذي تم

تشريحه ودُفن؟

هنا أشار له عمر بسبابته مؤكدًا:

- هذا هو الذي يجب أن تبدأ به، أن نتأكد من الذي دُفِنَ هو عامر أم لا، لأن الآن في يدك دليلًا يثبت بشكل ما أنه ما زال حيًّا، ومهما كان قليلًا ولكنه يزرع الشك بكل تأكيد، ولذلك يجب أن تصل إلى المعلومة الصحيحة المؤكَّدة التي سوف تبني عليها باقي خطواتك القادمة، ونصيحتي لك أن تتحرك بشكل قانوني أفضل، بلغ اللواء بهنسي بكل ما حدث وتحرك في إجراءات إخراج الجثة وتشريحها مرة ثانية حتى تغلق باب الشك باليقين، وبكلامك هذا أكدت على إحساسي بأن قضية الدكتور يحيي بها شيء غامض، وهذا سوف يجعلني أنظر للقضية بنظرة أخرى، ولكن هذا كله ينتظر وصولك للإجابة عن السؤال الأهم، وهو هل عامر حيٌّ أم ميّت؟

نظر له محمود قليلًا ثم أردف في تردُّد:

- هل هذا ما تراه مناسبًا لي، بأن أؤخر قرار نقلي بيدي؟

أومأ عمر برأسه مجيبًا:

- صراحةً نعم، لن تستطيع أن تفرح يا محمود بنقلك، وأنت لا تفهم المجريات والفضول يقتلك، ولن تكون مرتاحًا أنا صديقك وأعرفك جيدًا، ولا تنسَ أن الذي أرسل لك الرسالة أرسلها لك أنت حتى مكتبك وباسمك، وهذا يعني أنه يقصدك بشيء ما ويرغب في أن تصلك

ويجب أن تعرف جيدًا ماذا يريد منك، وإذا أهملت الموضوع لا يمكن أن نتوقع تصرفه مثلما أرسلها فهو يعلم جيدًا من الذي يمكن أن يرسلها له وينال هو مكافأته، فماذا سوف تفعل حينها.

نظر له عمر وهو يربت بيديه على كف يده محمسًا إياه ثم أردف حديثه مرة أخرى في تودد:

- أن يكون ردك هو الهجوم على عدوك أسهل بكثير من أن تنتظره مكانك كي تدافع فقط؛ لأن في الهجوم تملك فُرصتين: الفوز أو الرجوع للخلف كهُدنة نسبية تصحح فيها موقفك لتعود مرة أخرى، لكن في وضع الدفاع ليس أمامك سوى فرصة واحدة وهي الفوز؛ لأن الفرصة الثانية لن تكون أنت صاحب القرار فيها.

نظر له محمود مفكرًا ثم أومأ برأسه مجيبًا واتسعت عيناه وقلّت حدة وجهه كثيرًا:

- حقًّا ما قلته، أنا لن أكون مرتاح البال إذا سكتّ، سوف أذهب الآن إلى اللواء بهنسي وأخبره بكل شيء وأنه يجب أن تفتح القضية مرة ثانية بعد أن أقنع النيابة بذلك والأهم فتح قبر عامر كي نحلل جثته.

نهض محمود ودنا من عمر الذي نهض هو الآخر ليصالحه عمر:

- وأنا بجانبك في أي وقتٍ يا محمود، هاتفني متى تريد.

- أنت صديق مخلص وأخ عزيز حقًّا يا عمر.

أنارت وجه عمر ابتسامة وكأنه يتذكر شيئًا ما بقوله:

- والدي قالي لي وأنا صغير «الصديق مثل العكاز الخشب، يجب أن يأتي من شجرة قوية وأصيلة، حينها فقط تستطيع أن تتعكز عليه، ابحث دائمًا عن العكاز المتين، وكُن لغيرك عكازًا أصيلًا».

- عنده كل الحق فيما قاله الله يرحمه، اللهم يديمك عليَّ نعمة.

قالها محمود حاضنًا عمر ثم غادر المقهى وتركه بها يكمل قهوته، واتجه مباشرة للواء بهنسي وأخبره بكل ما حدثَ والذي تفاجأ بما قاله وأثنى عليه أيضًا، لأنه فضَّل أن يخبره ويخاطر بنقله وترقيته التي سوف تتأخر بكل تأكيد ومن أجل ذلك، ووعده أنه سوف يساعده ويدعمه عند الرؤساء فور انتهائه من تلك القضية وغلقها مرة أخرى، وبالفعل بعد ثلاثة أيام تم فتح القضية مرة أخرى واستلم إذنًا من النيابة بفتح قبر عامر ووضعه تحت التحليل للتأكد من شخصه وإثبات وفاته بشكل نهائي لا يدع للشك، على أن يتم ذلك في سرية تامة بعيدًا عن الإعلام والصحافة، هروبًا من الهجوم بالتقصير والإهمال، ويكفي ما سببته تلك القضية من ضغوط عليهم منذ بداية البث اللعين على موقع الفيسبوك حتى يوم النطق بالحكم.

وبداخل إحدى المقابر الكبيرة والتي نقش على لوحة

كبيرة من الرخام بجوار بابها «مقابر عائلة المندراوي» يقف محمود على باب المقبرة الداخلية والتي أُزيح غطاؤها جانبًا، وبجانبه جنديان شرطة للحراسة ومُحضِر من النيابة كي يثبت واقعة فتح المقبرة، واثنان من المسعفين بوزارة الصحة كي ينقلا الجثة إلى المشرحة، الجميع ينتظرون خروج اللحاد (دافن الموتى) ومساعده حاملين جثة عامر، وأثناء هذا الانتظار المريب رن هاتف محمود ليجده اللواء بهنسي فقرر ألا يجيبه الآن حتى يستلم الجثة ويخبره بذلك، ولكن ما إن انتهى رنين هاتفه ليجده يتصل به مرة أخرى فازداد توتر محمود أكثر وصاح غاضبًا في مَن بالأسفل:

- هل سوف نبيت هنا اليوم؟ هيَّا أخرج الجثة، أسرِع وركز في عملك وتوقف عما تتناوله على الريق صباحًا.

ظهر من فتحة القبر في وسط الظلام بالأسفل رأس اللحاد مجيبًا في عدم تركيز:

- يا باشا لا يوجد هنا غير جثة رجل واحد فقط.

- وما في ذلك؟ أنا لا أريد سواه.

بدأ الرجل في الصعود عدة درجات وهو يشير للأسفل وقال وملامح وجهه تعلن الغرابة:

- يا باشا الرجل الذي بالأسفل لقد دفنته منذ عدة أيام أنا متذكر هذا جيدًا، جاء ومعه جثة سيدة أخرى على ما أظن عمته، جاءوا لي بعد تنفيذ حُكم الإعدام عليهما، وسيادتك تخبرني بجثة الرجل الذي دفن منذ أربعة شهور،

وبالأسفل لا يوجد له أثر.

قتلت صدمة تلك الكلمات محمود وشعر وكأن قد جُفَّت الدماء بداخل عروقه، ليُباغته هاتفه برنينه المفزع ليجد اتصالًا ثالثًا من اللواء بهنسي فقرر أن يردّ عليه محاولًا أن يجد طريقة ما ليخبره بتلك الكارثة، وما إن فتح المكالمة حتى وجد اللواء بهنسي يصيح فيه:

- أين أنت يا محترم؟ لماذا لا ترد عليَّ؟

أجابه محمود في تردُّد وخزي:

- أنا أفتح قبرَ عامر سمير معاليك، لإخراج جثته ولكن للأسف لا أعرف ماذا أقول لحضرتك، للأسف لم نجد جثته بالقبر.

ردَّ عليه اللواء بهنسي بغضب بنبرة ساخرة:

- بالطبع لن تجده بالقبر؛ لأنه يظهر أمامي بالتلفاز في بثٍ مباشر يا حضرة الضابط.

***

الوقت الآن الثالثة عصرًا وقد أصبحت حرارة الشمس شديدة، وبداخل مسكن فندقي يمتاز ببعض الرفاهية من الأثاث الحديث على الطراز الأوروبي والأجهزة المنزلية المتطورة وجهاز (التكييف) إله التبريد عند البشر في تلك الأيام، أثاث لمنزل عصري صغير وهادئ كثيرًا، بداخل غرفة الجلوس التي لا يجلس فيها سوى رجل في

نهاية الثلاثين من عمره ممتلئ الجسم قليلًا أبيض البشرة، وجهه الدائري يوحي بالبشاشة، عيناه ضيقتان بعض الشيء لكنهما تنمان عن الحدة والصفاء، يرتدي عوينات بدون إطار لها فلا تلاحظها من الوهلة الأولى، شعره أسود كثيف تعكر ظلامه خصلات رمادية اللون بالجانب الأيمن من أعلى جبهته، وكأنها جزيرة ثلجية في محيط أسود، يجلس على مقعد جلدي عريض مائل الظهر قليلًا، ويمسك بين يديه كتاب «علم النفس الجنائي»، والذي اجتمع في كتاباته ثلاثة من أساتذة علم النفس في الوطن العربي وهم الدكتور محمد شحاته ربيع والدكتور جمعة سيد يوسف والدكتور معتز سيد عبد الله، وبالرغم من أنها ليست المرة الأولى التي يقرأ فيها هذا الكتاب ولكنه يلجأ له كل فترة وأخرى، فلقد قرأه عدة مرات بنسخته العربية والإنجليزية وهو يدرس للحصول على درجة الماجستير من جامعة تكساس.

يجلس بجوار قدميه كلب يمتاز بشعره الذهبي الكثيف فهو من النوع «جولدن ريتريفر» الإنجليزي الأصلي، يشاهد التلفاز بصوته المنخفض باهتمام شديد، لا يُحدث ضجة أو يلهو أو ينبح وكأنه يعلم أن صديقه الآن يحتاج للتركيز والهدوء، ولكن لم يطل هذا الهدوء كثيرًا فلم تمر لحظات حتى اشرأب الكلب بعنقه وتحركت أذناه لأعلى واستند على أقدامه ونهض وهو يزمجر، ثم أصدر لنباحه العنان، مما أزعج صديقه وشتت تركيزه وانتبه له غاضبًا:

- دولسي، ما بك؟

لكنه على غير العادة لم يطع نداءه واستمر في نباحه الذي بدأ يعلو تدريجيًّا، فلاحظ صديقه أنه ينبح لشيء يُعرَض على شاشة التلفاز، فالِتفت نحو شاشة التلفاز ليجد أن القناة التي كانت تعرض الفيلم الذي يتابعه الكلب أصبحت تتلون باللون الأسود دون ذِكر سببٍ محدَّد وهذا ما أثار غضب كلبه، فمدَّ يده وأمسك بجهاز التحكم عن بُعد «الريموت» ليرفع من الصوت قليلًا حتى يدرك ما يحدث، تفاجأ بسماع صوت أنفاس بشرية عالية، ثم فجأة ظهر رجل يجلس على شيء لم يظهر ما هو؛ لأن عدسة التصوير كان حدود التقاطها منطقة أعلى صدره ورأسه فقط وخلفه ظلام تام، وجه رجل نحيف في أواخر الخمسينيات من عمره تفضحه شيبة رأسه، خصلات شعره البيضاء الجانبية الهاربة من زحف العمر في منتصف رأسه منتجة تلك الصلعة اللامعة، وتحتل الهالات السوداء تحت عينيه الكثير من جانب وجهه فيظهر نحوله من عظام وجهه البارزة من أسفل جلده الشفاف، نظر مليًا لهذا الوجه وشعر وكأن تلك الملامح يعرفها جيدًا ولكن الإضاءة الضعيفة والتي مصدرها أسفله، كانت لها عامل كبير في تضليل الكثير من ملامحه، خرج الرجل بالتلفاز من صمته قائلًا في حزم وثقة:

- أنا عامر سمير المنّدراوي.

نظر للشاشة في نشوة وانفرجت شفتاه سعادة ثم أردف

بشيء من الملل:

- أعلم أنه شيء غريب أو صادم لكم أني ما زلت حيًّا، يمكنكم أن تلقبوني بالكاذب أو النصاب، وهذا حقكم بالطبع، ولكن أنا كان هدفي أن أعتذر لمن آذيتهم في حياتي ليس أكثر.

اتسعت عيناه ورفع سبابته اليمنى محذِّرًا ثم أردف بحدة:

- أعتذر.. نعم.. ولكن بأسلوبي أنا، واعتذاري كان نابعًا من معرفتي بأنَّ مَن يموت ظلمًا يصبح شهيدًا ويدخل الجنة، فرغبت أن أقدِّم اعتذاري لهم بأن يُحكم عليهم بالإعدام ظلمًا على جريمة قتلي، وتكون الأدلة جميعها ضدهم حتى لو أنكروا فعل هذا الجُرم.

عاد بظهره للخلف وأنارت وجهه ابتسامة أخرى، ولكنها أكبر من سابقتها ثم أردف بفخر وغرور:

- وجودهم في مسرح الجريمة والدوافع التي قدَّمتها كَملفات مشفرة وبصماتهم على سلاح الجريمة كانوا كافين للتصدي أمام أي إنكار منهم.

ارتفع حاجباه اندهاشًا وأردف قائلًا في سخرية:

- ولكنهم فاجأوني صراحة، واعترفوا بالجريمة.

مال برأسه وملامحه جاهلة لما يقوله مكملًا باستغراب:

- من الممكن أنهم كانوا يظنون أنه شرف يجب أن يناوله.

ثم أشار بكف يده وأكمل بثقة:

- وهم يستحقونه عن جدارة.

ثم صفق بكفيه ببطءٍ ثلاث مرات وأردف بثقة:

- وهذا أيضًا كنت واضعه في حساباتي، ولكن لا أنكر كان بنسبة ضئيلة.

تنهد مغمضًا عينيه ثم فتحهما والحزن يكسوهما وأكمل:

- هم الآن في مكان أفضل لهم، أما يوم إعدامهم...

توقف شاردًا وكأنه يتذكر شيئًا ما لتعود ابتسامته للمرة الثالثة وأردف في نشوة:

- كان أكثر يوم ممتع بالنسبة لي، شعرت براحة كبيرة بداخلي، لأن هذه الدنيا هي جنتي أنا.

عادت حدته وسبابته للتحذير وقال بغضب وغرور:

- أنا فقط، جنتي أنا وليست جنتهم، ولا يجب أن يكون لهم مكان فيها.

هنا زفرَ زفرة طويلة ثم صمت لحظات وأردف في هدوء وحزن:

- أتمنى أن يتقبلوا اعتذاري بصدر رحب، آسف يا مراد، آسف يا هيام، آسف يا عبودة، آسف يا خالد، آسف يا عفاف، آسف يا حازم، يجب علينا جميعًا أن نتحلى بشجاعة الاعتذار.

بدأ يضحك ثم تعالت ضحكاته وقهقه ثم أردف بسعادة:

- أما عن غباء المباحث فهذا شيء ليس جديدًا عليهم، ولقد استمتعت جدًّا به، وطريقة حلّهم للألغاز التي كانت تخص المتهمين بقتلِي كمذكرات لي في صيغة اعتراف، لم أرغب في أن تكون معقدة أكثر أو تخص معلومات عامة؛ لأن هذا لن يفيد فكرتي، أما عن سبب وجود الألغاز من الأساس وعدم تركي الملفات مفتوحة بدون تشفير فهو أني رغبت في أن أمارس متعتي معهم وهم يتعذبون في محاولات كثيرة لحلها، وهذه فرصة كبيرة من المتعة بالتأكيد لن أجعلها تفلت منِّي، ولقد استمتعت أكثر عندما أغلقوا القضية على أن عفاف هي المدبرة الرئيسية للجريمة والمخطِّطة لتكوين فريق الاغتيال هذا، واقتنعوا أنها غدرت بفريقها في النهاية وخدرتهم كي يكونوا هم الجناة وتهرب وتستطيع أن تورثني، حقًا لا أعرف كيف أوصف لكم مقدار سعادتي بغبائهم وكذبهم عليكم الذي استمر حتى الآن.

عادت ملامحه إلى حدتها مرة أخرى ودنا بوجهه نحو الأمام وقال مخفضًا صوته قليلًا:

- لكن سبب ظهور في هذا البث الآن وفي هذا الوقت بالتحديد هو أني خلال ما حدث الفترة السابقة اكتشفت أشياء مهمة جدًّا وخطيرة جدًا، وهذا من الممكن أن يكون سبب في اغتيالي بحق هذه المرة، أنا أعلم أنكم لن

تصدقوني بعد ما حدث ولكن هذه هي الحقيقة، أنا سوف أقتل قريبًا جدًّا، وكان يجب أن أسجل اعترافي قبل أن أموت وأنشره أمام الجميع، أنا...

هنا توقف فجأة وسمع صوت صرير بابٍ يُفتَح خلف الكاميرا، وعيناه تتسعان جحوظًا وفضحت معالم وجهه أنه مندهش من ذلك، ثم تحولت للاستغراب ثم الصدمة، وعيناه تتابعان شيئًا يتقدم نحوه، وفجأة حدث تشويش طفيف وقطع البث مرة واحدة بعده وظهر بدلًا عنه مشهد آخر، وانتقل البث من فيديو مسجل لفيديو بث مباشر لمشهد ينم عن محتويات أستوديو لبرنامج إخباري على ما يتضح من الحائط الخلفي المميز بلوحة خريطة العالم، وفي المنتصف توجد طاولة طولية تنتصف الشاشة بثلاثة مقاعد، مقعد عند رأس الطاولة يكون للمذيع واثنان كل واحد منهما على جهة مقابل الآخر وهذا يخص ضيوف الحلقة، ولكن لم ينم عن ظهور هذا المشهد إلا زيادة في نباح الكلب أكثر، والذي اقترب من الشاشة بخطوات بطيئة خلف صديقه الذي نهض مفزوعًا من هول ما رآه على الشاشة أمامه والتي تضيء في أعلى جانبها اليمين جملة «بث مباشر» فلقد كانت تذيع برنامج بدون مذيع ولا ضيوف تقليدين، فعلى الطاولة توجد جثة عارية لرجل نحيل ينتصف الطاولة بشكل طولي رأسه عند مقعد المذيع برأس الطاولة، ينزف دمًا من أماكن كثيرة بجسده، يتضح من بعيد وجود وشم دموي على ذراعه اليمنى

واليسرى ما بين الكوع والكتف، ووشم ثالث آخر يوجد أعلى صدره، وعلى بطنه توجد علبة سجائر، وكان ما أثار فزعه أكثر وشهق عند ملاحظته أن الجثة بلا وجه، تم سلخ الوجه بالكامل، لتفضح عضلات وجهه بشاعة المنظر أكثر.

أما على المقاعد الثلاثة فتَجلس ثلاث سيدات نائمات ورؤوسهن على سطح الطاولة، تلوثَتْ شعورهن بدماء الجثة، وكل واحدة منهن تمسك في يديها اليمنى مشرطًا طبيًّا ملوثًا بالدماء، استند نصله على نهاية الوشم الدموي الذي يقابلهِن من الوشوم الثلاثة، معلنًا أنهن من رسموا تلك الوشوم الدموية عن طريق تلك المشارط الطبية الحادة، لحظات مرعبة مرت رغم الصمت المسيطر على الحدث، ثم بدأت السيدة التي تجلس على يمين الشاشة تتحرك ببطء وكأنها تستيقظ، ولكن ما إن رفعت وجهها ليزداد المشهد فزعًا فهي كانت ترتدي قناعًا غريبًا، قناعًا ليس بلاستيكيًا أو من القماش لم يكن صناعيًّا بالمرة أو طبيعيًّا من جلد حيوان ما، بل كان طبيعيًّا أكثر من اللازم فلقد كان قناعًا بشريًّا، وجه بشري حقيقي تتساقط الدماء من أسفله، ما إن رأت الجثة أمامها حتى قفزت عاليًا للخلف، وسقطت هي والمقعد أرضًا وعلت صرخاتها وألقت بالمشرط الذي كان في يدها بعيدًا، وزحفت للخلف رعبًا.

كان لحالة الفزع تلك التي انتابتها السبب في إيقاظ السيدتين الباقيتين تباعًا، ليشتد المشهد صعوبة ليكشف عن

وجهيهما الحقيقين وهما ترتديان مثل الأولى قناعًا بشريًّا لوجه مسلوخ من رأس جثة ما، ولم يكن رد فعلهما مختلفًا عن الأولى، فزعتا وقَفزتا ولكن واحدة منهما سقطت مغشيًا عليها.

دنا الرجل أكثر من الشاشة وهو يتابع ما يحدث باهتمام شديد وسؤالان يدوران في عقله وكَلبه يزمجر غضبًا للشاشة، أولهما أيِ وجه من الثلاثة يخص الجثة النائمة على الطاولة والتي سُلخ وجهها عن آخره؟ وثانيهما إذا كان هناك وجه من الثلاثة يخص الجثة فأين الجثتان صاحبتا الوجهين الباقيين؟

***

«قاتلي العزيز، حاول ألا تكن غبيًّا، فَالأغبياء هم فقط ضحايا الحروب».

الفصل الثاني
نصف الحقيقة

13 أكتوبر 1970

حفلٌ كبير يضم عددًا كبيًّار من الضيوف والأطفال بداخل منزل سمير المندراوي، وذلك احتفالًا بمناسبة عيد ميلاد نجله عامر والذي أتم عامه العاشر، صراخ وضحك وصياح لأطفال يمتزج بأحاديث جانبية من كبار السن، الأب ينشغل بالحديث مع عدد من أصدقائه حول ما آلت إليه البلاد، والأم مهتمة بإنهاء اللمسات الأخيرة علي طاولة الطعام وابنتها عفاف مُمسكة بذيل فستانها لا تفارقها أبدًا فهي تخاف من الاختلاط مع الغرباء ومنطوية بشكلٍ كبير؛ لا تلعب مع الأطفال الذين في مثل عمرها متعلقة بوالدتها بشكل مرضي غريب، أما عامر نجم الحفل كان منشغلًا هو الآخر، ولكن في أمر طفولي أكثر تعقيدًا، كان يقف على سطح المنزل وحوله عددًا من الأطفال يصطفون خلفه وخلف جاره مراد كفريقين، عامر ينظر له بنظرات تحدٍّ تتلون بغضبٍ دفين، ويبادله مراد نفس النظرات وهو يرفع عصا أمام صدره ممسكًا بطرفيها بقبضتي يديه في وضعٍ أفقي، ثم يهوي بها على العضلة الأمامية لقدمه اليمنى بعد أن ارتفعت ركبته لمستوى خصره، فينتج عن تلك الضربة كسر العصا إلى نصفين، يرفع النصفين عاليًا بيديه متفاخرًا بما أنجزه وخلفه قفز بفرحة فريقه من

الأطفال الذين يشجعونه، ثم ألقى بهما أرضًا بجوار أقدام عامر والابتسامة تنير وجهه قائلًا في غرور:

- دورك.

نظر له عامر وعيناه تشعان غضبًا رافعًا العصا التي كانت في يده هو الآخر، وكرَّر ما فعله مراد أمامه، ولكن ما إن هوى بالعصا على قدمه حتى تسقط منه أرضًا وتفلت من يده دون أن تنكسر أو تُشرَخ حتى، مما جعل مراد يقفز فرحًا فلقد انتصر على غريمه ونجم الحفلة، ولكن عامر لا يرضى أن تكون تلك آخر جولة، فحاول أن يخفي حنقه وقال بشيءٍ من السخرية:

- مبروك يا مراد ولكن ليس هذا ما يوضح أنك قوي، يمكنك أن تتحداني في شيءٍ أقوى من هذا، وحينها نرى مَن منَّا جبانًا ومَن شجاعًا مثل وحش الشاشة حقًّا.

- لا أريد تحديًا آخر كي أثبت أني أقوى منك وأشجع منك.

ضحك عامر ساخرًا على ردَّ مراد هذا، وتقدَّم نحو غرفة صغيرة في الجانب الغربي من السطح، غرفة تُستخدم كمخزن للأثاث المتهالك والأغراض القديمة، وفتح بابها ليصدر صريره الرتب وكشف عن ظلام ورائحة كريهة ووقف على عتبة تلك الغرفة وقال لمراد الذي تبعه هو وباقي الأطفال:

- ما رأيك أن نختبر مَن يستطيع أن يظل هنا خمسين عَدَّة

والباب مغلق؟ مَن يستطيع يكون هو الأشجع.

رغم شعور مراد بالريبة إلا أنه في وضعٍ يجب أن يثبت قوته فحاول أن يباغته ويظهر جرأته قائلًا:

- موافق، ولكن تبدأ أنت أولًا.

نظرَ له عامر وضحك ساخرًا وقال في ثقة:

- كنت على ثقة أنك سوف تقول هذا، موافق جدًّا.

عاد عامر للخلف خطوتين دون أن يستدير، وهو ينظر لمراد في ثقة واستفزاز، وتقدَّم مراد وهو لا يشعر بالراحة مما يحدث، ولكن يحاول أن يخبِّئ مخاوفه، وغلق الباب على عامر، وبدأ بالعد هو وباقي الأطفال من رقم واحد حتى خمسين، ومراد ينتظر أن يسمع صراخ عامر في أي لحظة، ولكن فاجأه عامر بصمته للنهاية، ما إن انتهى العد ليتقدم مراد مرة أخرى وفتح الباب ليجد عامر ما زال واقفًا كما هو لم يتحرك ولم تتغير نظرته المريبة تلك ولا ابتسامته المستفزة، وفي هدوء وبطء وثقة يخطو عامر خطواته للأمام وخرج من الغرفة، ثم أشار إلى مراد:

- هذا دورك.

ابتسم مراد ابتسامة مزيفة يخفي وراءها قلقَه وتقدَّم في توتُّر ودخل الغرفة الصغيرة المخيفة تلك ووقف في نفس مكان الذي كان يقف فيه عامر واستدار ليجد عامر أنارت وجهه ابتسامةٌ ماكرةٌ أدخلت الرعب قلبه

وبالأخص عندما اقترب من عتبة الباب، وأمسك مقبضه وأغلقه وهمس له في تحدٍّ قائلًا:

- أرِني شجاعتك.

ما إن أغلق عامر الباب وبدأ في العد هو وباقي الأطفال وما إن وصلوا لرقم عشرة حتى فاجأهم برفع يده مشيرًا لهم بالتوقف، ثم أشار بسبابته وهي على شفاهه آمرًا إياهم بالصمت، بدأ يتحرك بخطوات ثابتة، وجميع الأطفال حوله يتابعونه بأعينهم بفضول مُغلَّف بالخوف، وصل عامر لعدة صناديق بجوار تلك الغرفة، ما إن بدأ في رفع بعضها عن بعض حتى سمع صوت مراد بالداخل قائلًا في توتّر:

- ماذا حدث؟ لماذا لا تكملون العد؟ لمَ توقفتم؟

فالتفت عامر للأطفال الذين أطاعوا أمره ناظرًا لهم بعينين واسعتين غاضبتين وهو يحرك رأسه يمينًا ويسارًا قليلًا محذرًا ألا يتمرد أحدهم عليه ويخالف أمره وينطق، وهنا عاد مراد بسؤاله ووضح في نبرة صوته العالية الخوفُ المسيطر والقلق:

- هل رحلتم أم ماذا؟

وما إن لاحظ عامر الخوف في أعينهم، وأنهم سوف يطيعون أمره، فعاد بوجهه ليكمل ما كان يفعله من إزاحة الصناديق الصغيرة حتى وصل للصندوق الذي كان يبحث عنه ومدَّ يده مبتسمًا، وهنا حاول مراد من الداخل فتح الباب لكنه وجده مغلقًا بإحكام من الخارج، وأثناء تلك

المحاولة كانت يد عامر تخرج من الصندوق وهي ممسكة بقفص حديدي صغير وبه فأر رمادي كبير، رغم شعره الكثيف إلا أن بجسده أماكن فارغة من الشعر ناتجة عن تعرضه لحوادث حرق صغيرة، يصدر صريره من خلف أنيابه البارزة من خارج فمه، وذيله الطويل يتدلى من القفص الذي لا يتسع لحجمه الكبير، قفص حديدي يستخدم كمصيدة لتلك الحيوانات القارضة، ما إن رأوا الأطفال ذلك حتى صرخوا جميعًا وفروا نزولًا للأسفل فزعين، وكان صراخهم له تأثير أكثر فزعًا على مراد الذي بدأ في ضرب الباب بكلتا يديه، وهو جاهل بما يحدث بالخارج ولكن الظلام وكآبة المكان وصراخ أصدقائه كانوا كافين أن ينقلوه لتلك الحالة.

وفي حالة الهياج تلك كان عامر يتقدم نحو باب الغرفة حاملًا القفص الذي يهتز من المحاولات الفاشلة للفأر الحبيس من الإفلات من تلك المصيدة اللعينة، أصبح سطح المنزل خاليًا من الجميع بعد نزول الأطفال فزعًا، ولم يبقَ به سوى مراد بداخل الغرفة وعامر الذي يتقدم بخطوات واثقة وعيناه تلمعان ببريق مخيف، وملامح وجهه صلبة بعض الشيء، وصل أمام الباب الذي يرتجّ من ضرب مراد عليه وبكائه الذي بدأ يزداد، وهنا اقترب عامر وأراح جبهته على سطح الباب لتهتز رأسه قليلًا بسبب ضربات مراد العشوائية، ثم أغمض عينيه مستمتعًا بذلك، هامسًا بهدوء:

- لماذا تبكي يا وحش الشاشة؟!

- افتح يا عامر، افتح الباب توقف عن هذا المزاح السخيف.

قالها مراد بغضب صارخًا ظنًا أن تلك الطريقة سوف تجدي مع عامر الذي أجابه في ثقة:

- لا تبكِ، لقد أحضرت لك لعبة تؤنس وحدتك في الظلام.

وانحنى وأزاح جزءًا صغيرًا من أسفل الباب به شرخ طولي كان يجب إصلاحه ليكشف عن فتحة صغيرة لا تتعدى قبضة اليد، ووضع المصيدة التي معه أمامها لتكون تلك الفتحة في الباب مقابلة لباب المصيدة، وهنا قال مبتسمًا:

- تخيل أن هذه اللعبة أحتفظ بها منذ ما يقرب من أسبوع، وكنت كل يوم ألعب معها، أتدري كيف؟ كنت أضع طعامه ثم ألسَعه بنقطتين من الزيت المغلي تجعله يرقص لي، كان يضحكني هذا كثيرًا.

ثم نظر للباب وكأنه يرى مراد من خلف الباب وأردف:

- هيًّا يا وحش الشاشة العب قليلًا مع (فرافيرو) حتى أنهي الخمسين عَدة التي اتفقنا عليها، لقد اتفقنا على خمسين صحيح؟ أم أكثر؟ لا أذكر أتصدق هذا، إذًا سوف أعد إلى خمسين.

وهنا فُتح باب القفص حتى يهرول الفأر داخل الفتحة الصغيرة ظنًا أن هذا هو باب الحرية، وما إن دخل حتى سمع صراخ مراد الهستيري، فنهض عامر وانتصب مكانه وهو يرسم ملامح آسفة حزينة:

- لقد نسيت أن أخبرك بشيء صغير، أنا لستُ حافظًا للأرقام، ولكن سوف أحاول أن أتذكرهم، هذا لأني لستُ شاطرًا في الحساب مثلك.

بدأ يخطو خطوات قافزة في سعادة بشكل دائري أمام الباب وهو يقول في نشوة وثقة مع كل قفزة بالتتابع:

- واحد، اثنين.. سبعة، ثلاثة...

***

أغلق محمود المكالمة مع اللواء بهنسي مصدومًا واتجه مسرعًا لسيارته مشوش التفكير، قادها متجهًا للقسم لمقابلته بناء على طلبه، حاول وهو في طريقه أن يفهم كيف حدث كل هذا؟ ولكن كان عقله قد أعلن شلله عن التفكير، تجمدت شرايين عقله من الصدمة، وصلَ لمبنى القسم وصعد الدَّرَج متجهًا لمكتب اللواء بهنسي، ومن حوله لاحظ نظرات زملائه وأفراد الشرطة والتي كانت ما بين الشفقة والصدمة والشماتة، وصل في نهاية المطاف لمكتب اللواء بهنسي وطَرقَ بابه بيد مرتعشة فلم يسمع ردًا من خلفه فأدار مقبضه ودخل ليجد اللواء بهنسي ليس على مكتبه، فأدار وجهه باحثًا عنه ليجده جالسًا

على الأريكة خلف الباب ينظر للتلفاز في شغف وغضب وتركيز، تنحنح محمود على حرج لينبه بوجوده، التفت له اللواء بهنسي بعين ثاقبة غاضبة ثم فردَ ذراعه مشيرًا لشاشة التلفاز قائلًا:

- أسعيدٌ أنت بهذه الفضيحة؟ هذا المجنون الذي يُدعى عامر خرج ليثبت أننا متكاسلون في عملنا ونقوم بتحقيقات مزيفة وبحث ضعيف كي تخرج في النهاية قضية ملفقة، وأن هناك ستة تم إعدامهم ظلمًا، وما السبب في كل هذا؟

وهنا نهض ودنا من وجه محمود مجيبًا بحنق:

- السبب هو أنت يا حضرة الضابط، بنيت قضية مخوَّخة وضعيفة دون أن تقوم بالتحريات الجيدة والتي في النهاية جعلت مجنونًا مثل هذا يسخر منَّا ويفضحنا أمام العالم.

تحرك نحو شاشة التلفاز قليلًا، وأشار إلى جانبها العلوي ثم أردف:

- المجنون عامر هذا قام بعملية قرصنة على قناة الأيام الفضائية ومنها نقل بثه المباشر للفيديو المستمر حتى الآن أمام الجميع، الجميع يشاهد الآن جثة وجهها مسلوخ وثلاث سيدات يرتدين وجوهًا مسلوخة من جثث أخرى الله أعلم ما هي قصتها، هل تشعر بحجم الكارثة التي لا نستطيع أن نسيطر عليها؟ لا نستطيع أن نقوم بوقف البث، ولا قادرون على معرفة مصدره، هل أنت متخيل حجم الفضيحة الآن؟

عاد بخطوات ثابتة لمحمود الذي ينظر له منكسرًا، ما إن

دنا منه حتى وضع كفَّ يده اليمنى على كتفه محمود الأيسر وفردَ ذراعه الأيسر مشيرًا بسبابته نحو مكتبه وقال بنبرة خافتة بعض الشيء، لكنها صارمة وحادة كثيرًا:

- هذه الفضيحة سوف تهز مكانتي، وهذا شيء لن أسمح بحدوثه ولن أسامح فيه، لن يأتي شخص مستهتر مثلك يعكر صفو ملف خدمتي الناصع البياض في آخر أيامه.

وهنا عاد بسبابته وأشار فوق كتفه الأيمن قائلًا وعين محمود تتبعه في خنوع:

- هذا النسر الذي على كتفي لم يأتِ بسهولة، لقد نهش بمخالبه في عمري وصحتي وحياتي، دهس على أشياء كثيرة حتى يقف هنا، وأنا أرغب عندما أخرج من هنا أخرج وهو رافع رأسه معي، أي لن أسمح...

قَاطعه رنين هاتف المكتب فتحرك نحوه وهو يزفر غضبًا، رفع سماعة الهاتف وأنصت إلى محدِّثه على الطرف الآخر وبعد لحظات قليلة أنهي المكالمة وأغلق الهاتف وردَّ بنبرة أقل حدة:

- علموا مصدر البث من مخزن صغير تابع إلى مخازن أستوديو مصر.

زفر زفرة طويلة وهو يحدق في عين محمود ثم قال آمرًا:

- أمامك أربعة أيام يا محمود، أربعة أيام فقط وتكون قد جلبت لي عامر هذا هنا مُقيدًا حيًّا أو ميتًا، المهم أن

لا يكون هناك ثغرة أخرى في القضية، لأنني حينها لن أجعلك تستطيع أن تعبر بقدميك أي قسم شرطة حتى لكي تخرج بطاقة.

رفع محمود يديه في ثبات مؤديًا التحية العسكرية للواء بهنسي وفي عينيه تحدّ كبير، انصرف دون أن تنطق شفتاه حرفًا وتحرك مسرعًا نحو سيارته التي قادها متجهًا لموقع مصدر البث في عجالة وتعصب، تتطاير من عينيه نظرات الغضب والحنق لعنَ في نفسه عامر ويسبه بأفظع الألفاظ، لا يصدق ما فعله هذا السادي به حتى الآن، منذ أن شرع في التحقيق في تلك القضية وهو ضحية لمرض هذا اللعين، وأصبح في النهاية من ضمن قائمة ضحاياه، لا يصدق كيف ساعده ليحقق غايته في قتل ستة أبرياء، أصبح الآن يحمل على عاتقه ذنبهم بكل تأكيد، هو مَن زجَّ بهم لهذا المصير كأنه فيل أعمى غبي يطيع أمر سيده فيدهس في طريقه كل حيوان بريء جاء حظه العسر أمام أقدامه حتى وصل به لنهاية الطريق، يخطو خطوته الأخيرة على الهاوية ويقع غارقًا في وحلٍ عميق من الدماء، ويظل سيده على اليابس ينظر له فرحًا متفاخرًا بحيوانه الغبي ويصفق له بما أنجزه من غباء.

بعد عدة دقائق وصل محمود لمخازن أستديو مصر ليجد سيارات الشرطة قد سبقته بالفعل، نزل من سيارته وتقدَّم بينهم حتى وصل لباب حديدي أكل الصدأ منه الكثير ليفضح عمره الغير متوارٍ، باب صلب عتيق لمخزن

صغير يحاول رجال الشرطة فتحه ولكنه مغلق بإحكام، ومن خلف هذا الباب تُسمع صرخات نسائية هيسترية تستغيث وأصوات طرقات سريعة لهن من الداخل يحاولن فتح الباب، عرقل محاولات رجال الشرطة لفتح الباب واقتحام مسرح الجريمة أن القفل قد تم صهره من الخارج بشكل متعمد حتى يمنع أي أحد من فتح الباب بسهولة بالإضافة لعمر الباب وتهَالكه وعدم استخدامه منذ فترة طويلة، وهنا تفاجأ محمود بمن يصيح في الرجال من خلفه، فاِلتفت ليجد المقدم طارق يأمر أحد رجاله أن يقطع التيار الكهربائي عن المكان حتى يضمن توقف البث، ثم دنا من محمود مصافحًا إياه في صرامة وهو يقول له:

- أنا المقدم طارق أباظة، تم تكليفي من المديرية الأمن واللواء بهنسي قد وافق يا محمود بيه أننا نكون مع بعض في هذه القضية.

- هذا شرف كبير يا باشا.

قالها محمود وفي عينيه ذهول وصدمة لم يستطع إخفاءها، ثم أفسح له بالمرور أمامه وتبعه وهو يتفقد المكان و صراخ السيدات في الداخل زاد وتعالى بعد أن انقطع عنهم التيار الكهربائي وأصبح الظلام هو الونيس بينهم في الداخل، لحظات ورن هاتف طارق وما إن ردَّ على المكالمة فانفرجت أسارير وجهه قليلًا، وما إن أنهى مكالمته حتى نظر لمحمود وقال في جدية:

- الآن استطعنا أن نوقف البث وهذا كان أهم شيء عند القيادات في الوقت الحالي، ويجب الآن أن ندخل المخزن بأي شكل.

- جيد سوف أحاول أن أعثر على مدخل أخر غير هذا.

قالها محمود فأومأ طارق له بالموافقة فقام بالترجل بدوره حول هذا المخزن، والذي لم يجد له منفذًا آخر يصلح للدخول منه، ولكن في الجانب الغربي منه عثر على نافذة واحدة صغيرة تستخدم للتهوية، أمر أحد الرجال بالصعود للكشف هل من الممكن أن تفيد في الأمر أم لا، ونفَّذ الرجل ما أمره به وأحضر سلمًا كبيرًا وصعد بالفعل، ولكنه وجدها قد تمَّ سدُّها من الجهة الأخرى بطبقة إسمنتية حتى يمنع دخول القوارض لالتهام ما بالمخزن على الأرجح، فعاد بوجه تملؤه الخيبة وما إن رآه طارق كذلك حتى أيقن أن لا يوجد مدخل إلا هذا الباب الوحيد، فلم يجد أمامه سوى أن يصيح في الرجال يأمرهم بطلب متخصص في فتح تلك الأبواب.

وبالفعل جاء المتخصص بعد فترة ليست بقليلة، وأثناء محاولته في خلع الباب بدأت الصراخات النسائية من الداخل تهدأ وتبطئ شيئًا فشيئًا، وهنا تقدم محمود وطارق من رجال الشرطة الذين يساعدون المتخصص في إزاحة الباب من مكانه لينكشف الظلام الدامس بالداخل ، وتظهر خلف عتبة الباب ثلاثة أجساد لسيدات في حالة إعياء وإغماء من فرط الرعب والخوف والحالة الهيستيرية

التي سيطرت عليهم بالداخل لا تظهر ملامحهن بشكلٍ كبير بسبب الظلام، صاح طارق طالبًا الإسعاف وما إن دنا منهم حتى لاحظ حركة سيدة منهن تنهض فزعًا وتتحرك زاحفة للخارج ببطء عدة خطوات ليظهر وجهها تحت الإضاءة، ويظهر بشاعة المنظر للجميع الذين عادوا خطوة للخلف من حولها نافرين من شكلها المقزز، فلقد تدلى من أعلى رأسها جزء من الوجه البشري الذي ترتديه كقناع، والذي اتضح أنها حاولت أن تنزعه عنوة مع على وجهها وبسبب المادة القوية التي لصق بها نزعت جزءًا من جلد وجهها الحقيقي معه، ولذلك توقفت عما كانت تفعله على الأرجح لما عانته من آلام، وظل هذا الجزء متدليًا بهذا الشكل البشع على جبهتها، كانت الصدمة والفزع هما المسيطران على ملامح الجميع إلا أن وجه محمود اختلف عنهم بتعبير الذهول عليه والريبة، وهذا بالفعل لاحظه طارق، وما إن دنا منه قليلًا ليفهم ماذا يحدث له فوجده مدَّ ذراعه وأشار بسبابته نحو وجه تلك السيدة قائلًا في تردُّد:

- الوجه التي ترتديه هذه السيدة يشبه وجهًا أنا أعرفه جيدًا، هذا وجه... زياد.

***

تصلب محمود في مكانه غير مصدق أن ما يراه أمامه هو وجه زياد الذي كان يساعده في القضية منذ عدة شهور قليلة، زياد الذي تجاهله بعد ذلك ونسب النجاح لنفسه

فقط، أصبح وجهًا مسلوخًا يُستخدم كقناع على وجه تلك السيدة ليزيد مظهرها بشاعة، رغم ما سمعه طارق من محمود إلا أنه لم يستوعب مَن هو زياد هذا، ولذلك أجَّل سؤاله الآن حتى ينتهي من هذا الوضع المريب، فتقدَّم نحو تلك السيدة وساعدها على النهوض، وطلب من رجال الشرطة إحضار ثلاثة مقاعد لتلك السيادات حتى تأتي الإسعاف وتنقلهم، نهضت السيدة بمساعدته وأجلسها على مقعد بالقرب من الباب وأمر رجال الشرطة أن يظلوا بجانبها ولا يدخل أحد مسرح الجريمة الآن إلا بعد حضور قسم الطب الشرعي والبحث الجنائي، ثم تقدَّم نحو السيدة الثانية والذي اتضح من الوهلة الأولى أنها سيدة كبيرة في السن، وذلك اتضح من تكوينها الجسدي وبشرتها الشاحبة المجعدة، فبدأ في إفاقتها ورغم القناع البشري الرجولي التي ترتديه الذي جعل شكلها بشعًا للغاية إلا أنه صاح في محمود ليساعده في نهوضها وأجلسها على مقعد بالخارج، ثم اِلتفت هما الاثنان لنقل السيدة الثالثة وتفاجأوا بأنها أفاقت بالفعل وتزحف للداخل هروباً فتغيب في الظلام، فصاح محمود في الرجال أن يعيدوا التيار الكهربائي للعمل مرة أخرى، وأمرهم ألا يدخل أحد حتى يأذن له بذلك وفتح مصباح هاتفه وأشار لمحمود أن يفعل مثله ثم يتبعه للداخل مشهرين السلاح باحثين عن السيدة الثالثة التي ما إن فاقت حتى همّت بالهروب في الظلام.

عبر طارق باب المخزن ليجد على جانبيه تستند ألواح

خشبية بسيطة المواد والشكل كانت تستخدم كخلفية فنية لبرامج التلفاز في فترة الثمانينيات والتسعينيات قبل ظهور الشاشات التليفزيونية الكبيرة واستخدام الخدع البصرية والخلفية الخضراء أو ما تسمى بـ(الكروما)، خطوات قليلة للداخل وطارق يأمر السيدة بالخروج لهما، ومحمود بجانبه يبحث في المكان عليها، وفجأة سمع محمود صوت أنفاس قادمًا من الجهة الغربية منه ما إن استدار حتى تعرقل في مقعد جلدي أسود مقلوب وبجانبه مشرط طبي ملوَّث بالدماء، كانت لوقعته تلك السبب في فزع السيدة واكتشاف مكانها من صرختها، فوجَّه طارق مسدسه نحو مصدر الصوت وباليد الأخرى يضيء أمامه بالكشاف حتى يراها فيجدها تختبئ خلف جدار خشبي ترتعش خوفًا وشعرها يغطي وجهها، دنا منها قليلًا وأنزل سلاحه محاوِلًا تهدئتها، ثم مدَّ يده نحوها داعيها أن تخرج له مستسلمة دون أن تفعل أي فعلٍ قد تندم عليه، وأثناء ذلك كان محمود يقف خلفه رافعًا سلاحه حتى يحميه إذا أرادت أن تخدعهما، ولكنه لاحظ أنها استجابت لطلب طارق ومدت يدها نحوه لتتعكز عليه، وبالفعل خرجت وبدأت تتحرك بخطوات مرتعشة فجسدها يرتجف بشدة وكأنها خرجت توًّا من بحيرة ثلج عارية، وشعرها يغطي رأسها ووجهها وهو يهتز وكأن تحته محرك سيارة قديمة، وفجأة يعود التيار الكهربائي ويضيء المكان ويفضح ما ستره الظلام من بشاعة، شهق طارق واتسعت عيناه مما رآه ومثله كان رد فعل محمود، أما السيدة فكان ردها أفظع

وأعنف صرخت صرخة عالية ثم دفعت يدَ طارق جانبًا وحاولت أن تركض للخارج ولكن حظها العسر جعلها تتعرقل في المقعد الجلدي الأسود هي الأخرى مثل محمود، ولكن اندفاعها الجنوني هذا كان له تأثير سلبي عند وقوعها فلقد قفز بها بعيدًا بعض الشيء وارتطمت رأسها بعامود حديدي مثبت بالأرض فيتسبب بجرح في رأسها تفقد على أثره وعيها وترقد مكانها دون حركة.

رغم ما أحدثته من تخبط وربكة إلا أنها لم تأخذ حيزًا كبيرًا من اهتمام طارق ومحمود أمام ما يرونه أمامهم، تلك الجثة الممددة على الطاولة كان لافتة أكثر وسارقة للعين والروح، جثة تنزف دمًا من جروح كثيرة منتشرة في أماكن عدة، جثة سلخ وجهها بشكلٍ كامل فتعلن عضلات الوجه بها راية المشهد المقزز الحصري بلونها الأحمر الداكن، ووسط هذا الاحمرار تنير أسنان صفراء قليلة فتضيف بشاعة أكثر للمشهد، ولكن لم تكن أكثر رعبًا من بروز العينين بشكل مبالغ فيه بسبب انتزاع الجفون ضمن ما سلخ من الوجه، وكأنها سوف تسقط لولا بعض الشعيرات الدموية القليلة التي تتمسك بها، ولكن لم يكن هذا ما مرت به تلك الجثة من تعذيب وآلام، دنا محمود من الجثة قليلًا وتفحصها جيدًا وجذب انتباهه علبة السجائر والقداحة التي وضعت على بطن الجثة، ولاحظ أيضًا أنه تم رسم وشم دموي بسلاح حاد على ذراعه اليسرى بشكل طولي من أسفل الكتف حتى

ما قبل الكوع بشيءٍ قليل، وهذا ما دفعه لأن يُخرج مدوَّنته الصغيرة ويبدأ في رسم هذا الوشم، والذي كان على شكل هندسي عبارة عن مستطيل مقسَّم بشكل منتظم بخطوط طولية وخطوط متقاطعة ينتج عنها عدة أشكال يبدأ وينتهي المستطيل بشكلين خماسي الأضلاع غير منتظمي الشكل، يحتوي الشكل الذي على اليمين على خط طولي قصير ثم دائرة مفرغة ويحتوي الشكل الثاني على اليسار على دائرة مفرغة ثم خط طولي قصير، وثلاثة أشكال سداسية الأضلاع في منتصف المستطيل، اثنان منهما يحتويان على خط طولي قصير والثالث أكبرهم وهو يقع بينهما وينتصف المستطيل ايضًا ويحتوي على دائرة واحدة مفرغة، وثماني أشكال من مثلثات الصغيرة الفارغة من الداخل ناتجة عن تقاطع الخطوط المكونة للأشكال الداخلية تلك.

وما إن أنهى محمود نقله لشكل هذا الوشم الدموي في مدونته حتى أشار طارق له نحو ذراع الجثة الأيمن قائلًا:

- الوشم الذي رُسم هنا مختلف عما رسم أمامك.

فتحرك نحو طارق ليرى الجثة من الجهة الأخرى، وبالفعل وجد أن الوشم الدموي الآخر يختلف في تكوينه

الداخلي برغم أنه في نفس المكان من الذراع الأيسر بشكل طولي من أسفل الكتف حتى ما قبل الكوع بشيءٍ قليل ونفس حجمه تقريبًا، فكان الوشم على شكل هندسي عبارة عن مستطيل مقسَّم بشكل منتظم بخطوط طولية ومتقاطعة ينتج عنها نفس عدد الأشكال الخماسية والسداسية وبنفس الترتيب، ولكن تختلف في أن الأشكال السداسية أصبحت متساوية في الحجم، أما عما تحتويه تلك الأشكال الخمسة فكان كل شكل منهم يحتوي على دائرة، وبدأ رسمهم من اليمين لليسار، فكانت الدائرة الأولى مقسمة لأربعة أرباع بهم ربع تم حذف الجلد من عليه، والدائرة الثانية قُسمت إلى ستة أسداس بسبب ثلاثة خطوط متقاطعة، والدائرة الثالثة قُسِّمت لأربعة أجزاء بسبب ثلاثة خطوط عرضية، والدائرة الرابعة قُسمت لأربعة أرباع بسبب خطين متقاطعين كالصليب، والدائرة الخامسة والأخيرة قُسِّمت إلى نصفين بخط طولي، ورسمت دائرة صغيرة أعلى المستطيل في طرف جانبه الأيمن مقسَّمة لنصفين بخط عرضي.

أنهى محمود رسم اللغز الثاني بمدونته الخاصة ليجذب

إنتباهه الوشم الثالث الأكثر دموية والذي رُسم بدقة وعناية وبكثير من التفاصيل على أعلى منطقة الصدر بشكلٍ عرضي، وكان عبارة عن مستطيل مقسَّم لخمسة مستطيلات الأول والخامس هما أصغرهم، ثم يأتي الثاني والرابع في المرتبة الثانية كأكبر حجمًا، ويصبح الثالث هو أكبرهم وأوسطهم، وكانوا يتميزون بأنهم يحتويان على أشكال تشبه الأعداد الرقمية الحديثة والتي تظهر في شكلها الإلكتروني على شاشات الحاسبات الرقمية ولوح المصاعد وشاشات البورصة أو كما يسمونها (أرقام ديجيتال)، وفي هذا الوشم لا تظهر كأعداد رقمية إلكترونية واضحة ولكن تشبهها كثيرًا أو ينقصها شيء لذلك، كان في كل المستطيلات الخمسة يوجد ثلاثة أرقام فقط إلا في المستطيل الأول والخامس كانا يحتويان على رقمين فقط.

وهنا قد صاح أحد رجال الأمن من الخارج مناديًا على المقدم طارق يخبره بوصول رجال الطب الشرعي والبحث الجنائي فتقدم طارق نحوهم تاركًا محمود ينهي نقله لهذا اللغز، ولكن وهو في طريقه لهم لاحظ بأن السيدة التي اصطدمت بالعامود منذ قليل ووقعت مغشيًا عليها أثناء محاولتها من الهروب فزعًا من رؤية الجثة بدأت

تتحرك حركات بسيطة في محاولة لاستعادة وعيها، وكانت لحركتها تلك السر في توقفه فلقد جذب انتباهه القناع البشري المسلوخ الذي ترتدي، فلقد أزاحت حركتها تلك خصلات شعرها من أمام وجهها ليكشف عن وجهها بشكل أوضح، وللإضاءة عامل إضافي في كشف ذلك أكثر، فدنا منها واتكأ على ركبته بجانبها وظل يتفحص هذا القناع وتضيق عيناه أكثر تدقيقًا، ويميل برأسه يمينًا ويسارًا وكأنه يعرف صاحبه، وأثناء أنين تلك السيدة وحركاتها البسيطة في مواجهتها للإغماء شبه المسيطر عليها أخرج هاتفه من جيب سرواله، والتقط لوجهها عدة صور ثم نهض وانتصب مكانه ووضعهم في رسالة نصية وأرسالها لشخص يمكنه مساعدته في ذلك، بدأ بالترجل نحو الباب وقابل رجال قسم الطب الشرعي والبحث الجنائي وأمرهم قبل أن يأذن لهم بالدخول بأن ينهوا عملهم سريعًا وبدِقة ولا يهملوا أي شيء بمسرح الجريمة هذا، ثم صاح في رجاله غاضبًا أن يسرعوا في طلب سيارات الإسعاف حتى يستطيعوا مساعدة تلك السيدات فيما أصابهن، ثم عاد للداخل ليقف بجوار محمود الذي ينظر من بعيد على مسرح الجريمة، هذا المخزن الذي تم تهيئته ليكون أستوديو إخباري بطرازه القديم باللوح الخشبية لخريطة العالم عفا عليها الزمان وأكل من حيويتها الكثير فظهرت باهتة الألوان ثم طاولة في منتصفها تلك الجثة البشعة، وهنا لاحظ طارق أن محمود يشير بسبابته لأعلى دون أن ينظر، فيتبع إشارته وينظر لأعلى ليجد

كاميرا مثبتة على عامود معلَّق بسقف المخزن، وهنا أشار محمود له:

- هذه الكاميرا التي نقلت البث بكل تأكيد، نحتاج إلى خبير في هذا الموضوع ولكن بعد أن ينهوا رجال البحث الجنائي عملهم، لأن...

قاطعَهُ رنين هاتف طارق الذي أخذ هاتفه وابتعد عدة خطوات عنه ليجيب المكالمة، ما هي إلا لحظات وسمعه يقول بصوت عالٍ مصدومًا:

- لقد شعرت بهذا ولكني رغبت في أن أتأكد منك يا عمر لأنك كنت تعمل على هذه القضية أكثر مني، شكرًا جزيلًا سلام.

وهنا عاد لمحمود وزفرَ زفرةً غاضبةً رافعًا أحد حاجبيه وهو يشير بيديه نحو السيدة الساقطة أرضًا:

- علمت الوجه المسلوخ الذي ترتديه هذه السيدة يعود لِمَن.

دنا منه محمود وسأله بحماس:

- مَن؟

فأجابه بحدة:

- شخصية كانت لها علاقة بقضية كنت أعمل عليها الفترة الماضية، قضية طبيب التشريح الذي انتحر محروقًا.

هنا ارتفع حاجبا محمود اندهاشًا وسأله:

- الدكتور يحيى عزمي؟

ضاقت عين طارق استغرابًا وسأله:

- نعم، أنت تعرفه؟ أم سمعت عن القضية؟

- لقد كان المسؤول عن تقرير تشريح جثة عامر الذي فاجأنا بأنه ما زال حيًّا، وعلى هذا لمن يعود هذا الوجه إذًا؟ هل لأحد كان علاقة بالطبيب يحيى؟

قالها محمود ليجيبه طارق مذهولًا:

- لقد راودني الشك، ولهذا أردت أن اتأكد من الرائد عُمر المنياوي الذي كان يعمل معي بتلك القضية، فأرسلت له صورة الوجه، وهو هاتفني الآن وأكَّد شكي ليقين، وعلمت أن الوجه المسلوخ الذي ترتديه هذه السيدة يعود إلى وجه (ديجا) خطيبة الطبيب يحيى.

***

جاءت سيارات الإسعاف وأخذت الثلاث سيدات على أن يكن تحت الرقابة المشددة ولقد أمرت القيادات أن يتم نقلهن لإحدى المستشفيات الخاصة بالسجينات حتى تكون بعيدة عن الصحافة والإعلام أو أي تدخل يؤثر على مجريات القضية، وسوف يبقون بها حتى يتم انتزاع الأقنعة البشرية من على وجوههن ثم إعادتها مرة أخرى للقسم لمعرفة هويتهن وبدأ التحقيق معهن بشكلٍ

مباشر تحت قيادة المقدم طارق والرائد محمود اللذين مازالا في مسرح الجريمة يتابعان فريق الطب الشرعي في بحثه في المكان بعناية وحرص شديدين من تصوير للجثة ذات الوجه المسلوخ ولكل ركن وزاوية وقطعة أثاث استُخدِمت أو أهلكت في هذا الأستوديو الإخباري العتيق المزيف، ومكوَّن من مصدر إضاءة واحد وكاميرا تصوير معلَّقة وطاولة بثلاثة مقاعد ولوحة كبيرة لخريطة العالم.

أثناء ذلك كانت قد جاءت مكالمة إلى محمود من اللواء بهنسي يطمئن على ما توصلوا له ويخبره أن البث توقف بسبب قطعهم للكهرباء بالمخزن، وذلك كان له الفضل في تقليل حجم الهجوم عليهم بعض الشيء من الإعلام والصحافة ومواقع التواصل الاجتماعي، وبرغم ما نتج عن هذا البث من انتشار كبير لمقاطع فيديو منه واستطاع من لحق بتسجيل أجزاء منه قبل توقفه وردود الأفعال الشرسة والتفاعل السلبي معه إلا أن اللواء بهنسي أخبره أن هذا أفضل في الوقت الحالي للمسؤولين؛ لأن الوضع الآن تحت سيطرة الدولة مهما كان وهذا هو الأهم، والرسالة التي يجب أن تصل للجميع أن لا سُلطة فوق سُلطة الدولة، وليس من السهل أن يتم قرصنة إحدى القنوات الشهيرة وبث فيديو ينشر الدموية ويثير الفزع للمواطنين، ويحدث ذلك من أسفل قبضة الدولة، فما يخيف أكثر من بشاعة هذا الفيديو هو شعور من يشاهده بعدم الأمان وكسر حاجز الخوف، السُّلطة بلا خوف لن تعيش، أما عن

مجريات التحقيق فهذا هو ملعبهم ويستطيعون أن يقولوا ما يريدون أن يعلن، ويمنعون ما يريدونه أن يمنع، تلك المرحلة تعتبر لمحمود هي الطلقة الوحيدة في خزينة سلاحه، إما أن تصيب ويبقى في عمله أو يخطئ في تصويبه ويخسر كل شيء.

وعلى بُعد خطوات منه كان طارق يتابع فريق الطب الشرعي إلى أن جاء أحدهم ورفع يديه بقفازه الأبيض الطبي ونادى عليه وهو بجوار الطاولة يتفقد الجثة ومعه رجل آخر يقوم بالتصوير، فتقدم طارق نحوه بخطوات ثابتة لا يريد أن يظهر على ملامحه أمام أحد قلقه من تلك القضية الغريبة، ومع ذلك فلقد أثارت غضبه وزادت فضوله وشغفه الشرطي، ما إن وصل له حتى وجدَهُ يرفع يديه بحافظة بلاستيكية شفافة تحتوي على علبة السجائر التي كانت على بطن الجثة، بجوار العلبة عددٌ من لفائف السجائر، وقال في جدية:

- هذه هي علبة السجائر التي كانت على بطن الجثة، العلبة مفتوحة وتحتوي على خمس عشرة سيجارة، وكل سيجارة كُتبَ عليها حرف عربي مختلف باللون الأسود إلا اثنين فقط فارغين من أي كتابة.

- غريبة؟!

قالها طارق مندهشًا فأردف الرجل:

- ليس هذا الغريب فقط، انظر إلى هنا سيادتك.

وهنا أشار بسبابته على العلبة من الأمام وأردف:

- هذه صورة حديثة لفتاة صغيرة تم لصقها على العلبة وتم رسم علامة X على فمها بنفس لون الخط المستخدَم لكتابة الحروف على السجائر، وهذا اكتشفته عندما أمسكتها لأحتفظ بها كدليل في الحافظة؛ لأن العلبة كانت قد وُضعَت ليظهر الجانب المقابل منها.

وهنا أمسك طارق الحافظة منه وبدأ يتفحصها من بعيد وبالأخص تلك الصورة وهل هي تعني ضحية مخطوفة أو جثة جديدة أم ماذا؟ حاول أن يخفي قلقه الذي زاد كثيرًا بسبب تلك التطورات الكثيرة في القضية، ولكن باغته الرجل برفع يده مرة أخرى بحافظة بلاستيكية شفافة أخرى كانت بجواره على الطاولة تحتوي على قداحة معدنية صغيرة وقال في جدية:

- أما هذه القداحة فعليها ملاحظتان سيادتك، أولهما لا يوجد عليها أي بصمات وهذا غريب، وثانيهما لقد كُتبَ عليها بنفس القلم على الأرجح حرفان فقط هما «M.S».

وهنا قد جاء لهما محمود بعد أن انتهى من مكالمته مع اللواء بهنسي، فقال متسائلًا وهو يظهر عليه الإجهاد الشديد:

- ما الأخبار؟ هل وصلتم إلى شيء جديد؟

هنا رفع طارق الحافظة التي معه بالقرب من محمود وأجابه بكثير من الاستياء:

- علبة السجائر التي كانت على بطن الجثة وجدناها مفتوحة وبها خمس عشرة سيجارة فقط، وكتب حرف عربي مختلف على كل واحدة منهم إلا اثنين تُركَا فارغين، هذا غير صورة الفتاة..

قاطعه محمود صارخًا بغضب وعيناه تتسعان تحديقًا لما في يده:

- جَنّة.

فنظر له طارق مستغربًا وسأله:

- جَنّة مَن؟

فأشار محمود بيدٍ مرتعشة لعلبة السجائر، وقال متلعثمًا وعيناه تلمعان حزنًا:

- هذه صورة جَنّة، ابنتي جَنّة.

تَفهّم طارق رد فعل محمود وربَّت على كتفه وقال بنبرة هادئة:

- إذًا يجب عليك الاتصال بوالدتها والاطمئنان عليها كي تطمئني.

نظر له محمود في حزن وهو يحاول أن يحبس دموعه بشهيقٍ طويل ثم أردف قائلًا بعد أن زفره:

- ليس ضروريًّا الاتصال يا طارق باشا، شكرًا.

حاول أن يرسم الجمود على وجهه وأردف:

- لأن جنّة توفت منذ عامين بسبب سرطان الرئة، وبعد ذلك بشهور قليلة طلبت منّي والدتها الطلاق.

نظر له طارق متأثرًا ثم قرَّر أن يجذبه مرة أخرى في القضية فقال متسائلًا:

- وما السبب الذي يجعله يضع صورة ابنتك الله يرحمها على علبة السجائر؟

صمت قليلًا محمود ثم رفع نظره للحافظة البلاستيكية فعلم طارق أنه نجح في أن يجذب انتباه، فلاحظ أنه مدَّ له يده طالبًا منه أن يعطيها له، فاستجاب له طارق رغم أنه قلق أن يفسد هذا الدليل بسبب تلك الصدمة التي اجتاحته منذ لحظات، ما إن أخذها منه محمود حتى قربها منه مدققًا فيها، ثم أجاب مبتسمًا وعيناه تلمع حزنًا:

- جنّة كانت فعلًا جنتي في هذه الدنيا، كانت كل شيء جميل أراه بعيني، ألم العمل ومعاملة المجرمين والخطر الذي نواجهه سيادتك، كل هؤلاء أمام ضحكتها لي كان يتبخر أمامي أو يذوب، كنت أشعر أني أعيش بأنفاسها هي وليس بأنفاسي، لقد أرسلها الله لي رحمة من جهنم الدنيا، وعندما ماتت رحلت جنتي معها فعلًا، وأصبحت أعيش في جهنم الدنيا كما تراني الآن، العمل.

زفر زفرة طويلة أمام متابعة طارق له باهتمام ثم أردف:

- وسبب طلاقي أن زوجتي كانت ترى أني السبب في

مرض ابنتي بسرطان الرئة بسبب تدخيني الشره، حتى ماتت في النهاية بعد صراع طويل وصعب مع المرض، كانت تراني قاتلًا ولا تستطيع أن تعيش معي، وللأسف لا أستطيع أن أنفي عني التهمة، فهي بالتأكيد محقة في اتهامها لي.

- هل تقصد من حديثك هذا أن القاتل هنا يعرفك جيدًا ويعلم تفصيلة صغيرة مثل هذه عنك، وهذا سبب ربط صورة إبنتك الله يرحمها بعلبة السجائر؟

قالها طارق وهو ينظر لعلبة السجائر لكنه تفاجأ بتحرك محمود مسرعًا نحو الطاولة ووضع الحافظة البلاستيكية عليها، وأخرج مدونته الصغيرة وقلمه وبدأ في كتابة الحروف التي كتبت منفصلة على لفائف السجائر، وهو يقلبها من خارج الحافظة البلاستيكية بكثير من الحرص دون أن يفتح الحافظة حتى لا يلوثها ببِصماته ويشتت رجال الطب الشرعي، فكانت الحروف الخمسة عشر منفصلة كالتالي (ي ، ا ، ب ، د ، ا ، ر ، ل ، ا ، ذ ، ح ، ع ، س ، د) وهنا دنا طارق منه وقبل أن يسأله وجده يقول له بصرامة دون أن ينظر له:

- عامر يريد أن يرسل لي رسالة ما، وهذه هي طريقته التي يفضلها، إنها الألغاز، وهذا لغز جديد يريد من خلاله أن يلعب بنا قليلًا فهذه هي عادته وطبيعته السادية اللعينة، لكن هنا أراد أن يكون مباشرًا عن المرات السابقة في القضية، هذه المرة معنا اللغز ونعلم من صاحب الملف

الذي يخص اللغز، أتعلم مَن هو طارق باشا؟

- «M.S».

قالها طارق وهو يومئ برأسه إيجابًا لينظر له محمود مستغربًا جاهلًا بما قاله، ليجد طارق يلتفت بجانبه ويمسك الحافظة البلاستيكية الأخرى التي كانت مع رجل الطب الشرعي والتي تحتوي على القداحة، قائلًا بثقة وهو يشير نحو محمود بسبابته:

- إنه أنت، القداحة التي كانت بجانب علبة السجائر كُتبَ عليها حرفان «M.S» وهما أول حرفين من اسمك الثنائي «M.S» محمود صقر.

رفع محمود حاجبه مستغربًا ونظر إلى القداحة بداخل الحافظة البلاستيكية والتي ناولها له طارق ليتأكد مما قاله، و ما إن رآها حتى قال ورسم ابتسامة ساخرة مزيفة:

- حمدًا لله على السلامة يا عامر سمير المندراوي.

***

صعد محمود الدرج بداخل مبنى مديرية الأمن يتفحصه متأملًا بنظرة يملؤها الحزن والحسرة متذكرًا أنه كان من المفترض أن يصعده بكل فخر وهو ذاهب لمكتبه الجديد يتسلم مهامه الجديدة منتظرًا ترقيته في أقرب حركة إلى الترقيات، وليس كي يصعده الآن كي يجلس بمكتب المقدم طارق لأنه كلف من القيادات بأن يدير هو ملف

تلك القضية، ويبقى هو مجرد مساعده يشاركه التحقيق لخبرته بتلك القضية ليس إلا، وليس من المعقول أن يأتي المقدم طارق ويدير القضية من خلال مكتبه الصغير بالقسم، بل يجب أن يحضر هو له، وتنتهي زيارته لهذا المكان بانتهاء تلك القضية.

ظل يلعن ويسب عامر في عقله مع كل خطوة يخطوها نحو مكتب المقدم طارق، هو السبب في كل هذا فلقد تلاعب به كعملة معدنية يقلبها بين أصابعه أحيانًا ويلقيها في الهواء أحيانًا أخرى، يحاول أن يتمالك أعصابه ويقود مشاعره في الطريق الصحيح ولا ينجرف للغضب، فيؤثر على قراراته وتركيزه في تلك القضية، ويجعل تفكيره همجيًّا غير منظم عكس طبيعته، لكن كانت صورة جَنّة ابنته التي انتهى بها المشهد الدموي للجريمة هي السبب في تحطيم كل تلك المحاولات.

وصل حد الباب فأخبر الجندي المسؤول عن حراسة مكتبه أن يخبره بحضوره، دخل لحظات ثم عاد فاتحًا الباب له ليدخل ناظراً إلى الغرفة الواسعة والتي تساوي مساحة مكتبه بالقسم، ولكن ما صدمه هو طارق نفسه الذي لم يقف مرحّبًا به بل ظلَّ جالسًا في مكانه إلى مكتبه ينتظر قدومه له، ما إن وصل أمامه حتى نهض ببطء مرحبًا بجدية:

- نورت مكتبي حضرة الرائد محمود، وبإذن الله به نستطيع معًا أن نغلق القضية التي قلبت حياتك الفترة

الماضية.

لم ينَل هذا الترحيب الفاتر بتلك الطريقة استحسان محمود بل شعر بالإهانة، ولا يعلم هل عن قصد منه أم لا؟ ولكن كان رده مقتضباً:

- إن شاء الله.

بدأ طارق بتصفح عدة أوراق أمامه واختار منهم واحدة وكأنه كان يبحث عنها ثم مدَّ يده بها نحو محمود، والذي بدوره أخذها منه وما إن شرع في قراءتها حتى باغته طارق قائلًا:

- هذا هو التقرير الطبي الخاص بالمتهمات الثلاثة استلمته صباح اليوم بعد أن قضوا ليلتهم بالمستشفى واستطاع الفريق الطبي هناك على نزع القناع الملصق عليهن بحرص وعناية لأني بلغتهم بذلك؛ لأن الأقنعة دليل هام يجب الحفاظ عليه من التلف، وبالطبع تم تسليم الأقنعة لقسم الطب الشرعي وننتظر تقريره خلال اليومين القادمين، لكن للأسف هناك مشكلة كبيرة وسوف تضطرنا للتفكير في حلول بديلة سريعة.

لم يستجب محمود إلى ملاحظته الأخيرة وأكمل قراءة التقرير، وبالتالي ظلَّ طارق ينتظره وهو يتابع تعبيرات وجهه على ما يوجد في التقرير، والذي بدأ بالغرابة ثم الدهشة حتى انتهى بالصدمة وصاح غاضباً في طارق:

- ماذا يعني أنهن مُصابات بفُقدان ذاكرة مؤقت غير

معلوم سببه؟ إذًا كيف سوف نحقق معهن؟ وكيف سوف نعرف هويتهن من الأساس؟ وما علاقتهن بعامر وديجا وزياد هذا إذا كان اِشتباهنا في الأقنعة صحيحًا؟

رفع طارق كفَّ يديه أمام وجهه طالبًا منه الهدوء قليلًا:

- يجب أن نهدأ قليلًا حتى نستطيع أن نفكر جيدًا، الأسئلة بهذا الشكل تزيد الحبل عُقدًا ولا تحله، أطلب منك الرَّويَّة يا محمود ولكن بتركيز أكثر.

نهض طارق من جلسته ودار حول مكتبه، ثم جلس أمام محمود بالمقعد الذي يقابله وقال مبتسمًا ابتسامة خفيفة:

- عندما كنت صغيرًا كنت أحب أن أحلّ أي لعبة من أجزائها، أفكها جزءًا جزءًا ولا أترك جزءًا إلا عندما أفهم جيدًا كيف استطعت فكها وما أهميتها؟ ولماذا وجدت بها؟ وإذا لم توجد بها ماذا سوف يحدث؟ حتى أرى اللعبة قد تم فكها عن آخرها أمامي بكل فخر وسعادة بالإنجاز الذي حققته، وبالتأكيد أن تعرف الأطفال الذين يخربون اللب بسبب الفضول أو المتعة بذلك، أما أنا... أشار بسبابته اليمنى نافيًا ثم أردف حديثه:

- كان يهمني التحدي في أن أعيد تجميعها مرة أخرى؛ لأن هذا هو الإنجاز الكامل بالنسبة لي، وهذا هو اللعب والمتعة وبعد ذلك لا ألعب بها مرة أخرى، أصبحت ليست بنفس الرونق والشغف السابق أو محور اهتمام لي.

ثم انحنى بظَهره للأمام ودنا برأسه نحو محمود قائلًا بجدية:

- وهذا ما يجب أن نفعله في هذه القضية؛ أن نفك أجزاءها، ونحاول أن نفهم كل جزء على حدة، ونراها بشكل رأسي من أعلى وهي مفككة أمام أعيننا، حتى نستطيع أن نفهمها جيدًا.

ثم عاد بظهره لوضع الجلوس المعتدل وهو يشير بسبابته نحو محمود قائلًا:

- وأنا لن أجد مَن يفك أجزاءها أفضل منك يا محمود، شخص استطاع أن يفكها من قبل..

قاطعه محمود في حدة ويأس:

- تقصد فكها خطأ يا طارق باشا.

فزفر طارق زفرة قصيرة وسَعل مرتين ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة وأخرج منها حبة بيضاء، وقذف بها في فمه وأمسك بكوب المياه الذي كان على سطح مكتبه وما إن أنهى تناولها حتى قال في هدوء:

- أنت مخطئ يا محمود بيه، أنت لم تفكها بشكل كلي ما نتج عنك هو جزء بسيط منها، وما رأيناه بالأمس هو الجزء المتبقي أو الثاني، وسوف يكون هناك أجزاء أخرى.

اتسعت عينا محمود بغضب مفكرًا في كلمات طارق الذي أردف في حديثه:

- وحتى نعرف هذا يجب أن نسبقه بخطوة واحدة، وكي

نسبقه يجب أن نكون معه في السباق من الأساس، ونحن سوف نتخيل أننا مازلنا عند خط البداية حتى نبدأ بشكل صحيح، هيَّا نبدأ السباق؟

أنهى كلماته ونهض منتصبًا في مكانه ناظرًا بحماس إلى محمود الذي بَادله النظرات مستغربًا، ثم نهض هو الآخر وقال في شيء من الجدية:

- هل سوف نجري حقًّا أم ماذا؟

ثم رسم ابتسامة على وجهه لأول مرة منذ دخوله مكتب طارق، وهذا ما جعل طارق يضحك عندما علم بمُزحته تلك، ثم مدَّ يده مصافحًا، ليصافحه محمود هو الآخر، وهنا عاد طارق لمقعد مكتبه ومحمود يخرج مدونته الصغيرة وهو ينصت لطارق الذي قال له:

- بسم الله، نحن سوف نبدأ بالجزء الذي أمامنا ونحلله جيدًا، ثم نعود للملف قضيتك حتى نصل لجذور كل شيء سوف نصل له، هناك حكمة أعمل بها تقول «ابدأ طريقك من خط نهاية منافسيك»، وآخر شيء أمامنا هو فيديو البث الذي حدث بالأمس، أنا سوف أشغله الآن من بدايته حتى نهايته مرتين، وسوف نكتب ملاحظاتنا عليه ثم نتناقش في النهاية، أنا أعلم أنك تفضِّل أن تكتب ملاحظاتك بطريقة رمزية مشفرة في مذكرتك الصغيرة تلك، وأنا بطبعي أحب النظام، فهيَّا بنا نبدأ العمل.

أمسك طارق جهاز التحكم عن بُعد وفتح التلفاز ثم

قام بتشغيل فيديو البث ليشاهده محمود مدققًا لأول مرة من بدايته، وفي أول مرة لم يكتب أي ملاحظة بل ظلَّ يشاهده بدقة وتفحص شديدين، وفي المرة الثانية بدأ في كتابة عدة ملاحظات وقبل نهايته الجزء الأول منه والذي يخص اعتراف عامر قبل أن ينقطع الفيديو المسجل ليبدأ فيديو البث المباشر بداخل الاستديو الإخباري المزيف لموقع الحادث في الليلة السابقة، وأثناء اِنتباههم الشديد طُرق الباب، مما جعل طارق متضايقًا يقوم بتثبيت حركة الفيديو حتى يعود له مرة أخرى بعد أن ينتهي مما دعا محمد حارس مكتبه للدخول عليه الآن، نظر له طارق منتظرًا بَوحه بالسبب المُلحّ الذي دعاه أن يدخل عليهما رغم تحذيره بعدم إزعاجه، فيردّ في تردُّد:

- أنا آسف يا افندم، لكن هناك سيدة بالخارج يا معالي الباشا ترغب في الدخول إلى معاليك، تقول أن لديها معلومة مهمة بخصوص القضية التي تعمل عليها معاليك.

نظر له طارق مستغربًا ثم نظر لمحمود رافعًا حاجبيه فعاد إلى محمد مجيبًا:

- اتركها تدخل، ولكن أبلغها أن لها لدي أكثر من خمس دقائق، فنحن مشغولان جدًّا.

أعطى محمد التحية العسكرية ثم خرج مناديًا عليها فدخلت فتاة في أواخر العقد الثاني من عمرها مليئة الجسد بعض الشيء بيضاء البشرة ترتدي حجابًا زهري اللون وفستانًا

أزرق طويلًا، ترتدي عوينات دائرية الشكل مثل وجهها الصغير، فكوَّنَت إطارًا لعينين حمراوين ذابلتين من كثرة البكاء، ولكنها تخطو بخطوات شبه ثابتة تحاول أن تؤدي دورَ الصلابة لكنها فشلت في إظهاره بكل نجاح، ما إن وصلت لمنتصف الغرفة حتى بادرها طارق بسؤالها:

- أنا آسف، ولكن أرجو منك أن تخبريني بما لديك من معلومات سريعًا لأننا في عجلة من أمرنا، وبالطبع قبل أي شيء عرفينا بنفسك مَن أنتِ؟

قامت بشهيقٍ طويل مغمضة عينيها حتى تفتحهما وهي تزفر في هدوء وبطء وهي تومئ برأسها معلنة الموافقة ثم قالت في هدوء مرتعش وبصوت خفيض:

- فريدة عبد العظيم وهدان، أنا قادمة من أجل أن هناك قناع من الأقنعة التي ترتديها السيدات بالأمس في فيديو البث الشهير أنا أعرف صاحبه جدًّا.

- مَن يا أستاذة فريدة؟

قالها طارق مستفسرًا لتجيبه بعد أن أخذت شهيقًا سريعًا وأخرجته في هدوء وأجابت:

- كانت هناك واحدة من السيدات المجانين كانت ترتدي وجه والدي كقناع لعملياتهم البشعة التي فعلوها بالأمس، وش والدي الدكتور عبد العظيم وهدان.

قالتها وانهارت بالبكاء لينظر طارق لها مستاء ينتظرها

حتى تهدأ ليستطيع أن يأخذ منها معلومات أكثر عما أدلت به، أما محمود فكان يرسم في مدونته الصغيرة ثلاث دوائر، الدائرة الأولى كتب فيها زياد والثانية ديجا والثالثة عبد العظيم، ثم رسم دائرة تحتهم فارغة ووضع بها علامة استفهام كبيرة وكتب تحتها «الجثة».

***

«قاتلي العزيز، هل تعلم أن الشعور بالندم لن يأتيك بعد قتلك لي أبدًا مثل أي ذنب يقوم به أي بني جنسك، لأنه سيكون متعة تتمناها ولذة تشتهيها».

الفصل الثالث

أرقـام و ألغـاز

18 أكتوبر 1979

بداخل شقة فاخرة في بناية حديثة تقع خلف فندق هليوبوليس، شقة تميز بالأثاث الحديث من حيث الشكل والثراء، من حيث تواجد الكثير من التحف والمنحوتات التراثية بعض الشيء، وفي صالتها الواسعة وتحت أضواء خافتة تتراقص بألوانها الكثيرة كان عامر يؤدي بعض الحركات راقصًا مع فتاة على أغنية فوليّ فو (Voulez-Vous) إحدى أغاني فريق الروك السويدي الشهير أبّا (Appa)، يتمايلان هما الاثنان بحركات سريعة وانفعالية في سعادة على ألحان تلك الأغنية تتطاير معها خصلات شعرهما الكثيف، ما إن أشرفت الأغنية على الانتهاء حتى تحركت الفتاة نحو مشغل الأسطوانات الموسيقية وضغطت على أحد أزراره، فتوقف المشغل عن العمل وعم الصمت، لكن ما زالت تتراقص الإضاءة في الأركان ويتراقص الظل هو الآخر بسببها، مما يضيف جوًا كأنها أحد الملاهي الليلية الشبابية العصرية، تدنو نحو طاولة بجانبها وتمسك حقيبتها وتخرج منها علبة سجائر وقداحة ذهبية رفيعة، تترك علبة السجائر على الطاولة، ثم رفعت القداحة وأشعلت شموعًا تنتصب قامتها على شمعدان فضي، ثم استدارت وهي تتنهد وتلاحق أنفاسها السريعة والتي

تخرج من شفاها المبتسمة وعيناها تلمع وهي تنظر لعامر في غرام لا تستطيع أن تستره، فتحاول أن تهرب من عينيه فتمد يديها وتمسك علبة السجائر وتخرج لفافة تبغ وتشعلها في هدوء وتزفر دخانها في بطء ودلال ورقة وهي تختلس النظر له، فتجده قد اتخذ القرار ليدنو منها بخطوات ثابتة وعيناه تلمعان بريقًا أثارَ دفء مشاعرها حرارة، وما إن وصل لها حتى خطف من شفاها لفافة التبغ وأطفأها على سطح الطاولة، ثم مدَّ يده لامسًا وجهها بسبابته وكأنه يرسمها في لوحة حقيقية، وهنا دنا بوجهه من أذنها وقال هامسًا:

- أحبك يا إلهام.

ترتسم ابتسامة على وجهها وكأنه أشرق من جديد، فتقفز فرحًا متعلقة برقبته، ويحتضنها هو فتصبح مرفوعة من على الأرض بسبب قبضته عليها بين ذراعيه، وتمنحه قُبلة قصيرة ثم أردفت قائلة بنشوة تشع بريقًا من عينيها:

- وأنا أحبك جدًّا يا عامر، ولدي خبر سوف يجعلك تحبني أكثر.

خطف منها قُبلةً أخرى وأردف متسائلًا:

- لا أحتاج لمعرفته، أنا أحبك بدونه أو به.

لمعت عيناها وازدادت وجنتاها احمرارًا وقالت وعيناها تتسعان سعادة:

- أنا حامل يا عامر.

اتسعت عيناه دهشة وملأت وجهه تعبيرات الجمود والصدمة، وأفلتها لتقع أرضًا مستغربة ردة فعله العجيبة، والذي زاد الموقف صعوبة أكثر هو تغير ملامح وجهه العَبوس والغضب والذي جعله يمد يده إلى علبة السجائر التي تعود لها، وأشعل لفافة تبغ ويسحب منها أنفاسًا سريعة فغاب وجهه الحانق خلف دخانها الكثيف مستندًا على الحائط بجوار الطاولة، عيناه تضيقان مفكرًا غير مبالٍ بإلهام، التي كانت تتابعه في غضبٍ وضيق وهي واقعة أرضًا ولم تشغل حيزًا من اهتمامه حتى، فقررت أن تنهض ولا تنتظر مساعدته وتقدمت نحوه بخطوات غاضبة محذرة ببركان سوف ينفجر فيه، ودنت بوجهها منه وسط الدخان الذي أصبح يغطي وجهه قائلة بنبرة يملؤها الغضب والصدمة:

- هل من الممكن أن أعرف ما الذي فعلته الآن؟

رماها بنظرة جامدة لا تعبر عن شيء وأكمل تدخين لفافة التبغ التي أشرفت على الانتهاء، ولم يجِب تساؤلها مما أثار استفزازها كثيرًا، فدنت منه أكثر وعقدت ذراعيها على صدرها واشرأبت قليلًا ليقابل وجهها وجهه وتعلن نديتها له رغم قامتها القصيرة وقالت بنبرة صارمة بعض الشيء:

- أنا أتحدث معك ويجب أن ترد عليَّ.

استمر في تحاشيها ومدَّ يديه حتى يشعل لفافة تبغ أخرى

ولكن قبل أن يصل لهيب القداحة لطرف اللفافة، وجد إلهام خطفتها من فمه وألقت بها أرضًا، ثم نكزت صدره بسبابتها قائلة غاضبة:

- يجب أن تحترم حديثي لك وترد عليّ.

نظر للفافة التي رست أرضًا بجوار قدم إلهام، ثم عاد بنظره صاعدًا لأعلى مرورًا بقدمها حتى عينيها، وعيناه اتسعتا وجحظتا تحديقًا باحتقار، وانعقد حاجباه وعلا صوت زَفيره لينتهي هذا الخليط الثائر من المشاعر بصفعة قوية رمتها أرضًا، صرخت باكية وأصابع يديه رسمت لوحة حمراء على خديها، نزل جالسًا على ركبته بجانبها والتقط مرة أخرى لفافة التبغ التي كانت معه وأشعلها وسحب منها نفسًا عميقًا، اتضح في زَفيره البطيء وهو يتابع دخانه المتطاير أنه هدأ قليلًا، فقال ببطء وكأنه يتحسس حروفه نطقًا مما أضاف في نبرته الكثير من الحدة:

- لا تحاولي أن تكرّري فعلتك تلك مرة ثانية معي، أنا لا يقف أمامي أحد ويتحداني، مهما كان لي.

أثَّرت كثيرًا تلك الكلمات على إلهام بتلك النبرة الصارمة، واجتاح الخوف والرعب ملامحها فحاولت أن تستند على يديها لكي ترفع جسدها قليلًا وقالت بصوت خافت مرتعش:

- أنا آسفة، كنت أظن أنه خير سوف يفرحك، أن نتزوج بشكل رسمي ويكون لدينا أطفال.

اهتز وجهه بعد بسمة صغيرة ساخرة وأكمل تدخين لفافته، لتستقيم إلهام جالسة وسألته في محاولة منها تصنع الصرامة:

- متى سوف نتزوج؟

أسند ظهره على أحد أرجل الطاولة ولم يجِبها، فدنت هي منه بشيءٍ من التوجس والحذر، وهي مستمرة في حدتها الواهنة:

- لا يعني قبولي بأن نتقابل هنا عندما يسافر والدي إلى الإسكندرية كل أسبوع أني خائفة منه، ولا أستطيع أن أخبره عما يدور بيننا، لا لأنني سوف أخبره بكل شيء وحينها سوف تتزوجني غصباً عنك.

تعالت نبرة صوتها في آخر كلماتها وظهر شيء من التحدي فيه، ولكن بعد أن لاحظت درجة انفعالها الزائدة تقهقرت خطوتين صغيرتين للخلف زحفًا تحاشياً صفعة أخرى منه، فآثار الصفعة الأولى وألمها لم يزولوا بعد، ولكن لم تؤتِ الخطة الدفاعية تلك ثمارها معه فلقد انقض عليها وسقطت لفافة التبغ من فمه، وعيناه أصبحتا جاحظتين بشكل مخيف، أدخل الرعب في قلبها ووجهه ازداد احمرارًا من الحنق والغيظ، اندفع ليقبض على رقبتها بكلتا يديه، فارتطم رأسها أرضًا فتصبح أسفله ويحكم تثبيت لها أكثر، ويظل يقبض عليها خانقًا أكثر بتلك الوضعية، فتحاول أن تدفعه بكلتا يديها، ولكن لم تقدر على قوته

وتصلَّب عضلات جسده، فظلت تضربه بقبضتها وهي تشعر بضيق التنفس، وفمها بدأ في الاتساع تلقائيًّا محاوِلًا التشبث بالهواء الذي كاد أن يفرغ منها، عينها تجحظ هي الأخرى محاولة طلب الرحمة منه، ولم يشفع وجهها الذي انتفضت منه العروق من شدة قبضته عليها، سواد عينيها ارتفع لأعلى واختفى أسفل الجفن ونطق بياض عينيها الشهادتين.

وفي تلك اللحظة تلمع عين عامر ببريق لذة، يفلت قبضته قليلًا ويبتسم وكأنه عثر على ما هو أمتع من قتلها خنقًا، فخلع عنه سرواله وخلع عنها ملابسها وهي تسعل غير قادرة على فعل شيء فلقد عادت للحياة توًا بعد أن كانت تقف على عتبة نهايتها، بدأ يطفئ لهيب شهوته ويستمتع بها وهي تشعر بنشوة الحياة مرة أخرى، غير مصدقة أنها ما زالت تتعلق بطرف تلك الدنيا ولا تأبى بما يفعله بها، فهذا ما تعشقه فيه؛ عنفه وجنونه رغم أنها لم تصل لتلك المرحلة من العنف من قبل، ولكنها أحبتها تلك المرة.

ولكن ما إن انتهى منها حتى نظر لها نظرة تعرفها جيدًا ولاحظ أنها تبادله نظرة الاستمتاع تلك فانحنى وأمسك بيديها وقبَّل راحتها برقة ثلاث مرات، ثم مدَّ يده الأخرى وأمسك بباقي لفافته التي كانت ساقطة مشتعلة بجانبه ونفخ فيها كي يتطاير التبغ المحترق من عليها وتنير بوضوح شعلتها المتسترة بهذا الرماد، ثم بحركة واحدة أطفأها في راحة يد إلهام، وقبض عليها ضاغطًا فلا تستطيع الإفلات منها

ولا يخرج منها سوى صرخة عالية وهو يضحك ساخرًا ثم أردف:

- لم يُخلق بعد من يهدد عامر.

***

كان ما قالته فريدة ابنة الدكتور عبد العظيم له سحر خاص في جذب انتباه طارق بعد إخباره أنها تعرفت على وجه والدها المسلوخ، والتي كانت ترتديه إحدى المتهمات كقناع لها في فيديو البث الأخير، مما دفعه أن يدعوها للجلوس، فجلست بالمقعد المقابل لمحمود الذي ما زال يدوِّن ملاحظاته بمدونته الصغيرة، فهَمّ طارق بسؤالها باقتضاب:

- ممكن تحكي بكل حاجة وأي حاجة تعرفيها.

أومأت برأسها إيجابًا وسحبت شهيقًا طويلًا يستطيع أن يؤخر قليلًا لحظات انهيارها الباكية، تحاول أن تتماسك كي تحكي كلَّ ما تعرفه، بعد أن زفرته ببطءٍ وهدوء وشعرت أنها أصبحت أفضل نوعًا، ما نظرت إلى طارق ومحمود اللذين ينظران لها صامتين، فبلعت ريقها وبدأت في الحديث قائلة بصوت هادئ ومرتعش بعض الشيء في بدايته:

- والدي الدكتور عبد العظيم وهدان أستاذ جامعي ورئيس قسم التشريح بمستشفى غرب.

- مستشفى غرب؟

قاطعها طارق بسؤاله هذا وهو يميل باتجاهها متسائلًا مستغربًا من قولها، وهذا ما أثار فضول محمود لينتظر منه تفسيرًا أو منها تصحيحًا، فنظرت لطارق وقالت مستغربة مترددة:

- نعم مستشفى غرب حضرتك، هل قلت شيئًا خاطئًا.

حاول طارق أن يطمئنها بعض الشيء ويتأكد من المعلومات التي لديه:

- لا، لا يوجد شيء خاطئ في حديثك، ولكن ما أعرفه أن آخر رئيس إلى قسم التشريح بمستشفى غرب هو الدكتور يحيى عزمي، والمستشفى لم تُعيِّن بديلًا عنه رغم أنه توفى منذ عدة شهور..

ظهر على ملامح فريدة جهلها تمامًا بما قاله، فانتقلت تقاسيم وجهها من الاستغراب للصدمة ثم الرفض فقالت:

- لا حضرتك ما أعرفه أن والدي كان رئيس لقسم التشريح حتى أول أمس، وهو مُعيَّن في هذا المنصب منذ ست سنوات، أنا والدي ظلَّ ست سنوات يذهب لعمله صباحًا في موعده، بالتأكيد هناك شيء خطأ.

أومأ طارق يمينًا ويسارًا معلنًا رفضه لما قالته فيقول في شيءٍ من التأسف:

- لا يا أستاذة فريدة أنا آسف، معلوماتك هي الخاطئة، والدك الدكتور عبدالعظيم تقدم بطلب إجازة لسفره هو

وأسرته بشكل مفاجئ منذُ أربعة شهور تقريبًا، ومَن أستلم القسم مكانه هو الدكتور يحيى عزمي والذي توفى منتحرًا منذ فترة قريبة، ومِن يومها لم يظهر والدك ثانية حتى يقطع إجازته ويعود للعمل.

- غريبة، إننا لم نخرج من البلاد منذ ما يقرب من عامين الآن وهذا بسبب دراستي، ولم يسافر أحدًا فينا سوى والدي وكان هذا منذ ثماني شهور تقريبًا.

كان هذا ردّ فريدة مستنكرة الحقيقة التي أخبرها بها طارق والذي أردف وهو يشير بسبابته نحو الأوراق التي تخص القضية:

- الغريب فعلًا، أن يتصادف اليوم الذي يقدم فيه طلب عطلته المفاجئ مع اليوم الذي وقعت فيه الحادثة الأولى للمدعو عامر هذا، الذي بثّ فيديو مباشرًا مزيفًا على الفيس بوك ليفضح أسماء من قتلوه.

ثم قال وهو يشير نحو التلفاز الذي ما زال مثبتًا على الفيديو البث الأخير والذي فيه عامر يجلس في الظلام ناظرًا للأمام:

- وهو أيضًا نفس الشخص الذي ظهر في فيديو الأمس والذي رأيتِ وجه والدك فيه.

احتلت البلاهة ملامح وجهها بجدارة فهي لم تستوعب ما قاله طارق بشكلٍ جيد، ولكنه لم ينتظر الرد منها وباغتها بسؤاله، وهو يلاحظ محمود الذي يدوِّن في مدونته الصغيرة،

وكأنه يطمئن بأن ما سوف يأتي يجب حفظه مكتوبًا قائلًا في جدية وسرعة:

- آخر مرة رأيتِ فيها والدك كانت متى؟

- منذ ثلاثة أيام، أوصلني إلى الكلية ورحلَ، حاولت أن أتصل به أنا ووالدتي ولكن كان هاتفه مغلقًا، ولقد سجلت محضرًا باختفائه أول أمس ليلًا وهذا هو رقم المحضر.

قالتها فريدة ثم همَّت بإعطائه ورقةً صغيرةً من حقيبتها، فمدَّ هو يده وأخذها منها، ثم ناولها لمحمود الذي وضعها أمامه ودَوَّن ما فيها عنده، وهنا نهض طارق من جلسته ومدَّ يده مصافحًا:

- متشكر جدًّا على المعلومات التي قدمتِها لنا، وأطلب أن تتركي رقم هاتفك مع الرائد محمود، وعندما نحتاج لك سوف نكلمك بالتأكيد.

نهضت من جلستها وصافحَته ثم وجَّهَتْ وجهها نحو محمود وأملت عليه رقمَ هاتفها، ثم همَّت بالانصراف إلا أن طارق صاح مناديًا فيها قبل أن تخرج:

- أستاذة فريدة.

فتوقفت وانتصبت مكانها وهي تنظر له منصتة فأردف:

- الدكتور عبد العظيم والدك بالنسبة لك هو فقط مختفٍ، حتى يتم إثبات غير ذلك، ولذلك يجب أن تكملي طريقك في البحث عَنه كمُختفٍ وليس مقتولًا.

أومأت برأسها تفهمًا وخرجت من المكتب ليلتفت طارق إلى محمود متسائلًا:

- ما رأيك فيما حدث الآن؟

- بطاقة جديدة تضاف لباقي البطاقات، لكن رد فعلك الأخير كان غريبًا بالنسبة لي، لماذا قلت لها ذلك؟

قالها محمود متسائلًا ليعيد طارق رأسه للخلف ناظرًا إلى أعلى ويقول متأملًا لفراغ السقيفة:

- أنا لا أفضِّل أن أسبق الأحداث، في عملنا يتحتم علينا التعامل مع الحقيقة، والحقيقة بالنسبة لنا هي عبارة عن ورقة رسمية غير هذا هو مجرد احتمال لحقيقة مزيفة، وأنا لا أتعامل سوى مع الحقيقة ولا يوجد مكان للتفكير في الاحتمالات، الدكتور عبد العظيم بالنسبة لي هو مجرد ورقة في محضر تثبت أنه متغيب فقط غير ذلك مجرد تكهنات.

اعتدل في جلسته ثم نظر لمحمود وهو يشير إلى مدوَّنَتِه:

- أما ما قيل فهو حدوده هذا المكان، لأنه من الممكن أن يفيدنا في أن نجد الحقيقة أو نثبت أنها حقيقة وليست مجرد نقاط وملاحظات مدوَّنة في ورقة صغيرة، حتى تصبح ورقة رسمية، وهذا هو دورنا يا محمود.

أومأ محمود رأسه بقبول تلك النظرية وشرد لحظات مفكرًا فيها وكيف كانت من الممكن أن تفيده في قضية

عامر إذا ابتعد عن التكهنات والاحتمالات والبُعد عن الأوراق والحقائق الرسمية، حتى يفصل عن شروده هذا صوت طارق وهو يسأله ممسكًا بسماعة الهاتف عن نوع قهوته المفضلة لكي يحتسيها معه، ولكن أجابه محمود بأنه لا يشرب القهوة وأخبره بنيَّتِه في شرب مشروبه الخاص، وبالفعل طلبه طارق كما شرح له محمود عن كيفية صنعه، وبالفعل جاء عامل البوفية بفنجان قهوة مضبوطة لطارق والمشروب الخاص لمحمود، وما إن تناول منه رشفة حتى شعر بالراحة وفاجأه سماع صوت عامر فيلتفت نحو مصدره ليجد طارق قد أعاد تشغيل الفيديو، فأمسك بمدونته ثانيًا وعاد يدوِّن ملاحظاته حتى انتهى الفيديو للمرة الثانية، فأطفأ طارق التلفاز واستدار لمحمود وهو يمسك بقلمه متسائلًا:

- ما هي ملاحظاتك على الفيديو؟

استدار محمود في اتجاه طارق وقال في جدية:

- الفيديو مقسَّم إلى جزئين، الجزء الأول عامر ينقل من خلاله رسالته المستفزة أنه ما زال حيًّا ولم يمت، هذا غير محاولة إخبارنا بشكه في اغتياله، وينتهي هذا الجزء بدخول المفترض أنهم قاتلوه المحتملون.

كان طارق ينصت له باهتمام وهو يدوِّن ملاحظات على حديثه في الورقة التي أمامه، ثم أردف محمود حديثه:

- والجزء الثاني نرى جثة من المفترض أنه يوهمنا بأنها

تعود إلى عامر يظن أننا سوف نصدقه مرةً ثانيةً، وسوف يتلاعب بنا بسبب الشبه الجسدي في الحجم والطول القريبين من شكل عامر في الجزء الأول ولكن هذه المرة بدون وجه، وثلاثة وجوه آخرون مسلوخون يعودون إلى زياد وديجا والدكتور عبد العظيم، والثلاثة أقنعة يرتديها ثلاث سيدات ولا نعرف ما هي علاقتهن بعامر، هذا غير عثورنا على ثلاثة ألغاز مدوَّنين على ذراعيّ وصدر جسد الجثة، هذه كل ملاحظاتي على الفيديو يا افندم.

هنا توقف طارق عن الكتابة وترك القلم وبان على وجهه الجمود وقال بحدة:

- خطأ يا حضرة الرائد، أنت لم تنتبه بعد لما قلته لك.

اجتاحته ملامح محمود الحيرة ثم الاستغراب، وحاول أن ينظر إلى مدوَّنته يراجع ما فيها من خطأ قد قاله ليقطع مراجعته تلك طارق قائلًا:

- أولًا يا محمود باشا لقد بلغتك أن طريقتي في تحليل تلك القضية سوف يعتمد على فك أجزائها، أي يجب نفهم طريقة صنع الجريمة وليس شكل الجريمة، بتلك الطريقة أنت تعتبر قد حللت الفيديو بنفس طريقتك السابقة لحل القضية، وهذا سوف يوقع بنا في النهاية في نفس الحفرة التي أَسقطك بها عامر من قبل وهذا ما يعتمد عليه، وبتلك الطريقة لن نستطيع أن نسبقه أبدًا.

كانت تلك الكلمات قاسية على محمود الذي شعر بالخيبة

واشتعل حقده على عامر الذي وضعه في هذا الوضع المهين، ولكنه حاول أن يهدِّئ نفسه وأمسك بكوب العصير وتناول رشفة طويلة منه، ثم قال بجدية تختفي خلفها لمسة من السخرية:

- هل من الممكن أن تخبرني بأسلوب سيادتك لتحليل أجزاء الفيلم كما ترى معاليك.

تفهم طارق مقصد محمود فابتسم ابتسامة صغيرة مجيبًا:

- أولًا الفيديو مُقسَّم إلى جزئين وهذه النقطة التي اتفقت معك فيها، لكن اختلفت معك في أشياء كثيرة، الفيديو الأول مُسجَّل و بمكان مظلم أو مقصود أن يظهر هكذا، والفيديو الثاني كان بثًا مباشرًا عن طريق قرصنة قناة كبيرة، وهنا نأتي لأول ثلاثة أسئلة، هل المكانان بالجزئين واحد أم مختلفان؟ هل لعامر خبرة في القرصنة والتشريح أم له مساعدون في ذلك؟ من هم المساعدون؟

أثرت ملاحظات طارق في محمود الذي اتسعت عيناه تركيزًا وانتباهًا للملاحظات طارق وأنصت له وهو يسترسل حديثه بجدية قائلًا:

- أما الجزء الثاني به أسئلة مهمة جدًّا، هل الجثة تعود إلى عامر حقًّا أم لا؟ لأن الإجابة على هذا السؤال إذا كانت نعم، إذًا مَن قتله؟ وأين وجهه المسلوخ؟ أم وجهه ضمن الثلاثة وجوه المسلوخة؟ وأين الجثث التي تعود لها الوجوه؟ وهل فعلًا الوجوه المسلوخة تعود إلى زياد وديجا وعبد

العظيم كما ظننا؟ والسؤال الأهم من الذي يدير كل هذا إذا كان عامر قد توفي بالفعل؟

وهنا أشار بسبابته محذرًا:

- هذا إذا كانت هذه جثة عامر أصلًا، أما إذا كان لا فسوف تكون أمامنا أسئلة أخرى، إلى من تعود الجثة الرابعة؟ أين عامر الآن؟ هذه هي الحقائق التي نستطيع أن نثبتها والتي سوف نعمل عليها يا محمود باشا.

قبل أن يجيبه محمود بإعجابه بملاحظاته التي سردها بهدوء واتزان قاطعه طارق:

- أما نقطة الألغاز فهذه نستطيع أن نصل لها بعد أن نجيب على الأسئلة التي توصلنا لها، نحن لن نلعب معه إلا عندما نعلم قوانين اللعب بشكل صحيح حتى نستطيع أن نفوز عليه.

- عندك كل الحق يا افندم، لقد وقعت في هذا الفخ المرة السابقة، ويجب أن ألعب معه هذه المرة بشكل صحيح.

قال محمود تلك الكلمات وملامح وجهه اتسمت براحة أكثر فهمَّ بإمساك كوب العصير ليتناول آخر رشفة فيه، وقبل أن تصل يديه له يجد طارق يفاجئه بقوله:

- هم أربعة وليس ثلاثة يا محمود ركِّز جيدًا.

عادت يده بجانبه فارغة واعتدل في جلسته وقال

مستفسرًا:

- ماذا تقصد بأربعة يا افندم؟ الجثث؟

أومأ طارق برأسه نافيًا وأردف:

- الألغاز يا محمود أربعة وليست ثلاثة، لا تنسى لغز علبة السجائر والقداحة، أليس كذلك؟

كانت تلك الكلمات مثل الركلة التي أطاحت بمحمود لحلبة غضبه مرة أخرى عندما تذكر هذا اللغز، وقال بغيظ واضح:

- لا تقلق معاليك، لن أنسى أبدًا.

***

أنهى طارق ومحمود تدوين الملاحظات، وطلب محمود منه أن يوضع على الحائط بمكتبه لوحة فارغة يدونون فيها الملاحظات بشكل أكبر وأشمل ويضع عليها كل المستجدات في تلك القضية؛ لأنه يفضل تلك الطريقة في تحليل القضايا أن يرى تفاصيلها أمامه بشكلٍ أوضح، ولم يرفض طارق طلبه هذا ولكنه اشترط عليه أن تحتوي اللوحة على الملاحظات التي توصَّلوا لها في النهاية وألا ينحرف عن طريقته التي أبلغه بها، فأومأ محمود برأسه موافقًا وأدى التحية العسكرية لتأكيد الأمر له وإثبات جديته في الموافقة، فأمر طارق محمد حارس مكتبه بأن يحضر لوحة كبيرة فارغة، وتعلق بجوار مكتبه على الحائط على أن

تكون جاهزة عندما يعودان من تناول الغداء.

خرج طارق ومحمود من المديرية وقاد طارق سيارته به حتى توقف أمام منزل صغير في أحد المجمعات السكنية الحديثة بغرب البلاد، مما أثار الفضول لدى محمود فسأله بشيء من الإحراج:

- حضرتك لم تخبرني أن وجبة الغداء سوف تكون في بيت معاليك.

ردَّ عليه طارق مبتسمًا:

- ومَن قال إن هذا هو بيتي؟

زاد فضول محمود أكثر وهو يتبع خطوات طارق لبهو المنزل الخارجي حتى وصلا لباب المنزل فضغط على زر الجرس، ومحمود لا يعلم أي شيء، ولكنه ينصت لصوت الجرس ومعه صوت نباح كلب، فعاد للخلف خطوة واحدة، وهو يراقب طارق الذي يهندم ملابسه قليلًا، وبعد لحظات قليلة يفتح الباب رجل في نهاية الثلاثين من عمره ممتلئ الجسد قليلًا أبيض البشرة، عيناه ضيقتان بعض الشيء لكنها تنم عن الحدة والصفاء معًا، يرتدي عوينات بدون إطار لها فلا تلاحظها من الوهلة الأولى، يبتسم الرجل لهما ببشاشة هادئة ويتضح عليه أنه يعرف طارق جيدًا، وبجوار قدمه تطل رأس كلب ذهبي الشعر، ما إن يراه محمود فيعود خطوة للخلف في توجس، فيردّ عليه الكلب بزمجرة صغيرة، وهنا صاح الرجل فيه مشيرًا له أن

يهدأ ويذهب بعيدًا، وبالفعل يطيعه الكلب ويختفي خلفه، وهنا يتحرك الرجل جانبًا فاردًا ذراعه وهو يفسح لهما الطريق مرحبًا بهما، وبالفعل يدخل طارق ويتبعه محمود في شيء من الشجاعة المزيفة يحاول أن يتزين بها، حتى يتبع طارق لصالة صغيرة قليلة الإضاءة إلا من شعاع ضوء النهار البسيط الهارب من النافذة التي شبه مغلقة تشعر وكأن المنزل بلا كهرباء أو صاحبه بخيل بشدة، يتفحص محمود المكان بعينيه ثم يجلس على الأريكة بجوار طارق، وهنا يدخل صاحب المنزل ويجلس على مقعده الجلدي بجوار النافذة، وما إن يعتدل في جلسته حتى يدخل الكلب بخطوات سريعة جالسًا بجوار قدمه، ينظران هما الاثنان لمحمود وطارق الذي بدأ الحديث:

- كيف حالك يا دكتور؟ أتمنى أن نكون جئنا في موعدنا ولم نتأخر.

- أنت شخص محترم يا طارق بيه وهذا شيء مُتوقَّع منك.

قالها الدكتور مجيبًا في هدوء، وهنا قال محمود دون أي مقدمات ناظرًا إلى طارق:

- أنا آسف لكن لم أفهم شيئًا يا طارق باشا.

- سامحني يا دكتور شريف الرائد محمود لم يعرف كل شيء بعد.

قال طارق تلك الكلمات مبتسمًا ثم أشار نحو الدكتور شريف:

- أعرفك يا محمود بيه على الدكتور شريف شوقي أستاذ دكتور في جامعة تكساس بأمريكا وأخصائي علم نفس الجنائي وتفسير سلوك المجرم، وقد تم تكليفه من مكتب الوزير أن يكون شريكًا معنا في حل القضية، ومن خلال خبرته وعلمه سوف يساعدنا في دراسة شخصية عامر وتحليلها وتوقع خطواته؛ لأني أرغب في أن أتحرك بخطوات ثابتة في القضية.

- أشكرك طارق باشا على ثقتك الكبيرة فيَّ، وبإذن الله أكون عند حسن ظنك، ولقد رغبت أن يكون أول لقاء بينا في منزلي، واسمحوا لي أن نتحرك الآن نحو طاولة الطعام فلقد حان الوقت، ولا تقلقوا الطعام كله جاهز أنا لم أطهُ شيئًا بكل تأكيد.

أنهى الدكتور شريف كلماته ضاحكًا ونهض وأشار لهما نحو غرفة الطعام بالجهة المقابلة للغرفة، وباليد الأخرى أشار للكلب بأن يلزم مكانه ولا يتبعه، تحرك محمود وطارق خلفه وبقي الكلب جالسًا مكانه لم يتحرك مطيعًا لأمر سيده، حتى أنهوا تناولهم للطعام وعادوا مرة أخرى جالسين على الأريكة، والدكتور شريف طلبَ من حارس المنزل أن يقوم بإعداد أكواب شاي لهم، وبعد أن يقدِّمها يدخل لينظف الطاولة، فهو يطلب منه المساعدة في أعمال البيت بالإضافة لبعض الخدمات التي يقضيها له، وذلك لأنه يعيش وحيدًا في هذا المنزل ولا يستطيع فعل شيء، وبالفعل دخل بعد دقائق حارس المنزل بصينية بها

أكواب الشاي وقدَّمها لهما، ومن خلفه يدخل الدكتور شريف حاملًا في يده ملفًا كبيرًا من الأوراق وجلس على مقعده ووضع الملف بجواره على الطاولة الصغيرة، ثم بدأ حديثه بهدوء:

- سامحوني على إضاءة البيت الخافتة، والوليمة الجاهزة.

ثم مدَّ يده وربت على رأس الكلب وأردف:

- ودولسي الذي يجلس بجانبي ومسبب حالة الضيق إلى محمود بيه، كل هذا لهم سبب واحد.

فنظر بشيءٍ من الحزن وأكمل:

- هذا بسبب مرضي برهاب الضوء أو حساسية العين من الضوء، وهذا يجعلني لا أستطيع أن أتحمل الإضاءة العالية أو المفاجئة، وبسبب حالتي اشتريت دولسي كي يساعدني إذا ساء المرض عن ذلك، لأنها من الممكن أن تصل إلى العمى في مراحله المتأخرة، ودولسي مُدرَّب تدريبًا كاملًا على مساعدة المكفوفين وكبار السن من مراكز مختصة لذلك في أمريكا، ولهذا لا أستطيع أن أستغني عنه وجاء معي إلى مصر.

هنا نظر لكلبه الذي بدأ بتحريك رأسه تحت أنامل يده التي تداعب رأسه ثم أردف:

- ولقد اكتشفت بعد ذلك أنه أنقى كائن خلقه الله، ليست فكرة الوفاء والطاعة فقط، ولكن فكرة العطاء بلا

حدود وليس نابعًا عن طلب أو مصلحة، عطاء نابع من مشاعر نقية جدًّا وبدون مقابل.

تحدث طارق في جدية:

- فعلًا ليس من السهل أن تجد شخصًا بتلك الصفات في هذا الزمان، في يدينا قضية لشخص أبعد عن كلمة الوفاء قارات، اسمه عامر سمير.

استوعب الدكتور شريف ما رمى إليه طارق من تلك الكلمات وأنه يلمح له أن يبدأوا في العمل، فأخرج من جيبه مدوَّنة صغيرة وأمسك القلم الذي كان بجوار الملف على الطاولة وقال وهو ينظر إلى طارق ومحمود:

- محمود بيه، بما أنك أول واحد فينا تعرَّف على عامر من خلال القضية الأولى أخبِرنا كيف تراه؟

لم يكن محمود متوقعًا هذا السؤال المباغت، فتنحنح واعتدل في جلسته وقال بحدة:

- عامر لا أراه سوى شخص حيوان، كلب خائن، مجنون قاتل، ويجب أن يُعدَم ألف مرة، لأن مرة واحدة لا تشفي غليلي منه.

- وهذه سوف تكون أول نقطة خلاف بيني وبينك.

قال الدكتور شريف تلك الكلمات بنبرة يائسة بعض الشيء، لينظر له محمود مستغربًا ويظهر على طارق الفضول حتى أردف الدكتور شريف:

- عامر بالنسبة لي مريض نفسي منحرف، وهذا لا يمنع أنه قاتل، ولكن ليس الحل هو الإعدام؛ لأن الحالة الوحيدة التي يمكن أن نتقبل فيها أن يقتل إنسان إنسانًا آخر هي حالة الدفاع عن النفس أو العِرض أو الأرض، أما أي حالة قتل غير ذلك تصبح نابعة عن مرض نفسي من الممكن أن يكون مكبوتًا ويخرج في لحظة انفجار انفعالي مؤقت أو دائم، ولذلك يجب أن نفهم جيدًا هذه النقطة حتى نستطيع أن نستوعب أبعاد هذا المرض عليه، ولماذا فعل عامر ذلك؟ وماذا يمكن أن يفعله غير ذلك؟ وإلى أي مدى يجمح خياله المريض؟

تثير تلك الكلمات غضب محمود فقال في حدة:

- يعني هذا أنك ترى شخصًا مثل عامر هذا لا يُعدم، شخص تسبب في إعدام ستة من الأبرياء تعرضوا بسببه لمراحل تعذيب مختلفة في حياتهم، والآن نحن نحقق في جريمة قتل ثلاثة أو أربعة أشخاص هو من دبرها أو مشترك فيها على أقل تقدير، ما هذا الهراء الذي تقوله؟

نهض منفعلًا وخرج من الغرفة منصرفًا، وخلفه طارق يحاول أن يقنعه بالعودة، والدكتور شريف مازال جالسًا في مكانه يكتب في مدوَّنته في صفحة بعنوان محمود، ثم رسم دائرة صغيرة وكتب بداخلها كلمة «كلب»، ثم نظر لكلبه وتنهد وقال باستياء:

- هل تصدق يا «دولسي» أن كلمة كلب بالنسبة لهم

تعتبر سُبّة، وهم لا يعلمون أنها ليست سُبة بل وسام ولكنهم لا يستحقونه، حتى أنت لا تستحق أن ينعتك أحدٌ في يوم ويقول لك «يا إنسان».

***

بداخل المبنى المقابل لمبنى مستشفى غرب والمخصص لإدارة البحث الطبي والجنائي وبالتحديد الدور الثاني منه وهو مخصص للمعمل الجنائي، تقع غرفة ملحقة للمعمل الرسمي تجلس بداخلها شابة أمام أحد أجهزة الحاسب الآلي في أواخر العشرينيات من عمرها، خمرية البشرة متوسطة الجمال، ولكنها لا ترى ذلك، تثق في جمالها حد الغرور، شعرها أسود قصير ترتدي معطفًا أبيض وتراقب الشاشة أمامها لكي تتفحص صورتين بداخلها تحاول أن تجد شيئًا فيهما فتكبر الصورة أحيانًا وتصغر الصورة أحيانًا أخرى، تكرر تلك الخطوات عدة مرات مع كل صورة، ولكن يتضح عليها الصدمة فتتسع ملامحها تعجبًا، وخلفها شاب رغم أنه من نفس دفعة تخرجها من الكلية إلا أنه يظهر عليه أنه أكبر منها بسبب وزنه الزائد واللغد المتضخم أسفل ذقنه، يتابعها بعينين مغرمتين تلمعان ولعًا بها، فقطع تركيزها بسؤاله بصوت هادئ:

- هل أحضر لك الشطائر يا «سوسنة»؟

تزفر هي زفرة طويلة ساخنة من الغضب وتدفع مقعدها للخلف وتستدير له وتشير له بسبابتها محذِّرة:

- اسمي الدكتورة سوسن، وللمرة العاشرة أخبرك يا دكتور عصام أن تتوقف عن معاملتي بهذه الطريقة، وأي شيء يدور في خيالك أتمنى أن يظل حدوده خيالك فقط لأنه لم ولن يحدث في الواقع مهما حدث، أرجو منك أن تلتزم بحدود الزمالة المهنية بيني وبينك، لأننا حتى لن نكون أصدقاء، أتمنى أن يكون ردي مفهومًا لك، هل من الممكن أن نعود لعملنا؟

تستدير عائدة لشاشتها بغضب، تاركة عصام يواسي نفسه على هذه الصفعة الحارة، وبعد لحظات يقرر أن يرد عليها فيقول مقتضبًا في حدة مزيفة:

- أفهم من كلامك هذا أنك لا تريدين الشطائر؟!

تشعل تلك الجملة غيظها أكثر فتنهض تاركةً له الغرفة، وتصفع باب الغرفة خلفها بقوة. سارت في الرواق عدة خطوات وهي تتنهد في محاولة منها لتهدئة نفسها، ولكن بعد عدة محاولات علمت كيف تستطيع أن تسيطر على غضبها هذا، بأن أخرجت هاتفها الخلوي، ودخلت على قائمة الصور به، وبدأت تقلب في الصور وتوقفت عند صورة وبدأت ملامحها في الهدوء ولمعت عيناها وهي تنظر لصورة رجل وبجواره سيارة زرقاء فارهة، فتشرد فيها وتخيل أنها تجلس في تلك السيارة بجواره مرتدية فستانًا قصيرًا باهظ الثمن وعلى رقبتها يتدلى عقد بفصوص من اللؤلؤ الحر، وهو يقود السيارة بسرعة عالية تجعل الهواء يحدث تيار قوي يتطاير بسببه شعرها الذي تكلف الكثير

عند أشهر مصففِ الشعر، ولكن لم يكن لتلك اللحظات عمرًا طويلًا فلقد قطع شرودها هذا وجه عصام الذي ظهر أمامها فجأة قائلًا:

- ما بك يا دكتورة سوسن؟ أنادي عليكِ وأنتِ لا تنتبهين لندائي.

نظر بسعادة وارتفع حاجبيه وضاقت عيناه متسائلًا في سماجة مفرطة:

- أعلم أنا تفكير البنات هذا، تقولين ما تقولين، ولكني في النهاية أشغل بالك.

اتسعت عيناه سعادة وعقد ذراعيه على صدره وقال بشيء من الثقة:

- كنت على يقين أن حديثك السابق لم ينبع من قلبك الصافي، صحيح؟

رفعت كفيها أمام وجهه لكي يتوقف، ثم أشارت بسبابتها على فمها لكي يصمت، فأومأ برأسه خوفًا بالموافقة، واستنشقت شهيقًا طويلًا وزفرته ببطء ثم قالت له بهدوء وحِدة:

- إذا كنت ترغب في الحديث في شيء يخص العمل تحدَّث، غير ذلك يجب أن ترحل من أمامي حالًا، لا تحاول أن تتكلم معي اليوم نهائيًا فهذا أفضل لك ولي؛ لأني من الممكن أن أنفجر فيك حقًا، بسبب ضغط مدير

المستشفى عليَّ كي أنهي تقريري في قضية القتل الشهيرة وهو يتابعها بنفسه.

- أنا جئت لكِ بخصوص هذه القضية والتقارير الخاصة بها، فلقد سألني عنها مدير المستشفى الآن وينتظرك على الهاتف.

رفعت حاجبيها صدمة وضاقت ملامحها غضبًا وكتمت غيظها، وركضت سريعًا نحو هاتفها بالغرفة وقالت بصوت متقطع بسبب أنفاسها السريعة:

- ألو نعم يا افندم، أعمل عليها بكل جِدّ.

صمتت للحظات تنصت فيها لسؤاله ثم أردفت مجيبة:

- نعم يا افندم، نتيجة معاينة البصمات على المشارط الطبية إيجابية وتتطابق مع الثلاث متهمات، وكل هذا دوَّنته في التقرير الذي سوف يصل لسيادتك عندما أنتهي منه فورًا، هذا غير أنها نفس الأداة المستخدَمة في رسم الوشم على الجثة، وكل متهمة لها بصمتها الخاصة بجانب وشم واحد فقط، ولكن هناك شيئًا غريبًا لاحظته عندما فحصت الوجوه المسلوخة التي استخدمت كأقنعة.

تكمل سوسن مكالمتها في محاولة منها لإثبات الجدية في عملها تحت ضغط مدير المستشفى في إنهاء التقرير المبدئي، حتى يستطيع تقديمه للمسؤولين بالداخلية بسبب ما أثارته تلك القضية من فزع وبلبلة كبيرة في الأجواء العامة للبلد وأخذت حيزًا كبيرًا في وسائل الإعلام والصحافة، عن

عودة الجثة للحياة لكي تفضح فشل الداخلية وتكاسُلها في إنهاء مهامها بشكل الصحيح، وارتكاب جريمة أخرى تحت أعين الدولة والمسؤولين وهم مكتوفو الأيدي لا حول لهم ولا قوة، ولذلك تم تكليف المقدم طارق لقيادة التحقيق في تلك القضية، وذلك ما جعله ينفعل على محمود بجوار سيارته أمام منزل الدكتور شريف محذرًا:

- ما حدث منك بالداخل لا يمكن أن يخرج من ضابط مباحث، يجب أن نتعوَّد أن تصمت أكثر من أن نتكلم، ولا نتكلم إلا عندما تريد أن تسمع أكثر.

صاح فيه محمود غاضبًا وخطا نحوه:

- أنا صامت منذ دخولي مكتبك، وحتى الآن ما زلت صامتًا لأني لم أفهم بعد مَن يحرك مَن؟

ثم أردف وهو يشير نحو منزل الدكتور شريف:

- هل أنصت جيدًا لما قاله هذا الرجل؟ كيف سوف يستطيع أن يساعدنا في القبض على قاتل سادي هو يراه مجرد مريض ويحتاج إلى علاج.

تغيرت ملامحه للحيرة والاستنكار، ثم أردف متسائلًا أمام أعين طارق المحدقة فيه:

- كيف لم تخبرني أنه سوف يكون معنا في هذه القضية؟ كيف لم أعلم بمثل هذا الأمر؟

دنا من طارق وأردف بعين تحدق في تحدٍّ وملامح بها

الكثير من الندية وقال بنبرة حادة:

- هذه القضية قضيتي أنا، ويجب أن تعلم هذا جيدًا، وعامر هذا أنا من سوف يلف حبل المشنقة حول عنقه، ولهذا يجب أن أكون على علم بكل تفصيلة في هذه القضية، لا يمكن أن يتكرر ما حدث وأتفاجأ بأنك تقول أمام هذا الطبيب المجنون أسف الرائد محمود لا يعلم شيئًا بعد.

كل هذا وطارق صامتًا يرمقه بتقاسيم وجه جامدة لم يقل شيئًا، وما إن أنهى محمود صياحه فيه حتى أشار له أن ينتظره قليلًا، وذهب وفتح باب سيارته وأحضر زجاجة مياه صغيرة، ثم أخرج من جيبه علبة الدواء الخاصة به وأخذ حبة واحدة منها، وتناول بعدها رشفة ماء، ثم أغلقها وأرجعها مكانها وعاد لمحمود الذي ما زال واقفًا ينتظره، ما إن عاد حتى قال له بهدوء وجدية:

- قبل أن أرد عليك هل قلت كل شيء ترغب في قوله؟ أما ما زال في جوفك شيء تريد الانفجار به؟

نظر له محمود وأومأ برأسه نافيًا عاقدًا يديه على صدره، وهنا أردف طارق بنبرة خافتة ملؤها الصرامة:

- أولًا القضية ليست ملكًا لأحدٍ، القضية أصبحت قضية رأي عام والذي يحرك هذا النوعِ من القضايا يا حضرة الضابط هم القيادات العليا لستُ أنا أو أنت، وعلى هذا الأساس أنت موجود؛ لأنك أول من بدأ التحقيق

فيها، وبالتأكيد أصبح لك فيها خبرة ويجب أن نحترم هذا ونقدِّره، وهذا ما جعلك في فريق التحقيق، ولنفس السبب تم تكليفي من المسؤولين بشكل مباشر أن أباشر التحقيق بنفسي، و لأني أقدم منك فمن الطبيعي أن أكون قائد الفريق يا حضرة الرائد، وهذا بسبب خبرتي والتي يجب أن تحترمها أنت أيضًا، وعلى أساس هذا فالَمعلومة على قدر الحاجة، وبالتأكيد أنت تعي جيدًا هذه النقطة.

وهنا أشار بسبابته نحو محمود الذي يتابعه بإنصات وتركيز ووجهه أحمر حنقًا:

- وهذا يعني أنك سوف تعرف المسموح أن تعرفه فقط، لأنك مجرد عضو في هذا الفريق، الفريق الذي يجب أن تحترم قواعده.

ثم أشار لنفسه وقال بثقة:

- أما أن أعلم بكل ما لديك من معلومات فهذا طبيعي لأني قائد الفريق، ويجب ألا تخفي عني شيئًا أو تقرر شيئًا دون الرجوع لي.

كان أسلوب طارق في قول كلماته الأخيرة أثار غضب واستفزاز محمود بشكلٍ لم يستطع أن يخفيه، فلقد كان يشعر بالغيرة منه منذ البداية، فهو كان على مشارف الحصول على نفس الرتبة التي تجعل طارق يكتسي بالغرور ويتفاخر بها أمامه، لولا قضية عامر اللعينة تلك التي فتحت مرة الأخرى بهذا الشكل الفج، ولذلك قال في صرامة وبشكل

مقتضب:

- وأنا أفضل أن ألعب بشكل فردي فأنا لا أهوى الألعاب الجماعية.

وقف منتصبًا وألقى التحية العسكرية وابتسم ساخرًا:

- آسف يا معالي الرائد طارق أنا منسحب من القضية.

ثم استدار وانصرف بخطوات ثابتة قوية يضرب بها الأرض معلنًا بها ثقته بنفسه تاركًا خلفه طارق ينظر له وتنير أسفل وجهه ابتسامة ساخرة من رد فعل محمود، وما إن شرع طارق في الرجوع لمنزل الدكتور شريف فسمع رنين هاتفه، وأخرجه من جيب سرواله ليجد المتصل مدير مستشفى غرب فأخذ نفسًا عميقًا ثم قال بجديته المعهودة:

- ألو، أنا الحمد لله بخير، هل وصلتم لشيء جديد؟

أنصت لحظات لحديث مدير المستشفى، ثم قال مؤكدًا وهو يتقدم نحو باب منزل الدكتور شريف:

- يعني هذا وجود تطابق بين بصماتهم مع أسلحة الجريمة.

عاد لينصت مرة أخرى، ولكن قبل أن يضغط على زر جرس الباب انفرجت تقاسيم وجهه إلى تعبير الصدمة وانتصب مكانًا لحظات مفكرًا فيما سمعه ثم أردف مستفسرًا:

- هل تقصد حضرتك أن لا يوجد أي وجه من الوجوه

المسلوخة تتطابق بشكل إيجابي مع الجثة؟ هذا يعني أننا أمام جريمة لأربع جثث وليس ثلاث.

***

دخل محمود مكتبه غاضبًا وخلفه قنديل الذي ما إن رآه بتلك الهيئة فعلم أنه سوف يكون يومًا عصيبًا عليه، فوقف منتصبًا منتظرًا أوامره، فصاح فيه محمود:

- أمُرَ بكر أن يقوم بصنع عصيري الخاص ويأتي لي سريعًا فأنا بحاجة لشيء يهديني قليلًا، هو فقط من يدخل عليَّ الآن، لا أرغب في رؤية أحدٍ؛ لأني لا أطيق أن أرى أحدًا الآن حتى أنت اغرب عن وجهي ولا تدخل حتى أنادي عليك.

ما إن قال تلك الكلمات حتى ألقى عليه القنديل التحية وذهب مسرعًا للخارج، ليخبر بكر بأن يسرع في تحضير المشروب الخاص به، أما محمود فألقى بمدوَّنته الصغيرة على سطح المكتب ومحفظته وسلاحه وظلَّ يجوب المكتب ذهابًا وإيابًا، ظلَّ هكذا حتى دخل بكر عليه حاملًا مشروبه الخاص، وبعد أن وضعه وأنهى خلطه وخرج، ذهبَ محمود ليجلس على مكتبه يحاول أن يستمتع برشفة من مشروب الخاص متخيل أنه سيكون المخلص والملاذ له مما هو فيه، يحاول أن ينسى ما حدثَ ولكن كانت كلمات طارق الحادة له تجوب في رأسه وتتكرر دون توقُّف، مما أثار غيظه واشتد، فما كان من ردة فعل أمامه

حينها لكي يطفئ بها ناره إلا أن يلقي بكوب العصير على سطح المكتبة حتى تهشَّم الكوب وتناثرت أجزاؤه وتطاير العصير منه على سطح مكتبه وطَال البعض منه محفظته، فهَمَّ واقفًا لإبعادها ونظفها بحرص وهو يفتحها باحثًا عن مدى تأثُّر محتوياتها مما حدثَ، فوجد صورة ابنته جَنّة أمام عينيه فألقى بجسده جالسًا مرة أخرى على المقعد منكسرًا، ثم نظر لها مبتسمًا يتأمل ملامحها، ثم مدَّ يده وتحسَّس بأنامله الصورة كأنه يلمس وجهها فتلمع عيناه ببريق دمعة وقال في يأس:

- كنت أظن أني سوف أوفي بوعدي لكِ، لكن أصبحوا يرونني بلا قيمة يكملون بي العدد فقط، كنت أظن أني سوف أكون الضابط الذي تفتخرين به، ولكن للأسف كما كنت السبب في موتك، أصبحت السبب في موت ستة آخرين، ستة ماتوا ظلمًا وذنبهم طوق في رقبتي، أنا أب فاشل وزوج فاشل وضابط فاشل.

لمحَ أمامه على سطح المكتب مسدسه فمد يده المرتعشة نحوه ببطء وأمسك به وأغلق المَحفظة وقال محدثًا الصُورة:

- لا يجب أن تشاهدي ما سوف يحدث الآن حبيبتي، سامحيني حتى آتي وأعتذر لكِ بنفسي.

وضع المحفظة على قدمه، وباليد الأخرى أدار فوهة المسدس لتكون في منتصف جبهته، وأخذ نفسًا طويلًا ثم أغمض عينيه، واعتزم إنهاء حياته بالضغط على زناد

المسدس بيدٍ مهتزة ومرتعشة، وبالفعل ضغط وأخرج المسدس صوت إطلاق هواء فارغ يعلن به عن فراغ المسدس من الذخيرة، فعاد محمود برأسه للخلف مستغربًا ولكنه تذكَّر شيئًا يجعله يلقي بالمسدس على المكتب وفتح محفظته ثانية وقبَّل صورة ابنته وقال ساخرًا:

- نسيت أني لا أعبئ السلاح بالطلقات إلا إذا كنت على عِلمٍ بخروجي لمداهمة رسمية، لأني كنت أخاف أن أكون بالمنزل وتلعبين به يا شقية، ويتضح الآن أن هذا الأمر كان له حكمة غريبة ليس من أجل أن ينقذك حبيبتي لا بل كي ينقذني أنا.

نظر للأعلى متذكرًا ابنته ثم قال وعيناه تدمعان مبتسمًا:

- شكرًا يا جنة يا حبيبتي.

أخرج من جيبه هاتفه وقام بالاتصال بعمر قائلًا:

- ألو، عمر، أنا أحتاج إلى أن أتكلم معك بشكل ضروري.

أنصت لحظات لحديث عمر ثم أجابه:

- أنا بجانبك في القسم، ربع ساعة وسوف أكون عندك في البيت.

نهض من جلسته سريعًا وجمع أغراضه مرة أخرى ولقد وجد مدوَّنته قد تبللت عدة صفحات منها ببعض من قطرات العصير ليشتد غضبه ويثور ويلقي بها بعيدًا، وتوجَّه

نحو الباب خارجًا ما إن يراه قنديل فنهض قافزًا رافعًا يديه بالتحية العسكرية يحاول أن يتحاشى غضبه وهياجه، فأمره محمود بعنفٍ بأن يحضر بكر لينظف المكتب جيدًا قبل أن يعود، فهرول أمامه قنديل وهو يتخبط في المارة، ومحمود استدار وتحرك نحو باب القسم خارجًا متجهًا لسيارته، وقادها بشكل غير متزن متهور بعض الشيء حتى وصل لعقار كبير، دخل البوابة فرآه الحارس وحيَّاه بترحاب واتضح عليه أنه يعرفه، ولكن كان رد محمود عليه هو أن يومئ برأسه قليلًا بابتسامة جافة، وقف أمام المصعد ينتظر نزوله والذي كان متوقفًا عند الطابق الخامس عشر، مرت عدة لحظات ولم يتحرك المصعد فشعر محمود بالغضب فضرب باب المصعد طارقه عدة طرقات حتى ينبِّه من يحجز المصعد بالأعلى أن هناك سكانًا معه في نفس العقار وليس هو مالك المصعد الوحيد فيسمح بنزوله، وبالفعل استجاب من بالأعلى لطرقات محمود الغاضبة على باب المصعد، وبدأ المصعد في النزول أخيرًا وظل محمود ينظر للشاشة الرقمية التي تعلن أرقام الطوابق التي يمر عليها المصعد بشكل تنازلي، والملفت في تلك الشاشة أنها بها عطل بسيط في أحد الأضلاع المضيئة التي تُكوِّن رقم الطابق، وبالتالي يظهر هذا العيب في معظم الأرقام، فيضيء الرقم وضلع من أضلاعه غير مضيء، ولكن كان تأثير تلك اللوحة على محمود غريبًا جدًّا، فلقد ضاقت عيناه وهو يتابع تلك الأرقام محدِّقًا فيها بتركيز شديد، حتى وصل المصعد أخيرًا للدور الأرضي وفتح الباب أمامه ومحمود ما زال ينظر لتلك

اللوحة شاردًا، ليكسر شروده هذا صوت حارس العقار منبهًا إياه أن يدخل المصعد، ولكن نظر له محمود بشيء من عدم التركيز والتشتت، فمدَّ يده إلى جيب سرواله فجأة وكأنه تذكَّر شيئًا مهمًّا، ولكن خاب أمله في العثور على ما كان يبحث عنه، فأخرج من جيب سرواله الآخر هاتفه وقام بالاتصال بعمر وهو يتحرك عائدًا نحو سيارته قائلًا في عجالة:

- آسف يا عمر لقد تذكرت شيئًا هامًّا، سوف أذهب الآن وأعود لك مرة أخرى، لن أتأخر.

أغلق المكالمة سريعًا دون انتظار رد عمر، وقاد سيارته عائدًا للقسم، ما إن وصل حتى تحرك بخطوات سريعة حتى يصل للدرج وصعد بخطوات قافزة، حتى وصل لمكتبه ما إن فتحه حتى وجد بكر يكنس خلف المكتب وقنديل يرتب سطحه ما إن رأوه حتى انتصبا مكانهما ينظران له مستغربين عودته السريعة، فتحرك محمود لزاوية الغرفة والتي بجوار المكتب أسفل النافذة تحديدًا، وانحنى ليلتقط مدوَّنَته الصغيرة المبللة قليلًا، وقال في تَهجم محاولًا التهرب من نظراتهما:

- وقعت مني قبل أن أغادر، وكنت خائفًا أن تلقياها في القمامة، أنا أعرفكما جيدًا وأعلم مستوى غَبائكما، هل أظلَمكما في ذلك؟

- لا يا افندم.

قالها الاثنان معًا فأشار محمود لهما أن ينجزا ما يفعلانَه سريعًا فهو يريد أن يختلي بنفسه بالمكتب، وبالفعل ينهيان نظافة وتريب المكتب جيدًا ويخرجان منه، وما إن أغلق قنديل الباب حتى فتح محمود مدوَّنته وقال مبتسمًا:

- آه يا كلب يا عامر، هل تظن أني لن أعرف كيف أحل ألغازك اللعينة؟ وسوف أظل في احتياج لعبقرية المدعو زياد؟ لا أنا ما زلت محمود صقر، لقد فهمت جيدًا ألاعيبك، ولن تبهرني ألغازك بعد الآن.

قال تلك الكلمات وهو يقلب الصفحات حتى وصل لصفحة اللغز الذي رسم على صدر الجثة وبدأ في النظر فيه بتمعن ودقة.

علم أن هذا اللغز كتب بالأرقام الإلكترونية الحديثة وهذا ما كان دوَّنه حينها في مسرح الجريمة، ولكنه شعر بأن بها عيبًا ما أو شيئًا ناقصًا، وما جعله يبتعد عن حل تلك الألغاز هو تدخُّل طارق في القضية، فيجب أن يتبع الحقائق أولًا كما أمره أن يسير في تحليل القضية، ولكن الآن شعر أن تلك هي اللحظة التي يعود فيها لما هو مميز فيه، فنظر للغز جيدًا وتابع الأرقام من اليسار لليمين ولاحظ أنها ينقصها ضلع مفقود مثل الشاشة الرقمية التي كانت

تخص المصعد، وبعد تدقيق علمَ أن الضلع الناقص هو الضلع الأعلى باليمين من كل رقم، ولاحظ أيضًا غرابة الرقم الأول من اليسار إلى ماذا يدعو واعتبره شاذًا عنهم دون معرفة السبب ذلك، ولاحظ أن رقمًا واحدًا قد كُتبَ بشكل مختلف دون الحاجة لباقي الأضلاع مثل غيره من الأرقام بالشكل، ولذلك بدأ في كتابة الاحتمالات التي توصل لها من اليسار لليمين متجاهلًا الرقم الأول الشاذ من اليسار:

- 051220551210

- 091220991210

- 061220661210

اكتفى بكتابة تلك الأرقام كبداية لكي يبدأ في التفكير فيما توصَّل له وهو يعلم أن هناك احتمالات أكثر، ولكن شعوره بأنه انتصر على عامر في الوصول في فكرة بنائه اللغز دون مساعدة أحد كانت تكفيه، فهو كان مميزًا من بداية القضية أنه استطاع أن يكتشف أماكن الألغاز ولكن كان يترك مسألة الحل على زياد، ولكن الآن هو استطاع أن يصل إلى مفتاح شفرة اللغز دون مساعدة أحد، ظل ينظر للغز والاحتمالات التي توصَّل لها كثيرًا، لم يشعر بكم من الوقت قد مرَّ عليه وهو يفكر فيه، أنهكه التعب فنهض متجهًا نحو النافذة ينظر لحركة المارة بالأسفل يستنشق الهواء بهدوء، وعندما لاحظ أنه يريد أن يشرب شيئًا

يساعده على التفكير أكثر، نخطا نحو الباب ليأمر قنديل بذلك، ولكن أثناء مروره يلمح المدونة ويرى اللغز بشكلٍ مقلوب.

فتوقف مكانه ومال برأسه يمينًا ويسارًا متفحصًا، فانقضَّ على مكتبه وأمسك المدونة وقربها من عينيه ونظر للغز متفحصًا، ثم تركه ومسك القلم وكتب الاحتمالات التي توصَّل لها:

- 012155022150

- 012166022160

- 012199022190

وأمسك هاتفه وقال بنبرة ساخرة:

- وضع في نهاية اللغز شكلًا يرمز إلى سمَّاعة الهاتف والذي يعني رمز الاتصال، يا تُرى رقم هاتف مَن هذا يا عامر؟

***

«قاتلي العزيز، هل تعلم أن الانتحار أسرع طريقة للقائي».

الفصل الرابع
أقنعة و وجـوه

14 سبتمبر 1981

بداخل أحد القصور التي تعود لباشوات الزمن الماضي والتي تم توزيعها بعد ذلك على كبار رجال الدولة لتنتقل من يد ليد حتى تصل ليد السيد سميح عزب والذي كان يعمل وكيلًا لوزارة الإسكان والتعمير، وكان يدير صفقات غير شرعية مع والد عامر، وكانت لتلك الشراكة السبب الرئيسي في تكليلِها بزواج عامر بابنته عزة والتي أنجبت له حفيده خالد منذ عدة شهور قليلة.

جلس عامر في صالون هذا القصر العريق والذي يتميز بأنه تراثي بعض الشيء ومزين باللون الذهبي، جلس ينتظر مقابلة حماه السيد سميح والذي دخل بخطوات بطيئة منكسرة بعض الشيء، ولكنه رسم الغرور والثبات على وجهه، تقدَّم وسلم على عامر بشيء من التكبر كعادته ولكن زاد عليه مؤخرًا الغضب منه بسبب معاملته الجافة مع ابنته حتى إنها طلبت منه الطلاق ورفض، فباغته بسؤاله بعد أن جلس أمامه:

- خيرًا؟ ماذا تريد يا عامر؟ هل خالد حفيدي بخير؟ هل ضايقت ابنتي عزة مرة أخرى؟

بدأ عامر في الضحك ساخرًا فاشتعل السيد سميح غضبًا،

ولكن ما إن انتهى حتى قال له بكثير من التعجرف:

- وأنت بأي صفة تسألني؟

اعتدل السيد سميح في جلسته وانتصب ظهره وهو يشير له بسبابته وقال له غاضبًا:

- ما هذا السؤال الغبي؟ هل أنت مخمور أم ماذا؟

- لا لست مخمورًا وواعيًا جدًّا لما أقوله، أنت تسأل عنهم بأي صفة؟

قالها عامر وهو يعدل جلسته ويضع قدمًا على قدم في ثقة وغرور، مما استفز السيد سميح أكثر وقال صائحًا:

- صِفتي أني زوَّجت ابنتي إلى حيوان مثلك.

- أنا حيوان؟ جيد، على الأقل لستُ حيوانًا ومفضوحًا ويجب أن أُضرَب بالرصاص مثل الخيل.

قال عامر تلك الكلمات التي أشعلت غضب السيد سميح وأثارت غيظه، فنهض من جلسته ووقف مكانه وصاح في عامر:

- تكلم بأدب يا ولد، هل نسيت مع مَن تتكلم؟ تأدب في حديثك معي.

ظلَّ عامر ينظر له بعينين ضيقتين مبتسمتين وهو يداعب بأصابع يده أسفل ذقنه ثم قال بهدوءٍ وهو يشيح بسبابته من أسفل لأعلى مرتين مشيرًا إلى السيد سميح:

- أتحدث مع شخصٍ مُرتشٍ ولص ومختلس، وكيل وزارة أجبروه على الخروج على المعاش حتى لا يفضحوا الوزارة فقط، وشخص مثلك لا يجب أن يكون على صلة قرابة معي.

رفع عامر يده مشيرًا بالسبابة والوسطى وأردف:

- ولذلك كان أمَامي حلَّان فقط، أن أطلِّق ابنتك وللأسف لن أطلقها.

أومأ نافيًا ثم أردف ساخرًا:

- ليس لأني أحبها، ولكن لأني لم أكتفِ بذلِّها بعد، والحل الثاني أن نعتبرك شخصًا مات بالنسبة لنا، شخصًا ليس له وجود نتبرأ منك، لا نريد أن نحمل عارك طيل حياتنا، أنا لدي طفل وأخاف على مستقبله.

حاول السيد سميح أن يرد عليه، ولكن خانه لسانه المرتعش فخرجت كلماته مهتزة:

- اسمي سيظل شريفًا غصب عنك وعن والدك، أنا مَن جعلت ثروة والدك تنمو وتتضاعف، وإذا كنت مرتشيًا فوالدك شريكي وسوف يفضح معي.

نهض عامر من مكانه بهدوء ودنا بوجهه من السيد سميح وقال بهدوء هامسًا:

- ما لا تعرفه يا معالي وكيل الوزارة أنهم أَجبروك على الخروج على المعاش حتى يستطيعوا أن يُلفقوا لك قضايا

أخرى وأنت خارج الخدمة، حتى يحافظوا على سمعة الوزارة النظيفة، وما سوف يحدث سيكون بعيدًا عنها، سوف تجد قضايا جديدة ملفقة تجعلك لن ترى الشارع مرة ثانية، وأنت تعلم قصدي جيدًا.

نظر في ساعته ثم أردف بنفس الهدوء القاتل:

- لدي صديق يعمل في جهة سيادية أخبرني أنهم وقعوا على قرار اعتقالك منذ دقائق، وأنهم في الطريق الآن قادمون لك.

كانت كلمات عامر بهذا الهدوء الاستفزازي كسقوط جبل من الثلج على رأس السيد عامر، الذي ارتجفت قدماه ولم تستطع أن تحمله أكثر، ليهوى جالسًا على مقعده مرة أخرى، وتقاسيم وجهه أعلنت الصدمة وهرب العَرَق من جسده فتناثر باردًا على وجهه، وهنا انحنى عامر منه وهمس في أذنه:

- أرى أن تسبقهم وتجعل آخر لقب لك هو وكيل وزارة سابق، أفضل من أن يتم نفيُك ولا يعلم عنك أحدٌ أيَّ شيء، هذا إذا رغبت أن يظل لاسمك وجود، كل ما عليك أن تصعد إلى غرفتك بالأعلى، وبحبل جيد علِّق رقبة سيادتك بها، وعندما يأتون ويتفاجأون بِانتحارك لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا، وحينها سوف يُغلَق الموضوع للأبد.

ربت على كتفه ونظر له بوجهٍ حزين ثم أردف:

- استأذن أنا وأترك معاليك تقرّر وتختار، لأني لا أستطيع أن أرى جَد ابني يُعتقل أمامي، ماذا أقول إلى عزة ابنتك حينها؟ وأكيد أنت لا ترغب في أن أحضر مثل هذا الموقف.

اعتدل عامر وتحرَّك منصرفًا وعيناه تشعان بريق السعادة، خطا بخطوات ثابتة تاركًا السيد سميح خلفه جالسًا في مكانه مصدومًا، وبعد دقائق وصل عامر لمنزله فوجد عزة تجلس بجوار خالد الرضيع الذي يعج المنزل صريخًا وبكاءً، وهي تسند رأسها على المقعد ناظرة لأعلى تراقب اللا شيء، وكأنها أصبحت صماء لا تسمع كل هذا الصراخ، تلوَّن أسفل عينيها بالسواد القاتم، سقطت من يدها علبة دواء المهدئ الذي اقتربت من إدمانه، وما إن لاحظ هذا عامر، نزل بكف يده على وجهها بصفعة قوية نحتت أصابع حمراء على خديها، صفعة جعلتها تسقط أرضًا من قوتها، فصرخت فيه باكية وكأنها استفاقت من غيبوبتها الصغيرة قائلة بنبرة حادة:

- هل جُننت؟ أترغب في ضربي مرة أخرى؟

ما إن أنهت جملتها حتى تفاجأت بصفعة أخرى على خديها، فارتطم رأسُها بإحدى أرجل المقعد وجُرحَت جرحًا بسيطًا نزفت على أثره بعض الدماء، ما إن تحسست رأسها ورأت يديها قد تلونت بالدماء حتى صرخت فيه:

- حقًّا لقد أصبحت حيوانًا، ويجب أن تعيش في

الحظيرة مع مَن مثلك من الحيوانات.

ركلها بقدمه في ظهرها وقال وعيناه تشعان غضبًا:

- إذا كنتِ تريني حيوانًا فيجب أن تجربي رفسي إذًا.

صرخت ألمًا وهي تحاول أن تنهض زحفًا قائلة بكثير من النحيب:

- سوف أخبر والدي، لا أستطيع أن أتحمل الحياة معك أكثر من ذلك.

كانت تقول تلك الكلمات وهي تزحف على يديها وقدميها بشكل غير متزن، وعامر يراقب طريقة زحفها تلك من بعيد مبتسمًا ويقول مستهزئًا:

- حيوانة فعلًا.

أكملت زحفها وقالت بنبرة تصطنع فيها القوة والثقة:

- أنا مازلت عزة ابنة سميح عزب وكيل الوزارة، وسوف آخذ حقي منك وأكثر.

وعندما أنهت كلماتها تلك كانت قد وصلت للطاولة التي عليها الهاتف، حاولت أن تنهض ولكنها لم تستطع من شدة الألم، فمدَّت يديها لأعلى لكي تنزله، وبدأت بلف قرص الهاتف وانتظرت رد الجانب الآخر وهي تراقب نظرات عامر المتابعة لها دون أن يتحرك ثم قالت بشيء من السعادة والراحة رغم الألم الذي تعاني منه:

- دادة فوزية، بابا عِندك؟ أريد أن أكلمه الآن.

مرت لحظات وعزة منتظرة والدها وعامر يجلس بجوار خالد، ثم مدَّ يديه وحمله محاولًا تهدئته وهو يراقب عزة، حتى لاحظ فزع عزة من سماع شيء فصرخت:

- ماذا حدث؟ دادة فوزية أخبريني ماذا حدث عندك؟

ولكن ما سمعته منها جعلها تصرخ صرخة عالية تفقد بعدها الوعي، فرفع عامر خالد عاليًا بين يديه وقال له مبتسمًا وهو ناظر في عينيه:

- أريد منك أن تصبح مطيعًا مثل جدك، ولكن لا تصبح غبيًّا مثله وتصدق أي شخص يخبرك بأي شيء، كان يجب أن أكذب عليه وأخبره بهذا الأمر الغبي حتى أتخلص منه، لأنه درع والدتك التي تحتمي خلفه منِّي، ولكي أستطيع أن أذلها بشكل صحيح يجب أن أكسر هذا الدرع وأجعله فُتاتًا وذراتٍ تتطاير من حولي، وغدًا تكبر أنت وأذلها بك أنت الآخر حبيبي.

***

قرر محمود أن يقوم بتجربة الاحتمالات التي توصَّل لها، ولكن ما إن يمسك هاتفه الخلوي ليشرع في الاتصال بأول رقم حتى يتفاجأ بأن عمر قد اتصل به عدة مرات، ولأن هاتفه كان على الوضع الصامت كعادته فلم يلاحظ اتصالاته تلك، فضرب رأسه معاقبًا كيف نسي مقابلة عمر فلقَدْ وعَدَهُ بأنه سوف يعود له مرة أخرى، فكَّر أن

يهاتفه يعتذر له ولكن كان الوقت قد تأخر كثيرًا، وهو لا يريد أن يكون سببًا في إزعاج زوجته وأولاده، فيفكر في إرسال رسالة يعتذر له فيها ويطمئنه عليه، ولكنه يريد أن يتناول مشروبه الخاص احتفالًا لما توصل له من نتيجة، مع أنه يعلم أن ما توصل له ليس كبيرًا أو إنجازًا يستحق الاحتفال، ولكنه يشعر بالكثير من الراحة ويعلم أنه سوف يستطيع أن ينهي تلك القضية كما يريد، ولذلك صاح مناديًا على قنديل الذي دخل مسرعًا وأمره أن يخبر بكر أن يجلب له مشروبه الخاص، ما إن يغلق قنديل الباب حتى يجده يطرقه مرة أخرى مستأذنًا للدخول، فيستغرب محمود من عودته بهذه السرعة، ولكنه لم تطل حالة الأستغراب كثيرًا، فلقدُ فتح الباب ليجد عمر المنياوي هو من يدخل عليه ويغلق الباب خلفه، وهو ينظر له رافعًا حاجبه وعاقدًا ذراعيه على صدره وناظرًا له بغضب، كانت مفاجأة كبيرة لمحمود وشعر بالإحراج الشديد منه، فنهض وتقدَّم نحوه وهو يضع كف يده على صدره مشيرًا لطلبه السماح وقال له بنبرة خافتة:

- أرجو أن تقبل اعتذاري وآسف جدًّا جدًّا، لا أعرف كيف حدث هذا، وأنت ليس لك ذنب في أي شيء منه، ولا أستطيع أن أنكر أني مخطئ وأرجو ألا تغضب منِّي، وأنا تحت أمرك في أي طلب تطلبه مني يا حكمدار أول الكون عمر باشا المنياوي.

نظر له عمر لحظات صامتًا بغضب ثم انفرجت تقاسيم

وجهه وقال مبتسمًا:

- لقد قلقت عليك يا مجنون.

حضنه محمود مرحبًا، ثم أدخله ليجلس أمامه على المكتب، فقال عمر له محذرًا:

- لا تكرر هذه اللعبة معي يا محمود، لقد ذُقت عذابَ هذا الفعل من قبل مع صديقي رَؤوف الله يرحمه هاتفني مرة بمكالمة صباحية قصيرة وسريعة مثل مكالمتك تلك، وعندما قلقت عليه وذهبت لكي أطمئن عليه تفاجأت بأنه قتل زوجته وابنه وانتحر مشنوقًا.

ضحك محمود ثم قال له مبتسمًا:

- لا أوعدك لن نتكرر لا تقلق، أنا فعلًا كنت قادمًا إليك ولكني تذكرت أمرًا هامًا وكان يجب أن أعود لإحضارها، ما إن دخلت المكتب وانشغلت وأغفلت عن لقائك، أنا آسف، وأنا لم أمسك هاتفي سوى من لحظات قليلة ولاحظت اتصالاتك الكثيرة ولكن هاتفي كان على الوضع الصامت.

دخل هنا بكر المكتب حاملًا مشروب محمود الخاص، أمره محمود بالانتظار سائلًا عمر عن أي مشروب يرغب في تناوله وهنا أشار عمر له بسبابته:

- لقد أخبرتني أن أطلب منك أي تعويض كي أسامحك، أليس كذلك؟

- طلباتك أوامر يا معالي المقدم عمر.

قالها محمود وهو ينحني قليلًا، فنظر له عمر مشيرًا بإصبعيه السبابة والأوسط:

- هما اثنان وليس طلبًا واحدًا.

ردَّ عليه محمود مازحًا وهو رافع حاجبه:

- هذا استغلال بيِّن.

أومأ عمر برأسه إيجابًا مؤكِّدًا:

- بالطبع، الطلب الأول أن تعزمني على العشاء، لأن بسبب قلقي عليك تركت وليمة كبيرة وشهية جدًّا وكذبت وأخبرت هيلين زوجتي أن لدى مأمورية هامة مفاجأة، أما فيما يخص الطلب الثاني بسبب عدم حضورك إلى الوليمة التي أعدتها هيلين على شرفك، يجب عليك أن تقدم القرابين كي تسمح لك بدخول المنزل مرة أخرى.

أومأ محمود برأسه موافقًا:

- لا يوجد أي اعتراض على أي طلبٍ منهما، وأولهما القرابين لأني يجب أن أحضرها حتى تستطيع أن تدخل أنت المنزل ولا تبيت في مكتبي هنا.

ضحك الاثنان وطلب محمود من بكر أن يحضر لهما العشاء، وما إن خرج بكر حتى طلب عمر من محمود أن يخبره بسبب مجيئه له من البداية، وبالفعل بدأ محمود بقص ما حدثَ معه منذ أن تركه في المقهى حتى اللحظة التي

سبقت دخوله الآن، طال بينهما الحديث حتى شقَّ نور الصباح عليهما وأنار مكتب محمود وهما مازالا يجلسان على المكتب يتناقشان، حتى قال عمر له:

- لقد عملت مع المقدم طارق في الفترة الأخيرة في عدة قضايا، وأثق في أنك سوف تستفيد منه، تشعر أنه مثل التمساح حركته قليلة ولكنه على وعيٍ بكل ما يدور من حوله، يستطيع أن يعيش تحت أي ظرف، ويصبر كثيرًا على فريسته، ولكن عندما يقرر أن ينقضّ عليها أعلم أنها لحظتها الأخيرة.

هنا مدَّ عمر يده وأمسك ورقة من على سطح المكتب ثم أردف:

- هو يفضل أن يمسك الحقيقة بيديه وليس بعينيه، أنت بالنسبة له حي ليس لأنه يراك أمامه لا.

أومأ برأسه نافيًا ثم مدَّ بتلك الورقة نحو محمود ليمسكها بيده وهو يردف:

- أنت حي لأنه لا يوجد لك شهادة وفاة بعد، هذا هو التفكير والطريقة التي تعتمد عليها في العمل، أنت في حاجة له في قضيتك تلك، لأنه ما ينقصك هو مميَّزٌ فيه، وهو الجزء الذي يخص أن نتعامل مع الحقائق المتاحة فقط، وهو على الصعيد الآخر يحتاج لك وهذا شيء أثق فيه جدًّا؛ لأني تعاملت معه عن قرب، وأعلم أنه لديه من الصلاحيات التي يمكنها أن يستبعدك ويزيحك من المشهد

تمامًا ولكنه لم يفعل ذلك، أتعلم لماذا؟

مدَّ عمر يده وربت على قدم محمود وهو يجيب:

- لأنك ضابط مباحث من قبل أن تمتهنها وظيفة، لقد خُلقتَ محققًا وأنت تحب هذا لأنك مميز فيه، أرجو أن تظل واثقًا من نفسك أيها المحقق كولومبو، أم الآن سوف تنسى كل الروايات والقصص البوليسية التي كنت تحدثني عنها حتى تنفجر رأسي من الصداع.

هنا طرق قنديل باب مكتبه ودخل وألقي التحية العسكرية عليه قائلًا في قلق:

- آسف معاليك، ولكن قد استلمنا بلاغًا بالعثور على جثة في شقة غير مأهولة، ويجب أن تذهب معاليك أولًا للمعاينة.

نهض محمود من جلسته ونظر لعمر وأشار نحو قنديل قائلًا بتودُّد:

- آسف معالي عمر باشا سهَّرتك وتعبتك معي وفي النهاية نجد العمل هو المفر الوحيد كالعادة.

- لا تشغل بالك، لقد تعودنا على طبيعة عملنا منذ أن تعرَّفنا على بعض، أم نسيت تطبيق كلية هندسة وقضيّته الغريبة أول قضية تعاونًّا بها مع بعض، أتركك أنا وأكمل ليلتي في مكتبي بالمديرية حتى أكمل كذبتي منك لله.

قال عمر تلك الكلمات وسلَّم على محمود الذي سلَّم عليه

بحرارة، فلقد كان للحديث معه التأثير القوي في تغيير حالته النفسية للأفضل، غادر عمر المكتب وهم محمود لجمع أغراضه وقال لقنديل الذي ما زال واقفًا ينتظر أوامره:

- أين يقع البلاغ؟

بلع قنديل ريقه وقال بشيء من التلعثم ومحمود يسير أمامه:

- نفس عنوان القضية الأولى يا افندم.

توقف مَحمود منتصباً واستدار بوجهه نحو قنديل وضاقت عيناه وهو يسأل في حدة:

- أي قضية تقصد يا قنديل.

صمت قنديل قليلًا ثم تشجَّع قائلًا بتردُّد:

- الشقة التي قُتلَ فيها المجنون المدعو عامر يا باشا.

ما إن سمع محمود ذلك تحرَّك مسرعًا نحو سيارته وخلفه تحركت سيارة الشرطة ليتوقف عند العقار الذي كان يحتضن مسرح الجريمة الأول، ليتفاجأ بِعبد التواب حارس العقار الذي وقفَ عند مدخله، وما إن رآه حتى قال له وهو يصعد خلفه الدرج ومعه قوات الشرطة:

- في البداية شممت رائحة عفن ثم لاحظت أن الباب مكسور، ما إن دخلت حتى رأيت هذا المشهد، وهرولت مسرعًا لإبلاغكم على الفور.

وبالفعل ما إن يوصل محمود لباب الشقة ليتفاجأ بأن قفل

الباب قد تم كسره، فدخل بخطوات ثابتة يتفحص كل شيء ولكن كانت الرائحة الكريهة هي المسيطرة على الهواء من قبل دخوله، لتزداد حدة التقزز كلما توغل بالشقة أكثر، تحرك عبر الممر المؤدي إلى غرفة النوم التي تفحصها من قبل عدة مرات، وما إن فتح الباب قليلًا، حتى تفاجأ بجثة رجل عارية تعفنت وتحللت كثيرًا على نفس الفراش، ومعلق على درفتي الشُّرفة ملاءة بيضاء كبيرة تحجب دخول ضوء النهار للغرفة، ملاءة مُلوَّثة بالرمال والأتربة، لكن كُتبَ عليها بخط كبير وواضح شيئًا يعرفه محمود جيدًا، إنه التوقيع الرقمي المشفر لعامر والذي تركه له في رسالته الأخيرة.

***

طلب محمود رجال البحث الجنائي والطب الشرعي لكي يعاينوا المكان جيدًا، وبعد البحث والتدقيق لما يقرب من ساعتين، توصَّلوا لثلاثة ملاحظات أخبروه بهم، أولهم أنهم مسحوا المكان تدقيقًا ولا توجد أي بصمة بشرية، أي من جاء بتلك الجثة كان يعلم جيدًا ما يفعله، ثاني ملاحظة هي أن الجثة لشخص ذَكَر توفى منذ أكثر من ثلاثة أشهر وأن عملية التشريح سوف تعطي وقت الوفاة

بشكل أدق عند الانتهاء منها، أما الملاحظة الثالثة فكانت أن الملاءة التي وضعت معلقة على درف الشرفة هي مجرد كفن استُخدم بالفعل من قبل، والتلوث الذي عليها يرجع لعملية نبش القبر الذي كان يحتويه أسفله، ومن الأرجح أن يعود هذا الكفن لتلك الجثة، وهو ما كان يسترها قبل أن تفضح بهذا الشكل الفج بعد انتهاك حُرمتها، ولكن سوف يؤكد تلك المعلومة نتائج التحاليل لعينة الجثة وعينة من قماش الكفن.

ظل محمود يفكر في تلك الملاحظات المبدئية ويدوّنها كعادته في مدوَّنته الصغيرة، وأثناء ذلك قام رجال البحث الجنائي بخلع الكفن المعلَّق ليدخل ضوء النهار المتسلسل من بين فتحات درف الشرفة، مما دفع محمود لكي يتقدم ويفتحها كي تضيء الغرفة ويستريح من رائحة التعفن الكريهة التي قتلته خنقًا هو ورجاله منذ دخولهم تلك الشقة اللعينة، ولكن ما إن وصل لها ليتفاجأ من عدم وجود مقبض لتلك الشرفة فلقد كان مخلوعًا عنها، ما إن يدفعها حتى تُفتَح على مصراعيها لتكشف عن شرفة صغيرة تطل على جهة خلفية لعقار مقابل مكون من ثمانية طوابق لا يطل منه أي شرفة أو نافذة، وبين الشرفة وهذا العقار أرض ضيقة تعتبر كما يسمونها مَنْورًا، يدخل ضوء النهار والقليل من أشعة الشمس حسب ما يسمح به العقار المقابل، وذلك لأن العقار الذي به الشقة مكون من ثلاثة طوابق فقط، ولكن ما لاحظه محمود أن طبيعة كل

شرفة في هذا العقار الصغير قد صُممت أن تكون في أسفل سورها جزءٌ مسطَّح إضافي، من المفترض أن يستخدم لمحبي الاعتناء بالزهور والشجيرات التي تزين الشُّرَف أن يستخدموها لهذا الغرض، ولكن بسبب البناية الضخمة التي بُنيت بالجهة المقابلة فحجبت أشعة الشمس لم تُستخدَم على الأرجح وأُهملَت.

لكن عندما استدار ليتابع حركة رجال البحث الجنائي بالغرفة من الخارج، حتى لاحظ شيئًا مما جعله يدفع درف النافذة مرة أخرى مُغلقها عليه وهو ما زال بداخل الشرفة، ثم نظر من خلال فتحات الشرفة ليجد أنه يستطيع مراقبة مَن بالداخل الغرفة بشكلٍ جيد دون أن يلاحظه أحد، ثم عاد بفتحها مرة أخرى وصاح بأحد رجال الشرطة ليساعده على اعتلاء سور الشرفة، وبالفعل ساعده ليعبره ويقف على الجزء المضاف للشرفة، ومنها لاحظ أنه يمكنه بقفزة صغيرة نزولًا للأسفل أن يقف على صندوق المُكيِّف للشرفة التي بالطابق الأول، وبالفعل فعلَ ذلك ومنها قفز قفزة أخرى بسيطة نزولًا ليقف على سور الشرفة لنفس الطابق، وعندها وجد أن أسفل تلك الشرفة قد وضع سُلَم حديدي صغير، يمكنه أن يكف على الجزء المضاف للشرفة ثم ينزل عليه فيصل للأرض هذا المَنوّر بكل سهولة.

وبالفعل نزل عليه ليصل لأرضية هذا المكان فنظر لأعلى ووجد أنه مكان في زاوية سوداء لا يراها أحدٌ، فلا يطل

عليه إلا شرفات صغيرة لمبنى شبه خاوٍ من السكان وهو المبنى الذي يضم شقة عامر، مكان غريب مُحاصَر من الأربعة اتجاهات بعقارات ملساء الشُّرف أو النوافذ إلا من جهة واحدة، اِلتفت حوله ليعثر على مخرج منه ليجد بابًا صغيرًا من الخشب المتهالك في الركن الشرقي أسفل الشُّرَف، فَتحه ليظهر أَمامه ممر ضيق مظلم، مشى فيه متحسسًا خطواته، وبعد مسافة صغيرة وجد بابًا آخر فتحه بحرص ليجد أنه فتح يطل على غرفة الحارس، نخرج مسرعًا لأعلى وأخبر رجاله أن يتم القبض على عبد التواب، وأن يقوم رجال البحث الجنائي بتفتيش غرفة الحارس جيدًا بما في ذلك شرفة الطابق الأول والمنور والممر المظلم، ووسط صراخ زوجته خلفه وهو يصعد سيارة الشرطة، تأتي سيارة الإسعاف لنقل الجثة، ولقد صمم محمود أن يرافق الجثة شخصيًّا حتى تصل للمستشفى، لكي يطمئن من عدم سرقتها مثل سابقتها فسوف يضع حراسة عليها حتى أثناء عملية التشريح، وأقسم إنها لن تفلت من يده تلك المرة إلا عندما ينتهي من كل شيء.

وصل بالفعل محمود لمستشفى غرب في سيارة الإسعاف مرافقًا للجثة، ليتابع خطوات المسعفين في تسليمها لقسم التشريح وهما يدفعان الناقل المتحرك الذي يحمل الجثة، ما إن وصلوا لباب قسم التشريح حتى تفاجأ محمود بأن من يقابله هو قَدري الذي نهض من مكانه منتصبًا:

- محمود باشا نورتنا والله، خير يا باشا.

حاول محمود أن يتذكر اسمه، ولكنه فشل في ذلك فأشار نحو الجثة وقال بنبرة حادة:

- أريد أن أسلم هذه الجثة.

وأشار قدري نحو عينيه مجيبًا:

- عينيا يا باشا.

تقدَّم قدري نحو الجثة يعاينها فيقبض محمود على ذراعه مانعًا إياه من الكشف عنها:

- لا بعد إذنك، أنا مَن سوف يسلمها إلى دكتور التشريح بنفسي.

أومأ قدري برأسه مطيعًا حتى يفلت محمود قبضته، وعاد قدري للخلف خطوتين مجيبًا:

- الدكتور حمزة بالداخل وهو المسؤول الآن عن قسم التشريح، سوف أخبره بوجود معاليك، انتظرني لحظات.

أشار له محمود بِالسماح له بالتحرك، هرولَ قدري للداخل، وبعد لحظات عاد وخلفه شاب نحيل الجسد تنير صلعته تحت إضاءة الممر الخافضة، يربي لحيةً خفيفةً تزيد من نحافة وجهه، ولكن رغم ذلك يتضح عليه الثراء من الملابس الثمينة والمنمقة أسفل المعطف الأبيض والحذاء الأسود الذي يتنافس في لمعته مع صلعة رأسه، دنا من محمود وهو ينزع من أذنيه سماعات الأذن تتدلى على رقبته، ثم مدَّ يده مسلمًا عليه وقال مرحبًا:

- معك الدكتور حمزة أبو الحمد، أنا تحت أمرك.

- معي جثة، وأريدك أن تستلمها وتبدأ في تشريحها فورًا، وسوف أترك معك فردَ أمنٍ لحراسة الجثة، لأنها قضية مهمة جدًّا ويجب أن تساعدني في ذلك.

قال محمود تلك الكلمات بحدة منتظرًا رد حمزة عليه الذي نظر لقدري محاولًا طلب المساعدة، ولكن قدري لم يسعفه بشيء بل تعمَّد تجاهله، عاد إلى محمود وهو يشير للمسعفين أن يناوله أوراق التسليم ليوقع عليه ثم نظر إلى محمود وحدَّثه بجدية:

- من أجل حضرتك سوف أستلمها الآن، ولكن نقطة أن أبدأ تشريح في الوقت الحالي فهذا صعب أو مستحيل، لأنني معي بالفعل جثة لقضية مهمة جدًّا ولها الأولوية بأوامر الدكتور ثروت مدير المستشفى، ويجب أن أسلمه التقرير اليوم، فأتمنى أن تقبل اعتذاري.

أنهي كلماته وهو يعيد الأوراق للمسعفين بعد أن وقَّع عليها هو ومحمود، وما إن شرع في الدخول مرة أخرى عائدًا حتى تفاجأ بمحمود يقبض على ذراعه موقفًا وقال بغضب متحديًا:

- إذًا سوف أحضر لك أمرًا من الدكتور ثروت أن تبدأ العمل في جثتي، وأن يكون لها الأولوية.

- افعل ما تريد.

قال حمزة تلك الكلمات محدقًا في محمود بندية، وتبادلا نظرات التحدي حتى ترك محمود ذراعه وهو يَتوعده بنظرات غاضبة، وما إن شرع في الخروج حتى سمع صوت حمزة يصيح فيه مناديًا بسخرية:

- ولا تنسَ أن تخبره عن فرد الأمن الذي سوف يحرس الجثة وهي بداخل الثلاجة.

أنصَتَ محمود لتلك الكلمات التي انتهت بضحكات عالية بدأت تخفض، وهو يبتعد بخطوات سريعة وغاضبة بين الطُّرقات متجهًا لمكتب مدير المستشفى، وما إن وصل حتى تفاجأ بعدم وجود السكرتيرة بالخارج، فقرر أن يطرق عليه الباب مستأذنًا للدخول، وبالفعل قام بذلك وبعد طريقتين دخل على استحياء، لتكون الصدمة أمامه وهي وجود طارق والذي يجلس مع مدير المستشفى ومعه الدكتورة سوسن والدكتور عصام والذي لم يتعرف عليهما بعد، ولكن كان يكفي المعطفاَن الأبيضان اللذان يكسوان ملابسهما ليعلم هويتهما، ولكن ما إن رآه الجميع حتى نطق طارق ومدير المستشفى الدكتور ثروت قائلًا اسمه مستغربين، وفاجأهما بقوله ناظرًا لطارق في تحدٍّ:

- آسف يا طارق باشا، لقد تأخرت عليك.

نظر له طارق محاولًا فهم ما يرمي له محمود من هذا الأسلوب هل هو تملُّق أَم سخرية حتى باغته الدكتور ثروت بترحيبه:

- منور يا محمود باشا.

ثم نظر لطارق وأردف متسائلًا:

- لماذا لم تخبرني يا طارق باشا بقدوم محمود صقر باشا حتى ننتظره؟

رمق طارق محمود محدقًا فيه وهو يحكّ بيده أسفل ذقنه، ثم عاد لثروت وأجابه:

- لقد كان مشغولًا بقضية قديمة ولم أظن أنه من الممكن أن يلحق بي.

ابتسم ثروت مشيرًا نحو سوسن وعصام معرّفًا في تودُّد:

- ليس هناك مشكلة، فالشباب لم يتحدثوا فيما يخص النقاط الجديدة التي توصلوا لها، والتي أراها من وجهة نظري أنها الأهم في القضية، تفضَّل يا دكتور عصام أخبر الباشاوات ما توصلتم له صباحًا.

ازداد وجه عصام احمرارًا من الخجل وبلع ريقه، ثم اعتدل في جلسته وقال بشيءٍ من التلعثم البسيط:

- أنا والدكتورة سوسن قسَّمْنَا العمل بيننا في نقطة تحليل الوجوه المسلوخة، هي كانت مهمتها الوصول لأقرب وجه منهم إلى الجثة المسلوخة، وأنا كانت مهمتي الربط بين أسلحة الجريمة وبين الوجوه والجثة بشكل عام، وبعد أن وصلَتْ الدكتورة سوسن اكتشفت عدم وجود توافق بين الوجوه المسلوخة والجثة.

ما إن سمع محمود تلك النقطة حتى اتسعت عَيناه من الصدمة، وطارق راقب ذلك وأنصت لعصام الذي أردف:

- جاء دوري واستطعت أن أثبت أن طريقة السلخ التي تمت للوجوه والجثة تمت بمشرط طبي من نفس نوع سلاح الجريمة، لكن الغريب كان في طريقة سلخ الوجوه العشوائية التي تَنُم عن أن خبرة الفاعل ضعيفة في هذه الأمور، وهذا كان واضحًا من التلفيات التي عثرت عليها في أجزاء كثيرة من حواف الوجوه، إلا الجثة.

وهنا أخرج صورتين من ملف كان يحمله، كان قد اِلتقطهما عن قرب تحت المجهر، واحدة تُظهِر جزءًا من حافة أحد الوجوه المسلوخة، والثانية تُظهِر بشكل مقرب جزءًا من وجه الجثة وبالتحديد الجزء الذي تم السلخ منه، ثم أردف:

- إذا تَمعنتم النظر في هذه الصور سوف تلاحظون أن مَن سلخ الوجه من الجثة شخص فاهم ماذا يفعل، ويدرك جيدًا كيف يمسك المشرط الطبي عكس الذي سلخ الوجوه الثلاثة وهذا يعني أنه شخص مدرب بعناية شديدة أو...

قاطعه محمود:

- دكتور تشريح.

***

سار طارق وبجواره محمود متجهين نحو سيارتهما بمرآب المستشفى، وما إن وصل طارق لسيارته حتى توقف ناظراً لمحمود الذي كان يسير بجانبه شاردًا فيما حدث وما توصل له، إذ تفاجأ بأن طارق مدَّ يده نحوه وهو ممسك بملفٍ صغيرٍ وقال له في جدية:

- هذا تقرير الطب الشرعي الذي به جميع النقاط التي سمعتها بالأعلى بمكتب الدكتور ثروت، ولكن بشكل مفصَّل أكثر، أريد منك أن تقرأه جيدًا وتخبرني بِملاحظاتك عليه.

مدَّ محمود يده ممسكًا بالملف على استحياء وهو يومئ برأسه موافقًا ليفهم منها طارق عدوله عن قراره بالاعتذار عن تلك القضية، فابتسم ابتسامة صغيرة ثم قال له داعيًا وهو يفتح باب سيارته:

- أنا ذاهب لمقابلة الدكتور شريف الآن، هل سوف تأتي خلفي بسيارتك أم تركب معي؟

نظر له محمود مفكرًا لحظات ثم أخذ قراره بِالرضوخ لطلبه والنزول عن تعنته وقال في ثقة:

- لا، سوف أسير خلفك بسيارتي.

وبالفعل تحرك الاثنان متجهين لمنزل الدكتور شريف والذي وصلاه بعد أقل من نصف ساعة من القيادة، دخلا البهو الخارجي وضغط طارق جرس الباب ثم وقف

منتظرًا ومحمود يقترب خلفه بخطوات مترددة، لحظات وفتح لهما الدكتور شريف بنفس بشاشته مرحِّبًا، فردَ ذراعه داعيًا إياهما للدخول وهو يسلم عليهما، ولكن عند مصافحته لمحمود تشبَّث بيده قليلًا وضم يده الأخرى قابضًا على يد محمود وقال مبتسمًا:

- أنا سعيد بعودتك لأني واثق أني سوف أستفيد من خبرتك في القضية.

تداعب تلك الكلمات غرورَ محمود ويكون لها السحر في رفع الحرج قليلًا، وبادله الابتسامة شاكرًا:

- متشكر جدًّا.

دخل الجميع للصالون، وجلس كل واحد منهم على مقعده السابق، حتى الكلب كان مستلقيًا بجوار مقعد الدكتور شريف والذي باغت الجميع بقوله:

- قبل أي شيء يجب أن أشكر الرائد محمود أنه قَبل أن يشرفني مرة أخرى في منزلي المتواضع، وأظن أنه سوف يسمح لي أن آخذ فرصتي الكاملة في شرح وجهة نظري التي للأسف لم يكن لي الحظ في عرضها المرة السابقة بشكل كامل، ومن الممكن أن يكون هذا بسبب قصور منِّي مع بعض الضغوط التي على كتف الرائد محمود، والتي أنتجت شيئًا لا نرغب في أن يتكرر مرة أخرى.

- معك كل الحق يا دكتور، أنا فعلًا كنت مضغوطًا ومذبذبًا ومشوَّشًا قليلًا حينها، وما حدث خرج مني بسبب

انفعالي الزائد.

قال محمود تلك الكلمات بكثير من الهدوء والرزانة، وبجواره طارق يتابعه وكأنه ينتظر أن يسمع تلك الكلمات، وبعدها ردَّ الدكتور شريف وصَدمه:

- هذا لأنك ضحية عامر.

أثارت كلماته مشاعر محمود وتحوَّل وجهه للجمود قليلًا وكاد أن يقول شيئًا، ولكن سبقه شريف بقوله بنبرة تتسم بالهدوء والحكمة:

- حاول أن تسمعني للنهاية، وأنتظر ردك في النهاية، لقد قرأت ملف عامر بشكل مفسر وبتركيز كبير، وخرجت بنقاط كثيرة وأجوبة على الأسئلة التي نَبحث عن إجاباتها، أولها: مَن عامر؟ عامر هو شخص غير سوي مريض بأكثر من ثلاث عُقد نفسية تشابكوا وتَطوروا وأنتجوا مجموعة من الأفعال الشاذة، وحتى أجيب عن هذا السؤال يجب أن أوضح فرقًا مهمًا جدًّا بين المريض السيكوباتي والمريض النرجسي؟ كل شخص سيكوباتي فهو شخص نرجسي، لكن ليس كل شخص نرجسي شخصًا سيكوباتيًّا، ماذا يعني هذا؟ يعني أن الشخص النرجسي له بعض الصفات منها أنه فاقد للتعاطف، حس العظمة، حس التملك والاستحقاق، ودائمًا متعطش للقُبول من الغير والإشادة به، وطبعًا على رأس قائمة هذه الصفات الغرور، ولكن عندما يرتكب خطيئة أو عملًا شنيعًا يشعر حينها بالعار

والذنب، والشعور بالعار يكون أقوى لديه؛ لأنه يهتم بنظرات من حوله، والعار شعور مرتبط بالغير وهذا يكون سببًا لقلقِه المستمر.

أما الشخص السيكوباتي هو يمتلك كل الصفات السابقة ولكن باستثناء الشعور بالذنب والعار، لا يشعر بالندم عما يرتكبه من أخطاء، ومن الممكن أن يقول أنا لا أهتم بمن تأذّى بسببي» وعامر كتب جملًا كثيرة شبيهة لهذا في ملفاته الستة التي تركها بعد ما يسمى...

هنا أشار بإصبعيه وكأنه فاتح قوسين ثم أردف قائلًا أمام إنصات طارق ومحمود باهتمام:

- «موته»» وهذا يدفعنا لأن ننتقل لشيء ثالث مهم جدًّا وهي السوسيوباتية، وهي تعتبر مرحلة أقوى من السيكوباتية لأن المريض بها يستطيع أن يظهر بشكل متزن أمام الناس ويندمج في المجتمع كإنسان سوي ويقدر على خداعهم بسهولة، ونقطة عدم شعوره بالندم أو الذنب أو الخوف من العواقب تكون في أعلى معدلاتها، عندما يتخطى أحدنا إشارة مرور أو نقوم بعمل خطأ غير مقصود نتلفت حولنا وضربات قلبنا تصبح سريعة ويفرز العرق من مسام جلدنا وأعيننا تتسع بسبب أننا خائفون من العواقب، أما المريض السوسيوباتي لا يشعر بكل هذا أو يستثار لها، وهذا يجعله من الممكن أن يتجاوز جهاز كشف الكذب بسهولة، وعندما تم عمل أشعة على المخ لأشخاص مرضى بهذا النوع وجدوا أن الجزء المسؤول عن مشاعر الندم في المخ لا

يتفاعل من الأساس مع مثل هذه المواقف ولا يظهر عليه أي تأثُّر أو تغيُّر.

ضرب بيديه على الملف الذي بجواره على الطاولة، واسترسل حديثه في شيءٍ من الحزن:

- هذا المرض لا يظهر بسبب موقف غريب أو صدمة حياتية مثل معظم الأمراض النفسية، هذا المرض يكون موجودًا من فترة كبيرة عند المريض، حتى يتم تشخيص المريض بالمرض السِوسيوباتي يجب أن يمتلك عدة صفات قبل أن يصل إلى سن الخمسة عشر عامًا، هل تتخيلون كيف يبدأ هذا المرض في هذا العمر الصغير؟ وهذه الصفات تتلخص في العنف المتكرر ومخالفة القانون، الكذب والخداع المستمرين، العنف الجسدي، التجاهل المتهوِّر لسلامة مَن حوله، عدم شعوره بالمسؤولية تجاه عائلته، عدم الإحساس بالندم، وأخيرًا ما يُطلق عليه الآن التنمر المرضي.

وهنا أشار لملف كبير رافعه وبالتحديد عند عنوانه برقم قضية مقتل عامر، ثم أكمل:

- ومن خلال الملفات التي كتبها عامر بنفسه كملفات مشفَّرة أثبت جميع هذه الصفات، وهذا يصل بنا في النهاية لتعريف عامر، أنه نوع فريد من مرض الساديزم، الذي استطاع أن يجمع بين الكثير من العقد النفسية التي تشابكت مع بعض، حتى خلقت شخصًا مَريضًا بِالساديزم

بهذا الشكل المتطور، ونجح بشكل كبير ومخيف في أن يؤذي بنجاح من يقترب منه، وآخرهم أنت.

وهنا أشار لمحمود الذي نظر له متفهمًا دون أن يُثار كعادته وأومأ برأسه مؤكدًا بذلك، ثم أردف الدكتور شريف:

- وهذا يدفعنا لكي نذهب للسؤال الثاني: لماذا جريمة قتل معقَّدة بهذا الشكل تُذاع على شاشة مرئية؟ لأن هذا نابع من عامر نفسه لأنه شخص سادي يتلذذ بتعذيب من حوله ويستمتع بهذا جدًّا، ومن خلال الرسالة التي وصلت لك يوم تنفيذ حُكم الإعدام والتي قال فيها «ولن يتوقف اعتذاره» فهذه هي إجابة السؤال الثاني.

أعاد الملف على الطاولة مرة أخرى وأردف في حديثه مشيرًا لصدره:

- هو من خلال هذه الجريمة يوضِّح وجهة نظره في الاعتذار، وكَم هو اعتذار سادي جدًّا، ولأنه شخص ذكي ويعلم جيدًا مع مَن يتعامل، ولكن تخطيطه لجريمة قَتله وتلفيق التهم بهذا الشكل لم يكن كافيًا له، لأنه بالفعل اعترف عليهم وأعلن أسماءهم وتعتبر القضية مكتملة الأركان، ولكنه أراد أن يُضيف فكرة الملفات حتى يكون الدافع الرسمي لتنفيذ الجريمة وما هي إلا عبارة عن مذكرات كُتبَت من وجهة نظر عامر وبالطبع «التاريخ يكتبه المنتصرون» ولذلك كان الغالب على أسلوب الكتابة

هو الصيغة الاستفزازية بشكلٍ كبير والفخر بأذيتهم وكأنه إنجاز مهم، وهذا على ما أظن كان هدفًا من اثنين.

وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى وأردف:

- هو أن تصل هذه الملفات إلى المتهمين بشكل ما، وهذا حدث بالفعل من خلالك حتى تضغط عليهم في التحقيقات، ويكون قد مارس عليهم السادية للمرة الأخيرة، وهو يعرف أنهم حتى لو أنكروا فلا يوجد دليل براءة واحد حتى، سوى أن يثبت أحد أنه ما زال حيًا، وهذا لم يحدث إلا بعد أن ضمن تنفيذ حكم الإعدام وحينها أرسل لك الرسالة، أو أن تنتشر هذه الملفات ويصل بها إلى هدفه الأساسي من الجريمة، وهو الإشهار بمبدأ اعتذاره السادي، ويحث الزخم الإعلامي حول القضية ويتم نشر تلك الملفات وتنتشر وجهة نظره في الاعتذار حتى تصل إلى قطاع كبير، ويصبح حديث الصحافة والإعلام مواقع التواصل، وهذا ما جعله يلجأ للبث المباشر على الفيس بوك في المرة الأولى والبث المباشر على التلفزيون في المرة الثانية، وهذا هو أهم هدف له أن يكون حديث الناس، وهذا من أهم أعراض المرض لديه.

قاطعه محمود متسائلًا:

- ولماذا خصني بإرسال رسالته اللعينة؟

نهض الدكتور شريف من جلسته مجيبًا ببشاشة:

- سوف أجيب عن سؤالك، ولكن يجب أن أقوم بصنع شيء نشربه أولًا اسمحوا لي.

وبالفعل تحرك الدكتور شريف ويتبع كلبه إلى المطبخ، وفي تلك الأثناء نهض طارق نحو النافذة يسترق من خلالها النظرات للخارج صامتًا، وهذا ما جعل محمود يفتح تقرير الطب الشرعي الذي كان قد أعطاه له طارق من قبل لأنه لم يجد شيئًا يفعله سواه، وأثناء قراءته له كسر طارق صمته وقال آمرًا:

- أريدك أن تخبرني بما توصلت له من معاينتك للجثة بشقة عامر اليوم، ولكن بعد أن نرحل من هنا.

- تمام.

ردَّ محمود مقتضبًا وعاد ليكمل قراءة التقرير، وما إن أنهاه كان قد عاد الدكتور شريف ومعه ثلاثة أكواب ساخنة وزعها عليهم ثم عاد لمقعده مرة أخرى ومثله عاد كلبه وظلَّ طارق واقفًا مكانه استند على النافذة، وأمسك الدكتور شريف ملف القضية وتصفَّحه سريعاً باحثًا عن شيء ما، وبعد لحظات من البحث أخرج ورقة رافعها أمامهم وقال متحمسًا:

- الرسالة وصلتك منه بشكل مباشر وهذه جراءة كبيرة منه والهدف منها أن يضمن أنك تفهم المخزى منها وهي أن اللعبة لم تنتهِ، لأنك تعتبر أمامه منافسه الوحيد الذي استطاع أن يدفعك لكي تنفذ له ما يخطط له وشَعر

بالانتصار عليك، ولا يريد أن يبدأ مع شخص آخر من البداية، لأنه للأسف، وسامحني فيما سوف أقوله.

نظر له محمود وأومأ برأسه كأنه يتوقع ما سوف يخبره به، وما إن رأى شريف ذلك حتى أردف قائلًا بقليل من التوجس:

- هو مستمتع بالسادية التي يمارسها معك ولم يكتفِ منك بعد، والتي كانت من خلال الألغاز المشفرة والتي وضعها وهو منتظر الضابط الذي سوف يستطيع حلها أو يرسل من يساعدك في ذلك.

هنا نظر له محمود مستغربًا حتى أردف:

- مثل زميلك الذي زرعه لك كمتّهم سادس بسبب علاقته بوالده.

ترتاح أسارير محمود قليلًا فلقد كان يظن أن هناك من أخبره بأمر استغلاله لزياد في حل الألغاز، ولكن سرعان ما زال هذا الشعور عندما أنصت لباقي حديثه وأردف:

- ولذلك أثبت نظريته بأنه أرسل رسالة ثانية لك بشكل مشفر، حتى يمارس عليك السادية من خلال اللغز الذي يخص صورة ابنتك، وهو واثق تمامًا أن هذا الشيء سوف يغضبك كثيرًا ويجعلك تفقد تركيزك، وبعد إثباته أنه ما زال حيًا من خلال الفيديو الأخير فإنه يريد أن يستمتع بإثبات فشلك وفشل الداخلية في التحقيقات، وبهذه الطريقة يمكن أن يصل بك إلى الانهيار، والتي من الممكن

أن تجعلك تعترف بجريمة قتل حتى تُرضي غَريزتك في الانتقام، حتى لو انتقام شرفي معنوي كما فعل المتهمون عندما اعترفوا بجريمة القتل رغم أنهم لم يفعلوا شيئًا، أو تختصر كل هذا وتفكر في الانتحار.

تلاعبت تلك الكلمات بعقل محمود ولا يصدق ما قاله الدكتور شريف وكيف وصل لكل ذلك وكأنه أحد المنجمين أو أن هناك من يراقبه جيدًا، ثم شرد لحظات وتلاعبت الظنون في عقله وهو يتخيل أن يكون صديقه عمر المنياوي قد أخبر طارق بكل شيء وهو بدوره أخبر شريف، ظل في حيرة بين أمرين لا ثالث لهما، إما أن يكون صديقه عمر قد خانه إلى قائده الجديد طارق مَانحه فروض الولاء والطاعة على حساب صداقتهما، أو أن هذا الطبيب متمكن من علمه لدرجة الانبهار، قاطع شروده هذا رنينُ هاتفه ليجد المتصل الأمين قنديل، أشار إلى الدُكتور مستأذنًا وردَّ عليه:

- نعم، ماذا تريد يا قنديل؟

أنصت لما يقوله بدهشة، ولكن ما سمعه منه جعله يطلب منه مستفهمًا:

- ماذا تقول؟

تجمَّد وجهه من أي تعبير سوى الصدمة، وأثار هذا فضول طارق الذي وقفَ هو الآخر متسائلًا:

- خيرًا يا محمود؟

نظر له محمود مستغربًا ثم أجابه:

- قنديل أمين الشرطة لَدي بالقسم يخبرني أن لديه سيدة تنتظرني عرَّفت نفسها على أنها أخت عامر.

***

تحرك طارق ومحمود من منزل دكتور شريف بعد أن وعداه أن يعودوا مرة أخرى لاستكمال حديثهم، ركب طارق في سيارة محمود الذي ذهب بها سريعًا إلى القسم وصعد الدرج قفزًا لمقابلة تلك السيدة التي تدّعي أنها أخت عامر، وبالفعل بمجرد وصول محمود لباب مكتبه وجد سيدة عجوزًا مسنة في بداية الستين من عمرها، سيدة حفر الزمان في وجهها الكثير لينتج لوحة من التجاعيد المنسقة بعناية، سمراء البشرة بعض الشيء ونحيلة الجسم بشكل لا تستطيع أي عين أن تنكره، ترتدي عوينات سميكة تقعِّر عينيها وتبرزها بشكلٍ مزدوج، يجتمع شعرها الفضي البراق في نهاية رأسها بقبة فضية، تنطوي برأسها على حقيبتها السوداء الجلدية التي تحتضنها بحب وكأنها ابنتها التي تجلس على قدمها طالبة الحنان، وباحتضانها تستمد السيدة منها الشعور بالأمان، ورغم حرارة الجو الحار نسبيًا إلا أنها ترتدي معطفًا طويلًا من الصوف الذي عاصر بالتأكيد أفلام الأبيض والأسود في خمسينيات العام الماضي، كانت تجلس على مقعد بجوار مقعد قنديل والذي بِالأرجح أحضره لها خصيصًا حتى تنتظر عليه قدوم محمود

كما أخبرها، وبعد لحظات دخل محمود وخلفه طارق بعد أن حدَّقا في السيدة أثناء مرورهما بها، وخلفه دخل قنديل مسرعًا فقال له محمود:

- أمر بكر أن يعد العصير الخاص بي بالإضافة لطلب طارق باشا، وأدخِل السيدة التي تنتظر بالخارج.

ألقى عليه قنديل التحية العسكرية وسأل طارق عما يرغب في تناوُله فأخبره بكوب من القهوة السادة، خرج مناديًا على السيدة ما إن تدخل أمامه حتى يغلق الباب خلفها، دخلت هي بخطوات متوجسة بطيئة تنتقل عيناها للنظر بين عين محمود الذي نهض لها وطارق الذي يتابع ما يحدث في صمت، تصل بعد عناء لمقعد المكتب والذي يقابل مقعد طارق فأشار لها محمود أن تجلس ومن بعدها جلس هو، فقال لها محاولًا خفض حالة التوتر التي تملَّكتها:

- ألا تشعرين بأن الجو حار بعض الشيء؟

- عندما يموت شخص عزيز عليك تصبح وكأن الحائط الذي يستر عليك قد دُمِّر وأزيل من حولك، فكيف تشعر بالدفء وقد أصبحت عاريًا أمام جميع الخلق وبالأخص أمام نفسك.

وهنا أشارت للمعطف الذي ترتديه وأردفت بابتسامة حزينة:

- نحن نحاول أن نلامس إحساس الدفء والستر في

أي شيء، حتى ولو ظهرنا كالمجاذيب، ولكن دفء القلب ليس بسهولة أن نعثر عليه.

أثَّرت تلك الكلمات على محمود كثيرًا وشعر وكأنها تصف حاله بعد وفاة ابنته، وكان لهذا السبب في أن يلين في أسلوبه معها ويتخلى عن ملامح الجدية التي كان يرتديها قبل دخوله، وأثناء ذلك دخلَ بكر بمشروب محمود الخاص وقهوة طارق، وقبل أن يغادر بكر سألها في بشاشة:

- أترغبين في أن أطلب لكِ شيئًا تشربينه؟

- قرفة باللبن أكون شاكرة جدًّا.

أجابته في خجل فأكد على بكر إحضار طلبها، ولاحظ في عودته نظرات طارق التي بدأت تضيق مللًا، فبدأ في سؤالها:

- ما هو اسم حضرتك؟

أجابته بكثير من الثبات والراحة:

- صفية، صفية زكي بخيت.

كان لسماع اسمها وقع الصدمة على محمود الذي اعتدل في جلسته ودنا من سطح المكتب أكثر، وترك طارق فنجان القهوة مكانه على سطح المكتب والتي كان قد شرَعَ في تناولها ونظر لمحمود بغضب، وهنا حاول محمود أن يتدارك تلك الصدمة بأن يذهب لمصدرها، وهذا ما فعله أنه صاح مناديًا على قنديل الذي دخل مسرعًا وبَاغته

محمود بسؤاله:

- هل يمكن أن تعيدي لي ما قُلتِه نصًا في الهاتف مرة ثانية؟

نظر قنديل له في توتُّر ولاحظ نظرات طارق المراقِبة له، فبلع ريقه وأجاب في توتر:

- لقد بلغت معاليك أن أخت المجني عليه عامر ترغب في مقابلة سيادتك يا افندم.

قاطعته السيدة صفية وهي تشعر بالإحراج وتلعثمت في قولها غير ناظرة له:

- أنا لم أقل إني أخت عامر هذا، أنا قلت إني أخت الذي ظهر في التلفاز والضابط هنا هو المسؤول عن قضيته.

شعر قنديل أنها سوف تطيح به أمام محمود بما قالته وبَاغتها بسؤال مصححًا:

- وأنا أجبتك أن الضابط هنا ليس معه سوى قضية واحدة بهذا الشكل، والتي خرج فيها المجني عليه يعترف على قاتليه قبل أن يموت، وأنتِ حينها قلتِ نعم هذا هو، أليس هذا ما حدث؟

وهنا دنا منها منحني الرأس وقال بشيء من التوسل فلقد لاحظ نظرات الغضب تسيطر على محمود وطارق وهما يتابعان ما يحدث، وهنا أدارت السيدة صفية وجهها نحوه، ونظرت في عينيه وشعر بالضياع وأردف بتوسل

أكثر:

- يا حاجة قولي الحق بالله عليك، لقد أكرمتك على رأسي منذ أن جئتِ حتى جاء محمود باشا.

بعض لحظات من الصمت أجابته بشيء من الرضا:

- آه قلت ذلك.

- أرأيت معاليك أنا والله ما كذبت عليك، ما فهمته منها أبلغته إليك يا افندم.

أومأ محمود رأسه موافقًا على مضض وأشار له بالانصراف، وما إن شرع في غلق الباب حتى دنت السيدة صفية من سطح المكتب، وهمست لمحمود قائلة وهي تحرِّك سبابتها نافية:

- لكن لم أقل إني أخت عامر كما قال.

- لا يهم يا سيدة صفية ما قاله، هل ممكن أن تخبريني ما هو سبب زيارتك الكريمة لي؟

قال محمود تلك الكلمات بعد أن تناول رشفة طويلة من مشروبه الخاص الذي ساعده في اتخاذ قراره الأخير بسؤالها هذا السؤال كي تتضح الرؤية بشكل أفضل، أعادت السيدة صفية ظهرها مستندًا على ظهر المقعد وهي قالت بكثير من الثقة:

- أرغب في دفن جثة أخي في مقابر العائلة بأسيوط.

نظر لها محمود محاولًا التفهم ولذلك قال لها مستفسرًا:

- ما علاقة أخيكِ بالفيديو جريمة القتل هل من الممكن أن توضحي هذا لي؟

مدَّت يديها وفتحت حقيبتها وأخرجت منها محفظة صغيرة ومنها أخرجت صورة قديمة لفتاة صغيرة تحمل طفلًا رضيعًا، وقالت وهي تعطيها إلى محمود:

- هذا أخي زكريا، أصغر منِّي بتسع سنوات، أمي توفيت وهي تلده وكنت أنا بالنسبة له أمه، لكن والدي منه لله أجبرني على الزواج وأنا صغيرة فلم ألحق أن أُشعره بالأمان، ومع ضرب والدي له ومعاملة الحرباء زوجة أبي السيئة، زكريا ترك البيت وعمل مساعد نقاش، وكان ماهرًا جدًّا والجميع أشاد به حينها، ولكن أصدقاء السوء أغوه بما يسمى الأفيون، وبسببه ترك صنعته وبدأ يسرق وتم القبض عليه مرتين بتهمة سرقة بالإكراه وتم حبسه بالسجن، لكن في المرة الثالثة حُكم عليه بالسجن لعشر سنوات لأن من كان يسرقه كاد أن يموت في يده، ولذلك اعتبره القاضي متهمًا بقضية الشروع بالقتل، ومنذ يوم خروجه منذ ست سنوات وأنا لا أعرف عنه شيئًا، بحثت عنه كثيرًا، توفى زوجي وتبرأت مني بناتي بسبب إصراري في البحث عن أخي وأصبحت حبيسة المنزل لا أخرج منه أو يزورني أحد، أنا كنت أبحث عن ابني الذي سوف أتعكز عليه ليس أكثر من ذلك، ليس ذنبه ما وصل له، ومن حقه أن يشعر بحنان الدنيا قليلًا، لأنه لما يرى منها من حنا عليه

فيها طيلة حياته.

بدأت عيناها تزرفان الدموع فأخرجت من حقيبتها منديلًا ومسحت به دموعها ثم أردفت حديثها:

- ومنذ يومين شاهدت برنامجًا تلفزيونيًّا يعرض فيديو لشخص يعترف عن قاتليه قبل أن يموت، ثم عرضوا بعده مقطعًا لنفس الشخص يعلن فيه أنه ما زال حيًّا ويخشى من أشخاص آخرين يرغبون في قتله، ثم مقطع ثالث وهو ملقى على طاولة مفارقًا للحياة، أنا على عِلمٍ بأن نظري ضعيف ولكني على يقين أن مَن ظهر في هذا الفيديو هو أخي زكريا، بالتأكيد السنوات الست التي مروا دون أن أراه غيَّروا فيه بعض الشيء لكنه يبقى أخي وابني البكري.

قالت تلك الكلمات ومدت يديها وأخرجت من محفظتها صورة صغيرة لرجل في أواخر الأربعين من عمره، وقالت وهي تعطيها إلى محمود:

- هذه آخر صورة لدي لزكريا، أعطاها لي كي أحتفظ بها كذكرى وكأنه يعلم ما سوف يحدث له، كان قد تصورها بغرض إخراج جواز سفر للهروب إلى الخارج، ومن أجل مصروفات السفر تورط في القضية الأخيرة.

ما إن رآها محمود وتمعن النظر فيها وأصابته الدهشة مما رآه فهو يشبه عامر بشكلٍ كبيرٍ بالفعل، مرَّرها لطارق الذي ما إن رآها حتى قام من جلسته وأمسك هاتفه قائلًا في حسم:

- نعم يا دكتور ثروت سوف أرسل لك سيدة أرجو منك أن تأخذ منها عينة مناسبة، وتقارنها مع عينة الحمض النووي (DNA) للجثث والوجوه التي لديك.

نظرت له السيدة صفية مستغربة ومحمود تابعه عن كثب، وهو أردف في مكالمته قائلًا:

- أعلم أنه تحليل مكلِّف يا دكتور ويلزم تصريح من النيابة، ولكن أنا معي دليل سوف يجعل النيابة توافق على طلبي لا تقلق، سوف أرسل لك السيدة مع الرائد محمود وأنا سوف أنهي تصريح النيابة وآتي لك، شكرًا.

دنا من محمود وهو يقول آمرًا:

- أظنك سمعت وفهمت ما سوف يحدث، سوف تفتح محضرًا رسميًّا بأقوال السيدة صفية وأنا سوف آخذ نسخة منه وأذهب إلى النيابة وأطلب منهم الموافقة على تحليل الحمض النووي، لأنه يجب أن نغلق هذا الباب من بدايته؛ لأن القضية لا تحتمل أبوابًا أخرى تُفتَح فيها.

توقف للحظات مفكرًا ثم قال بتقاسيم وجه منفرجة:

- هل تصدق أن بهذا المحضر سوف أقوم بعمل شيء لم تفعله من بداية القضية، وبالتأكيد لك عذرك لأن ما كان أمامك من أدلة وبراهين لم يدفعك لأن تشكّ حينها، وكي تطلبه يجب دليل قوي تقدمه إلى النيابة، وهو أننا نتأكد أن ما لدينا هي جثة عامر من الأساس، أنا سوف أطلب من النيابة إخراج جثة عفاف وخالد وعمل تحليل الحمض

النووي عليهم حتى نتأكد أن ما لدينا هي جثة عامر أم زكريا أم شخص آخر.

***

«قاتلي العزيز، أصعب الطعنات هي التي تأتي في منتصف ظهرك فأنت لن تعرف مَن خانك ولن تستطيع أن تخرجها بيدك، ولذلك أُفضِّل أن أطعنها لك»

عزيزي القارئ، هذه النسخة من رواية:
(اعترافات جثة) تم تجهيزها لصالح مكتبة ضَاد الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فإن كنت قد تعبت في تحميل هذه النسخة من المواقع الإلكترونية الأخرى، فتذكر أنه بمقدورك تحميل هذه الرواية وأي رواية غير متوفرة بصيغة pdf بضغطة زر واحدة، وذلك عن طريق قناتنا على تيليجرام. رابط القناة (@twinkling4) نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة.

الفصل الخامس

النذل والبنون

7 ديسمبر 2015

يجلس عامر بِالغرفة الملحَقَة لمكتبه وهي غرفة الاجتماعات وأمامه يجلس على الطاولة جميع الموظفين بالشركة وهم أربعة أفراد، المهندس أحمد والمهندسة هايدي والمحاسب علي والمصممة ليلى، وتقف بجوار السكرتيرة ريم، يمر عليهم محدقًا في عيونهم صامتًا لحظات أطالت حتى غلب صوت أنفاسهم حاجز الهدوء وقال بجدية ونبرة حادة:

- الوضع في الشركة غير جيد بالمرة، وفي وضع مثل هذا يجب أن أتخذ قرارات مُجبر على اتخاذها، وهذا سوف يجعلني أجتمع مع كل فرد منكم على حدة بشكل خاص، ومَن أنهى معه الاجتماع يخرج مباشرة إلى باب الشركة.

قال كلمته الأخيرة لتسقط على آذانهم كتساقط الثلج على الأجساد العَارية، صدمة اتّسعت بعدها عيون الجميع واَختلسوا النظر بعضهم لبعض جاهلين ماذا سوف يحدث، ولكن الجميع اتفقوا على شعور واحد وهو الخطر الذي يهاجم بضراوة لقمة عيشهم، برزَ من جبهتهم نفور العِرق البارد من هذيان نبضات القلب التي تدقّ خوفًا، كل هذا وعامر صامتًا يتابعهم ويحدق فِيهم مرورًا بواحدٍ واحدٍ، كان يتلذذ بتلك النظرات وكأنه يقصد أن يقول كلماته

بتلك الطريقة حتى يستمتع أكثر، وعلى حين غفلة فزع الجميع بعد أن ضرب عامر سطح المكتب بيده وقال آمرًا:

- الكل ينتظر في مكتبي حتى تأتي ريم وتنادي على أسمائكم.

ابتلع الجميع ريقَهم وتحركوا بخطوات مرتعشة نحو مكتبه، وجلسوا هناك مطأطئين الرؤوس متوترين، وعامر يراقب ذلك فلا يفصل بين غرفة الاجتماعات ومَكتبه سوى فاصل زجاجي له وجهان، وجهة عاكسة وهذا ما يراه من بداخل مكتبه، ووجهة شفافة وهذا يخص غرفة الاجتماعات، فهو يراهم وهم لا يرونه، يراقبهم هم، وهم يراقبون أنفسهم، وكانت أن يروا اِنعكاسهم في هذا الوضع المزري أثار توترهم أكثر وزادَ من اِضطرابهم النفسي، تحركت ريم السكرتيرة خلفهم وأغلقت الباب ثم دنت من عامر وانحنت وسألته بدلال قائلة:

- مَن أحضره إلى سيادتك أولًا؟

فنظر لها متفحصًا مفاتنها وأخبرها بابتسامة المنتصر:

- أنتِ أولًا يا أستاذة.

قبض على رقبتها وأسندها على الطاولة دافعًا جسدها أمامه وقالت بتوجس هامسة:

- لا يصلح أن نفعلها هنا والآن، سوف يشعرون بنا، اجعلها عندما يغادرون مثل كل يوم.

نزع عنها سترتها وقال بغضب هامسًا:

- أنا لا يأمرني أحد بشيء، اصمتي وإلا سوف تجلسين بِجوارهم تنتظرين مصيرك خارج الشركة.

أومأت برأسها اهتزازًا معلنة الموافقة أو الرضوخ له بشكل أدق ليقوم بأخذ لذّته منها وهي تكتم صوتها حتى لا تُفضَح، وهو لا ينظر لها بل يفعل ذلك وهو يراقب توتر الموظفين المنتظرين لمعرفة مصيرهم المحتوم لا يرون ما يفعله بها، ما إن انتهى منها حتى أمرها أن تنظف المكان كما كان، ثم تذهب لكي تهندم ملابسها بالحمَّام من الباب الآخر، وتعود مرة أخرى كي تحضر له أولى الضحايا، وبالفعل خرجت وغابت عدة دقائق هندم فيها عامر نفسه وعاد جالسًا مكانه يراقب الشحوب والعرق اللذين احتلا وجوه الجميع أمامه بسبب هذا الانتظار المميت المتعمَّد منه، عادت ريم بعد أن استطاعت أن تعيد مظهرها كما كان حتى لا يشعر أحدٌ بتغيير ويُفضَح أمرها، ما إن دخلت حتى أشار لها أن تحضر له أوَّلَهم قائلًا بسخرية:

- أدخلي أحمد أولًا أرغب في تذوُّق شيءٍ مالح بعد أن تذوقت الحلو.

فتبتسم خجلًا وتخطو أمامه بدلالٍ وتفتح الباب الفاصل، ما إن يسمع مَن بالجانب الآخر صوت تكة المفتاح حتى تتسع أعينهم وتشرأب رؤوسهم بفضول يمتزج بالخوف، فقالت بصوت ثابت وهي تنظر إليه بإعجاب:

- الباشمهندس أحمد، تفضل.

وقف المهندس أحمد ذو الزي المنمق الفاخر وعويناته التي من صنع شركة عالمية كي تحافظ على عَينه من الأشعة الضارة، دخل بجسده الرياضي الذي لا يقدر على محاربة هذا التوتر الكبير فيدخل وملابسه تبتل عرقًا من أماكن كثيرة من جسده، يقترب من عامر فيشير له أن يجلس بجواره وبالفعل يفعل ذلك وهو يرسم ابتسامة مزيفة، وهنا يمد عامر يده جانبًا ولكن لم تلاحظ ريم ذلك فلقد كانت شاردة في جسد أحمد، مما جعل عامر يطقطق بأصابعه فكسر شرودها هذا وجعلها تهرول وتحضر ملفًا من ضمن ملفات موضوعة بِجانبه، فيفتحه ويقرأ منه عدة سطور قليلة بنظرات خاطفة وقال وهو غير مكترث بالنظر له:

- أحمد، أنت تعمل معي منذ خمس سنوات، ومن المفترض أن تصبح رئيس قسم التصميمات بالشركة، ولكن بسبب الوضع الحالي المتردّي أمامك خيارٌ من اثنين، هذا إذا رغبت في أن تبقى بالشركة؟ أولهما أن تمنح ترقية وتصبح رئيس قسم التصميمات ولكن حينها الراتب الخاص بك سوف يقل 30% أو أن أفصل المهندسة هايدي وتضيف عملها إلى عملك، وحينها سوف يزيد راتبك 10% ولكن سوف تعمل ست عشرة ساعة بدلًا من عشر ساعات.

هنا حاول أحمد أن يجمع كلماته من الصدمة فقال مترددًا:

- أنا حضرتك عليَّ أقساط السيارة والمدارس هذا غير أني أعمل كمُحاضِر ليلًا حتى أزيد من دخلي القليل، الاختيار صعب جدًّا.

هنا داعب عامر أسفل ذقنه كأنه يفكر في حديثه، ولكنه كان يريد أن يعصره توترًا أكثر، وبعد أن أشبع رغبته بتعذيبه قليلًا قال بحدة زائدة:

- من الواضح أنه كان يجب عليَّ أن أخبرك بها في البداية.

دنا منه وقال ببطءٍ وصرامة وكأنه يتلفظ حروف كلماته:

- أنا لا أحد يتفاوض معي.

ثم اعتدل في جلسته وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى آمرًا:

- أمامك اختيار من الاثنين، اختَر أحدهما وسوف توقِّع عقدًا جديدًا بهذا الاتفاق، أو لا تأتي غدًا الشركة وتذهب مباشرة إلى الحسين تدعي عليَّ، وتطلب منه العوض في مَالك المحفوظ عندي، والآن ما هو اختيارك؟

قالها عامر وصمت ليراقب ما ظهر على أحمد من انكسار وحيرة حتى قال في نبرة ملؤها الانكسار:

- موافق على أني أعمل ١٦ ساعة براتب يزيد إلى ١٠٪.

- وأطرد هايدي وتضيف عملها إلى عملك؟

سأل عامر سؤاله هذا وهو ينظر لأحمد محدقًا، فأومأ أحمد

إيجابًا دون أن ينطق بها، وعليها نظر عامر لريم التي تأتي بورقة وقلم وتضعها أمام أحمد الذي فرك وجهه بيديه توترًا ووقَّع العقد بيد مرتعشة، وهنا مدَّ عامر يده وسحب العقد من أمامه ووضعه بجانبه على الطاولة، ثم أشار نحو الباب وقال آمرًا:

- تخرج من هنا إلى منزلك مباشرة دون أن تتحدث مع أحد.

نهض أحمد منكسرًا وتحرك نحو الباب وهنا يسمع عامر قائلًا له بصوت خافت:

- ولا تنسَ شيئًا مهمًّا، أنك تحت الاختبار لمدة ثلاثة أشهر حسب بنود العقد الجديد، وأنت بالتأكيد واعٍ لهذا جيدًا.

اتسعت عيناه غير مصدق ثم أومأ برأسه متفهمًا، وخرج وهو يفك ربطة العنق محاولًا التنفس، كل هذا وعامر يراقبه بتلذذ ومتعة تنير عينيه بريقًا، ثم أشار إلى ريم بالتحرك نحو الباقين:

- أحضري لي المغرورة التي تُدعى هايدي.

تحركت ريم بخطوات سريعة وكأنها تريد أن تراقب ما سيحدث معها بفضول وفرحة مما يتضح غيرتها منها بكل تأكيد، وبالفعل وصلت لمكتبه ونادت عليها بكثير من التكبر، فوقفت هايدي والتي تتسم بالجمال رغم ملابسها غير الملفتة لمفاتنها ولكنها تتميز بِثقتها في نفسها وعلى علم بأنها من

أكثر الموظفين بالشركة جهدًا وإخلاصًا ومهارة، نظرت إلى ريم بنظرات الاحتقار والتعالي، ما إن عبرت أمامها حتى تعود إلى توترها فأشار عامر لها أن تجلس، وما إن جلست فضمت يديها وبدأت في فرك بعضهما ببعض توترًا، وتابع عامر ذلك بسعادة ثم قال بجدية:

- هايدي، أنتِ تعملين معي منذ أربع سنوات وتحملين الكثير من العمل وتستطيعين إنجازه في وقت قياسي وبجودة عالية، ومن المفترض أن تصبحي رئيس قسم التصميمات بالشركة، ولكن بسبب الوضع الحالي المتردي، أمامك خيار من اثنين، هذا إذا رغبت في أن تبقى بالشركة؟ أولهما أن تُمنحي ترقية وتصبحي رئيس قسم التصميمات ولكن حينها الراتب الخاص بك سوف يقل 30% أو أن أفصل المهندس أحمد وتضيفي عمله إلى عملك، وحينها سوف يزيد راتبك 10% ولكن سوف تعملين ست عشرة ساعة بدلًا من عشر ساعات.

إصفر وجهها بتعبيرات الصدمة وزفرت زفرة بطيئة وهي تنظر للأسفل مفكرة، وبعد لحظات من متعة عامر بالنظر لحالتها تلك أجابته بنبرة حزينة:

- بالتأكيد لن أكون سببًا في قطع باب رزق للباشمهندس أحمد، هو مسؤول عن أسرة ومنزل، وقرار مثل هذا من الصعب أن أختاره، فهو زميلي منذ الجامعة وزميلي في الشركة منذ أربع سنوات، ولأني أستحق أن أكون رئيسة القسم فسوف يكون اختياري أن أصبح

رئيس قسم التصميمات ويقل راتبي 30% وبإذن الله الأزمة التي بها الشركة تمر عاجلًا وحضرتك تعوضني على صبري واختياري، وفي نفس الوقت لا يخسر الباشمهندس أحمد وظيفته.

نظر لها عامر وأنارت وجهه ابتسامة ثم اتسعت ثم وصلت إلى ضحكات تتعالى رنتها، أمام استغراب هايدي منه، وابتسامة ريم بالخلف وهي ترمقها بعينين منتصرتين، ما إن انتهى حتى قال لها بنبرة ساخرة:

- أنا آسف، نسيت أن أخبرك بشيء مهم جدًّا أن هذا العرض للأسف انتهى.

أمسك بعقد المهندس أحمد الذي سَحبه منه واحتفظ به بجانبه مشيرًا لتوقيعه قائلًا:

- لقد عرضت هذا العرض على الباشمهندس أحمد ولقد اختار أن أفصلك من وظيفتك ويتحمل هو مهام عملك مقابل أن يزيد راتبه 10%، وفي تلك الحالة أصبح لا يوجد مكان لكِ هنا.

دنا بوجهه من وجهها المصدوم وقال هامسًا:

- أصبحتِ رخيصة لدى الجميع حتى أحمد الذي لم تكن مرته الأولى التي يُفضل عليكِ شيئًا، إذا كان أحمد صديق العمر وزميل العمل والجامعة لم يُبقِ عليكِ، فهل سوف أتمسك بكِ أنا؟! أظنك تعلمين جيدًا طريق باب الشركة أم ترغبين أن ترشدك ريم له.

حاولَتْ أن تتمالك أمام نظرات ريم التي تتشفى فيها وتعلن عن كمّ الحقد الذي بداخلها تجاهها، حتى وصل للباب بخطوات شِبه ثابتة وهي تستند على مقبض الباب لتسمع خلفها ضحكة ريم التي لم تستطع أن تمنعها، وما إن خرجت حتى قال لها عامر:

- فيك منّي أشياء بسيطة وهذا ما يعجبني فيكِ، هيًّا أحضري (علي) لأنني منتظرٌ لقاءه حقًّا.

ذهبت ريم وهي تتمايل بدلال أمامه، حتى وصلت لمكتبه ونادت على علي الذي يعلو صوت أنفاسه بسبب سمنته والشحوم التي تعتلي رقبته وثلثي جسده، تحركت بخطوات سريعة نحو عامر وكأنه عبد مملوك في العصر الجاهلي يتجه نحو سيده، أشار له عامر بالجلوس، أطاع أمره فورًا وجلس سريعًا، وهذا ما داعب غروره عامر فابتسم قائلاً:

- أنت يا علي تعمل معي منذ أكثر من عشر سنوات، وتدير حسابات الشركة منذ زمن، وبالتأكيد تقدِّر الظَرف الذي بصدده شركتنا.

فقاطعه علي بضحكة سمجة:

- أزمة وسوف تمر قريبًا بإذن الله، لا تقلق حضرتك.

فرمقه عامر بنظرة غاضبة وقال له ضاغطًا على أسنانه:

- وبالتأكيد تعلم أني أكره مَن يقاطع حديثي.

أومأ برأسه متفهمًا تحذيره وقد غلب عليه الخوف، مما جعل عامر يردف قائلًا:

- أتعلم كم أثمرت فترة عملك معي بالخير؟ سوف أخبرك أنا، لقد شيدتَ بناية من ستة أدوار بها اثنتا عشرة شقة سوف تتسلم نصفها من المقاول في منتصف الشهر القادم.

تقلص علي في مقعده وسقطت رأسه قليلًا بين كتفيه كأنها رأس سلحفاة، وهو ينصت إلى عامر في حديثه الذي أردف:

- شركة المقاولات التي نتعامل معها الفترة السابقة وتنفّذ مشروعاتنا، وكنت مُتمسكًا أنت بها جيدًا وتقول لي دائمًا إنها الأفضل ومُلتزمون جدًّا في المواعيد والمواصفات وجعلتك المسؤول عن التعامل معها والتوقيعات الخاصة بها، كل هذا من أجل أن تأخذ عمولتك منهم مع كل تعاقد يتم، وأنا علمت هذا منذ فترة طويلة، لكن هذا لم يشغل بالي، أتعلم لماذا؟

اهتزت رأسه نفيًا وهو يبلع ريقه من الخوف، وأنصت لعامر وقد أردف:

- أولًا لأنها كانت حينها مبالغَ صغيرة لا تشغلني، وثانيًا - والذي تجهله- أني شريك متستر في هذه الشركة، وكنت على عِلم بكل العمولات التي أخذتها.

اتسعت عين علي صدمة وتجمد مكانه، واستمتع عامر بذلك كثيرًا وأكمل ساخرًا:

- ولدي إثباتات كثيرة على هذا، وبالطبع ينير توقيعك عليها، إذًا لماذا جعلتك توقع بدلًا منّي مثلًا، ولذلك أمامك حل من اثنين، أن تختار أن تحافظ على أموالك التي سرقتها مني وتدخل السجن طيلة عمرك بالأوراق التي معي، وأنت وحيد ليس لك ابن أو زوجة، أو توقع هنا على بيع البناية التي شيدتها بأموالي وتصبح باسمي، أي يعود المال لمالكه يا علي، أم ماذا؟

لم يأخذ وقتًا في التفكير بعد سماعه تلك الكلمات فأومأ برأسه موافقًا وقال مكررًا:

- أبيع.

أشار عامر لريم التي تُناوله ورقة وقلمًا، أخذهما منها ووضعهما أمام علي الذي انكب عليهما ووقّع سريعًا وعرقه المتساقط قد بلّل الورقة، وهنا أشار عامر بوجهه نحو الباب بعد أن سحبَ الورقة منه ووضعها بجانبه وأمره:

- تأتي غدًا وتعمل مثل الكلب، ولا عمولات ثانية، وإلا فأنت تعلم ما سوف يحدث لك؟

هزَّ علي رأسه موافقًا وهو يركض خارجًا وهنا نهضَ عامر سعيدًا منتشيًا، وتحرك نحو مكتبه وخلفه ريم، حتى قابل آخر المنتظرين المصممة ليلى التي ترتدي زِيًا شبابيًّا مختلف الألوان، صغيرة في السن فهي خريجة العام الماضي فقط، ولكن لم يختلف حالها عن سابقيها؛ لأن التوتر قد أكلَ منها الكثير، ما إن رأت أمامها عامر نهضت

من مكانها تحاول أن ترسم ابتسامة مزيفة، ولكن رهبة الموقف حجبت عنها ذلك، وهنا قال عامر لها بجدية:

- ليلى، أنتِ في الأساس خريجة كلية تجارة وأخذتِ تعليمًا إضافيًّا خاصًا حتى تعَملي كمصممة؛ أي لا يوجد أمامك سوى حلين، أولهما أن تخرجي من هنا وتودعي باب الشركة، أو أنك تعملين كمصممة وتُساعدين أحمد في مهامه، ومحاسِبة حتى تساعدي علي في حساباته، ولا توجد زيادة راتب والعمل ست عشرة ساعة، ها ما هو اختيارك؟

أنهى عامر تلك الكلمات صارخًا بغضب مما جعل ليلى تجيبه باختيار الاستمرار في العمل، ومنها جعل ريم تجعلها توقع على العقد. أخذ تلك العقود وخرج من الشركة متجهًا نحو منزله في نشوة غامرة، ليقابل عند مدخل العقار استقبالًا جافًا من عبودة حارس العقار فيصعد لشقته، وما إن يدخل ويبحث عن زوجته هيام ليتفاجأ بهروبها فلا يعير لذلك أي اهتمام، فيذهب إلى المطبخ ويعدّ له عصير ليمون، ويجلس في صالة منزله يتناوله باستمتاع حتى رن جرس الباب فابتسم وكأنه كان ينتظره، وما إن يُفتح الباب يجد والد هيام يدفع هيام للداخل، ويعتذر لعامر عن هروبها من المنزل، ويخبره أنه زوجها يفعل معها ما يحلو له، وما إن يغادر والدها ويغلق عامر الباب خلفه، حتى يذهب لغرفته ويغيب لحظات، ثم يعود ويحمل في يده طوق كلب وسلسلة، يقترب من هيام التي ترتعش خوفًا

ويضع الطوق حول رقبتها ويربطه جيدًا وهيام مستسلمة لما يفعله، ثم علَّق السلسلة بهذا الطوق وقال لها:

- ألم أقل لكِ إنك كلبتي الأليفة.

***

وصل محمود والسيدة صفية لمستشفى غرب وبالتحديد لمبنى الطب الشرعي وصعدوا للطابق الذي به المعمل الكبير، فوجد الدكتور عصام فقط معللًا غياب الدكتورة سوسن بأنه المسؤول الحالي عن المناوبة الليلية لتلك الليلة، وسوف تأتي الدكتورة سوسن في الصباح، فأخبره محمود بأنه قادم لكي يقوموا بأخذ عينة من السيدة صفية لعمل تحليل DNA، وأن المقدم طارق بمقر النيابة المسائية وسوف يلحق بهما بعد أن يحصل على تصريح بذلك، ولكنه فاجأه بالرفض واعتذر منه لأنه لا يستطيع أن يسحب منها أي عينة؛ لأن هذا تخصص الدكتورة سوسن وهي المسؤولة عن حفظ وتدوين العينات بالمعمل، وهو لا يستطيع أن يتخطى مسئولية أحدًا، غير أن ذلك يجب أن يتم بعد أن يستلم إذن النيابة، تلك هي قوانين وقواعد المستشفى، حاول محمود أن يقنعه بحتمية ذلك الآن حتى لا يهدر المزيد من الوقت، ويستطيع أن ينهي الليلة إجراءات عملية التحليل تلك، وأن طارق قد هاتفَ الدكتور ثروت قبل مجيئه وأخبره أن يأتي لينهي ذلك، ولكن الدكتور عصام تمسَّك برأيه بتعنُّت غريب وغير مبالٍ بأهمية ما يطلبه محمود، وهذا ما أصاب محمود بالضجر

وجلس مفكرًا وجلست بجواره السيدة صفية فنظر لها متسائلًا محاوِلًا تخفيف جيوش الضغوط التي تتصارع برأسه:

- سيدة صفية، هل تعيشين في أسيوط أم هنا؟

- لا ما زلت أعيش في أسيوط، أنا مثل يد الرحاية يا بيه، مهما الدنيا دارت من حولي أظل كما أنا في مكاني، أتعرف الرحاية؟

قالت تلك الكلمات بشيء من الحنو نحوه، أجابها محمود راسمًا ابتسامة وأومأ برأسه قائلًا:

- آه أعرفها بالطبع، لقد خدمت في الصعيد في أول تكليفي، المهم الآن هل تُقيمين عند أحد من أقاربك هنا؟

لمعت عيناها ببريق الرضا وأجابته:

- لا، لم يبقَ أحد الآن يستطيع أن يتحمَّل غيره، أنا قادمة من أجل أن أستلم جثة ابني ولن أعود إلى البلد من غيره.

صمتت وهي تنظر له وابتسمت عيناها وأردفت بنبرة حزينة:

- لن أستريح إلا وأنا أراه مغطى ويشعر بالدفء حتى لو غطاؤه التراب فيكفي أنه مستور بنفح الأرض، حتى أطمئن أني عندما أنزل له سوف آخذه في حضني مرة ثانية ونكون ونسًا إلى بعض، يكفينا الوحدة والقسوة اللتان روتنا بهما الدنيا.

قالت تلك الكلمات راسمة ابتسامة عريضة لكن لم تستطع منع لمعة الدموع في عينيها من الظهور، ومع ذلك فإنها ربتت على يده برقَّة وأخبرته:

- ومن أجل هذا سأظل جالسة هنا حتى تأتي الدكتورة صباحًا وتأخذ ما تريده منِّي، لا تقلق.

نظر لها وأومأ برأسه متفهمًا، وظلا يتحدثان كثيرًا عن خدمته في الصعيد، ولكن بعد فترة شعر بأن الصداع في رأسه قد أعلن انتصاره على مقاومته، فقرر أن يعود برأسه للخلف مستندًا على الحائط، ولكن الإجهاد كان قد مزج صلابته ليغيب في سبات عميق وهو جالس بجانب السيدة صفية، فلقد مرَّ أكثر من يومين وهو لم ينم أو يغفو قليلًا، ولكنه يستيقظ فجأة ليجد أنه قد ظل نائمًا هكذا حتى ما بعد الفجر بقليل، وبجانبه السيدة صفية نائمة وهي جالسة محتضنة حقيبتها بين ذراعيها، فنهض بحرص شديد حتى لا يوقظها وسارع في السؤال عمن ينقذه بأي مشروب ساخن، وبالفعل يحصل عليه وهو جالس بمقعد مقابل للسيدة صفية وأخرج هاتفه ليجد أن طارق قد حاوَل الاتصال به عدة مرات، ولأن هاتفه كعادته على الوضع الصامت فلم يلاحظه، مما اضطر طارق أن يرسل له رسالة نصية يخبره فيها أنه لم يستطع أن ينهي التصريح لأنه وصل النيابة المسائية متأخرًا، ولكنه تحدَّث مع وكيل النيابة بشكلٍ ودي ووعدَه أنه سوف يصدر الإذن صباحًا، وسوف يكون أول شيء في جدول أعماله، وعليها يخبره

أن يعلم مسكن السيدة صفية في القاهرة، ويجب أن تكون متواجدة صباحًا بمقر الطب الشرعي، وأن يتم ذلك على مسؤوليته الشخصية، وهو سوف يستلم التصريح من النيابة ويقابله بالمستشفى صباحًا، أغلق هاتفه مبتسمًا فلقد رتَّب القَدَر الأمور وكأنه يعلم بمحتوى تلك الرسالة.

أخرج مدوَّنته وبدأ في قراءة كل ما دوَّنه من بداية القضية حتى الآن، يستعيد معها الأحداث ويراها بهدوء أكثر، ومنها بدأ في تدوين الملاحظات التي تذكَّرها من حديث الدكتور شريف لتحليل شخصية عامر، ولماذا أصبح في دائرة اهتمامه؟ وأدرك أن ما يفعله عامر ما هو إلا اشباع لرغبته في الشهرة، وهذا ما جعله يتبع أسلوب البث المباشر في الجريمتين، وهذا على الأرجح هو السبب الذي جعله يُخرج الجثة الثانية ويضعها في مسرح الجريمة الأول، وذلك لأنهم باتباع أسلوب طارق ابتعدوا عن الطريق الذي يريدون أن يسلكوه، فحاول أن ينبههم أن حل القضية هو في حل الألغاز حتى يشبع رغبته في التلذذ بتعذيبهم، وذلك ما جعل محمود يسرح مفكرًا عندما قال الدكتور شريف مؤكدًا على جملة جاءت في رسالة عامر له وهي «ولن يتوقف اعتذاره»، وهذا ما جعله يدوِّنها في مدونته ببطءٍ مفكرًا فيها، وكأنه يرسمها بريشة لا يكتبها بقلم، وفي تلك اللحظة اتّسعت عينه وشرد كأنه يتذكر شيئًا ما، وبالفعل يعود بصفحات المدوَّنة عدة صفحات مبتسمًا وعينه يملؤها الشغف، حتى وصل لصفحة اللغز

الذي يخص علبة السجائر، وكُتبَ حرفٌ واحد على كل لفافة تبغ (ي ، ا ، ب ، د ، ا، ر ، ل ، ا ، ذ ، ح ، ع ، س ، د) ثلاث عشرة لفافة تبغ بثلاثة عشر حرفًا، بالإضافة للفافتين لم يُكتَب عليهما شيء، ما إن رآها حتى ابتسم قائلًا في نشوة:

- لقد وصلت إلى مفتاح هذا اللغز يا عامر، تريد مِنّي أن أرتب لفافات السجائر بجانب بعض لتظهر الحروف بشكل يُكوِّن جملة من ثلاث كلمات، ولكي تكون الكلمات منفصلة كان يجب أن تترك لفافتين بدون حروف لتكونا هما الفاصلان بين الكلمات الثلاث، الموضوع ليس صعبًا ولكني لن أتحرك على تخطيطك مرة أخرى يا عامر، عندما يحين وقت حل هذا اللغز سوف أكون مستعدًا له، وحينها لن أتركك تنتصر عليَّ وتجعلني أضحوكة الوزارة.

ودوَّن أسفله تلك الجملة «اللغز عبارة عن جملة مكوَّنة من ثلاث كلمات» مرَّ على هذا الحال يراجع ملاحظاته بالمدوَّنة لأكثر من ساعة حتى تفاجأ بوقوف الدكتور عصام أمامه يخبره بأن الدكتور ثروت وصل مكتبه وينتظر مقابلته هناك، فأومأ محمود بالموافقة وأخبره أن يهتم بالسيدة صفية حتى يعود، وبالفعل قابل محمود الدكتور ثروت واعتذر عما تسبَّب فيه الدكتور عصام في انتظاره بالمستشفى، ولكنه أخبره عندما هاتفه طارق بالأمس كان يظن أن الدكتورة سوسن ما زالت موجودة بالمستشفى، ومن الأرجح أنها غادرت أثناء قدوم محمود

والسيدة صفية للمستشفى، مما نتج عن ذلك سوء التفاهم هذا، بعد أن قبل محمود اعتذاره تبادلا أطراف الحديث مما يقرب من ساعة حتى قال ثروت مبتسمًا:

- تحدَّث معي بالأمس الدكتور حمزة عن الخطأ غير المقصود الذي حدث معك، ولقد أوضحت له خطورة الموقف، وبالفعل بدأ في تشريح الجثة التي سلمتها له بالأمس، وقد أخبرني منذ قليل أنه يعد التقرير المبدئي وسوف يسلِّمه لي في نهاية اليوم بإذن الله.

- تمام، أفهم من هذا أني من الممكن أن أذهب له وأتناقش معه قليلًا بخصوص الجثة.

قال محمود تلك الكلمات ونهض من مكانه متجهًا للخارج، وكأنه تعلق بتلك الفرصة لكي يهرب من ثرثرة الدكتور ثروت المملة، ما إن بدأ في التحرك خارجًا حتى سمعه يصيح فيه مناديًا:

- محمود باشا، أرى أن تتركه حتى يسلمني التقرير وحينها نستطيع أن نتناقش فيما تريد، هذا أفضل للجميع.

توقف محمود لينصت له، ولكنه لاحظ علامات الضيق تظهر على وجهه فأردف مستأذنًا:

- لقد ضغطت عليه من أجلك وأمرته أن ينهي التقرير اليوم وأرغب أن أمنحه الوقت الذي اتفقت معه عليه ولا أشغله، سامحني في ذلك ولقد هانت لم يبقَ إلا ساعات قليلة ويصبح في يد حضرتك.

نظر له محمود لحظات ثم أومأ برأسه متفهمًا، ولكنه لم يعد لمقعده مرة أخرى، وأكمل طريقه خارجًا نحو الباب ليجد الدكتور ثروت ينادي عليه للمرة الثانية، توقف متذمرًا والتفت له على مضض وقال له في لهجة غريبة:

- أتحدث مع سيادتك كل هذا ونسيت أن أخبرك أني وقّعت على إذن خروج المتهمات الثلاث فلقد أنهين فترة الملاحظة؛ لأننا اكتشفنا أن الذاكرة نشطت مرة أخرى واستطعن أن يسترجعن نسبة كبيرة منها، وفي طريقهن إلى المديرية الآن، وهناك ملحوظة عند الدكتورة سوسن أفضِل أن تخبرك هي بها أنت والمقدم طارق.

اشتاط محمود غضبًا منه وصاح فيه:

- أضعت وقتي في حديث تافه لأكثر من ساعة، وتذكرت الآن كل هذه المعلومات الهامة لتخبرني بها، حرام عليك.

تركه وغادر مكتبه ومسك هاتفه وهاتفَ طارق وأخبره بما علمه من الدكتور ثروت، فأخبره طارق أنه على مقربة من المستشفى، وقد استلم إذن النيابة بالموافقة على تحليل DNA للجثتين، وأخبره أن يسبقه عند المعمل وهو سوف يلحق به هناك، وبالفعل وصل محمود للمعمل ليجد السيدة صفية تقف مع الدكتورة سوسن وتتحدثان، فدنا منهما وقال لها في ودٍّ:

- صباح الخير يا سيدة صفية، سامحيني عما حدث

بالأمس.

- صباحك راحة بال يا بيه.

قالت السيدة صفية كلماتها ببشاشة يسر لها محمود كثيرًا، والتفت إلى سوسن وقال لها في جدية:

- صباح الخير يا دكتورة، نريد منك عمل تحليل الحمض النووي (DNA) حتى نتأكد من صلة قرابة الجثة الثانية من السيدة صفية، وصلة قرابة الجثة الأولى بالجثتين الأُخريَيْن، فسوف يتم إخراجهم من قبورهم اليوم ويُسلَّمون للمستشفى مباشرة.

فأجابته سوسن مفسرة:

- ليسوا نحن من نقوم بمثل تلك التحاليل، نحن مهمتنا أن نسحب العينات ونقدِّمها إلى المعمل المتخصص في هذا النوع، ويمكن أن نتسلم النتيجة خلال عشرة أيام أو أسبوعين، لقد أردت أن أوضح لِسيادتك هذه النقطة.

أومأ برأسه متفهمًا وقال لها مطمئنًا:

- إذن النيابة في بحر دقائق قليلة وسوف يكون معكِ، المقدِّم طارق قادم لنا به.

تحركت سوسن ومعها السيدة صفية نحو المعمل لكي تأخذ منها العينة، ولكن توقفت وعادت لمحمود وقالت له في تردُّد:

- كان هناك نقطة أرغب في إخبارك بها تخص

المتهمات الثلاث في القضية.

- نعم أخبرني الدكتور ثروت عن هذا الأمر، أخبريني بما لديكِ.

أومأت سوسن برأسها إيجابًا وقالت بحماس:

- بالفعل لدي شيء غريب، لقد لاحظت من خلال فحص العينات اليومية أن به نسبة ليست بقليلة من مادة تم استخلاصها بشكل دقيق من نوع معين من العقارب، وهي مادة مخدِّرة قوية تأثيرها أقوى من الهيروين، وهذا النوع يُستخدم في منطقة تدعى «بيشاور» في باكستان من خلال أنهم يحرقون العقارب على نار الحطب ويستنشقون الدخان المنبعث منه، تنتج هذه العملية نوعًا من أنواع الهلاوس والنشوة، ويعتبر تدخين العقارب بهذه الطريقة يسبب فقدان الذاكرة على المدى القصير، ومن الممكن أن يستمر من عشر ساعات إلى ثلاثة أيام، وهذه المادة المخدرة تم حقنها بشكل مباشر في الدم وهذا أضاف على الأعراض التي ذكرتها الخمولَ المفرطَ الذي يستمر من ثلاثة لأربع ساعات.

نظر لها محمود وأومأ برأسه ويجيبها ساخرًا:

- من الواضح أن عامر يلعبها معنا مرة أخرى..

***

وصل طارق أخيرًا وسلَّم أذن النيابة الذي معه ليبدأ

المَعمل في التحرك لِمقارنة العينات وفحصها، وما إن اطمأنوا من إنهاء الأجراء وبدء العمل، توجهوا بقوة للمقابر وقاموا بإخراج جثتي خالد وعفاف، وذلك لضمِّهم للفحوصات والمقارنة بالعينات، ومعرفة هل ما معهم هي جثة عامر بحق أم لا، وبالفعل يعودان بهما للمستشفى ويسلمان الجثتين ويقف على الاستلام الدكتور ثروت، ويُطمئنهم بأنه سوف يتابع الأمر بنفسه وسوف يُوافيهم بكل التطورات أول بأول، وبعد أن أنهيا ذلك تحرك الاثنان نحو مبنى مديرية الأمن، ووصلا لمكتب طارق الذي أخبر حارس مكتبه أن يحضر له المتهمات الثلاث، وأثناء ذلك جلس طارق على مكتبه وظل محمود واقفًا وأخرج مدوَّنته الصغيرة وقلمه ووضعها على سطح المكتب أمام طارق وهو يشير نحوهما قائلًا بنبرة يملؤها الحماس:

- هل تعلم سيادتك أني أفضِّل أن أدوِّن ملاحظاتي في هذه المدونة الصغيرة بشكل دائم، مع بداية كل قضية أشتري واحدة جديدة بنفس المواصفات في اللون والحجم ونفس الشيء مع القلم، أرغب في صناعة أرشيف من القضايا التي عملت بها، أرشيف مكتوب بِرموز لا يفهمها سوى أنا.

وهنا استدار وأشار بيديه نحو اللوحة البيضاء الفارغة المعلَّقة بجانبه وأردف:

- وهذه اللوحة تُظهر الخليط بين الأفكار التي بداخل عقلي والملاحظات التي دوَّنتها بالمدونة، أشاهد الرموز من

بعيد وأتأملها بشكل أدق وأوضح.

أنار وجهه ابتسامة وأردف بحماس:

- لكن في هذه القضية يا طارق باشا لدي شعور مختلف، أرغب في أن أدوِّن الملاحظات على اللوحة ولكن بترتيب جديد عن المعتاد عليه، أرغب في كتابة أطراف الخيوط التي أمامنا، ثم نرى ما الرابط بينهم، الخيوط كثيرة ويجب أن تُرسَم بشكل واضح، حتى لا تتعقد الأمور أكثر.

نظر له طارق مستمتعًا بحديثه، ولكن يقطعهما دخول حارس مكتبه يخبره بأن المتهمات ينتظرن بالخارج وقال له طارق بكثير من الجدية:

- أخبر عيسى الكاتب أن يأتي، وبعد دخوله بخمس دقائق أدخلهم جميعًا مرة واحدة.

نظر له محمود وسأله مستغربًا:

- لماذا سوف يدخلون مع بعض، أليس من الأفضل أن يتم التحقيق بشكل فردي؟

- ألم ترغب في أن تعمل بأسلوب جديد.

قال طارق تلك الكلمات ونظر لمحمود مبتسمًا ثم أردف:

- دعنا نرى ردود أفعالهم على ما سوف أقوم به من استقبال لهم.

أومأ محمود برأسه معبِّرًا عن اقتناعه، وبالفعل أتى عيسى الكاتب ليدوِّن المحضر وسحب كرسيًّا ووضعه بجانب مقعد طارق على سطح المكتب وفتح دفتره وأخرج القلم استعدادًا للتحقيق، وبعد ذلك بلحظات قليلة يدخل عليهم ثلاث سيدات يختلفن في أشياء كثيرة، ولكن يتفقن في شيء واحد وهو وجود جرح شبه دائري يرسم وجوهن بشكل متقطع، وهذا بسبب عملية نزع القناع البشري التي كانت صعبة ومؤلمة بشكلٍ كبير عليهن، والذي تم لصقه بمادة لصق قوية لن تُحل إلا إذا انتزعت الجلد معها، ثلاث سيدات يقفن بجانب بعضهن صفًا، وتتميز كل واحدة منهن بصفات مختلفة؛ فالأولى من على اليمين سيدة في آخر الأربعين من عمرها، لم يكن العمر هذا عائقًا لها حتى تمتلك بنية ممشوقة، ترتدي زِيًّا حاد التفاصيل يمنحها عمرًا أكبر من عمرها، حادة الملامح بشكلٍ واضح، قصيرة الشعر رغم نقاء بياضه، تقف غاضبة عاقدة يديها وكأنها لا تبالي أنها متهمة في جريمة قتل، أما الثانية والتي تقف في الوسط فهي فتاة في أوائل الثلاثين من عمرها، حاجبها الأيمن يرتفع وكأنه لا يعلم كيف يعود كما كان، يعلو عينيها السوداوين الواسعتين اللتين تحدقان في كل شيء في الغرفة تَتفحصها بكل ضراوة، تغطي جزءًا من شعرها بوشاح أصفر فاقع اللون، ترتدي زِيًّا اختير بعناية لتبرز مفاتنها دون أن تتعرى.

أما السيدة الثالثة والتي كانت تصطف يسارًا هي في

أواخر العشرينيات من عمرها، والتي يظهر على هيئتها أنها من بيت ثري أو ميسور الحال بشكل كبير؛ لأن العناية بالبشرة والشعر بهذا الشكل يحتاج مبالغ باهظة، تقف وعلامات الصدمة مسيطرة عليها، قدمها اليمنى تهتز من التوتر دون توقف، ترتدي زِيًّا مكوَّنًا من مجموعة علامات تجارية لا تجتمع إلا على جسد من يستطيع أن يدفع ثمنها بكل سهولة وأريحية، ومن الجهة المقابلة لهن يجلس طارق على مكتبه وبجواره عيسى بدفتره، وأمامهما جلس محمود، حتى بدأ طارق الحديث قائلًا بجدية هادئة:

- أنا المقدم طارق أباظة وهذا زميلي الرائد محمود صقر مهمتنا هنا أن نثبت أنكم قتلة ونُسلمكم إلى عشماوي.

سقطت تلك الكلمات عليهن فأجتاحت ملامح الصدمة تعبيرات وجوهن، يتابعن طارق الذي أردف بكثير من الجدية والهدوء المخيف مجيباً:

- نعم هذه مهمتنا لا تستغربوا، أنتم قتلة بموجب القانون وتمثلوا خطراً على المجتمع، ودورنا أن نسلمكم إلى العدالة تقتص منكم حق المجتمع عليكم، ليست مهمتنا أن نثبت براءتكم.

أومأ برأسه نافيًا ثم أردف:

- لأن هذه هي مهمة محاميكم، وكي يجد المحامي دليل براءة يصلح أن يخرجكم من هذه القضية، فهذا لن يجده خارج المحضر الذي سوف يكتب هنا حتى تعترف به

المحكمة.

قال تلك الكلمات وضرب بكف يده سطح المكتب وعلت نبرة صوته وحدتها ثم أردف:

- إذًا المحضر هو مصدره الوحيد.

أشار بسبابته نحوهن آمرًا بقوله:

- أنا لا أرغب في سماع من أي واحدة فيكم كلمة بريئة لأنها لن تفيد في شيء، ترين أنك بريئة أخبريني بكل شيء تعرفينه مهما كان صغيرًا، لأنه من الممكن أن يكون هو الركيزة التي يعتمد عليها محاميك في الدفاع عنك، وبدون المحضر لا توجد براءة، ومن سوف تخفي شيئًا فهي من جنت على نفسها.

نهض من جلسته وسار نَحوهن بخطوات ثابتة وبطيئة دون أن ينظر لهن قائلًا في صرامة وشدة:

- أنتن بالنسبة لنا ثلاث متهمات تم القبض عليهن متلبسات في مسرح الجريمة، وبَصماتكن على سلاح الجريمة وعلى الضحية أيضًا، سوف تُخبرنني بشيء جديد حينها.

استدار حول مكتبه وأشار نحو الكاتب عيسى وأردف بجدية:

- سوف أطلب من عيسى أن يفتح المحضر وأبدأ بسماع أقوالكن، وإذا لم يوجد لديكن معلومات جديدة، حينها

سوف أغلق المحضر وأكتب «امتنعت المتهمة عن الإدلاء بأقوالها» ثم يتم تحويلك مباشرة إلى النيابة وهم يتصرفون معك.

قال تلك الكلمات وهو ينظر في أعينهن محدقًا بغضب وأشار بيديه نحو الباب، ثم أردف:

- وأنا والرائد محمود نعود إلى منزلنا ونرتاح وتكون القضية قد انتهت بالنسبة لنا.

جلس بالمقعد المقابل لمحمود، ثم أشار بسبابته نحوهن بالتتابع، وأردف بنبرة بها تعاطف:

- لقد رغبت في أن أقول كلامي مرة واحدة أمامكم جميعًا، حتى لا أضيع وقتي ووقتكم، أنتم تنتظرون حكم بالإعدام ويجب أن تلحقوا به.

صمت قليلًا لكي يعتدل في جلسته واضعًا قدمه اليمنى على اليسرى، ثم نظر لهن وقال بحدة:

- الآن سوف تنتظرن بالخارج وتدخلن عليَّ بالترتيب، وعندما تدخل كل واحدة منكن لديها أمر من اثنين تفعله هنا.

أشار بإصبعيه السبابة والوسطى قائلًا بنبرة حادة:

- تجلسين على هذا المقعد.

مشيرًا للمقعد الذي أمام المكتب، ثم أردف:

- وهذا يعني أن لديكِ شيئًا جديدًا سوف تخبرينني به.

أشار نحو الكاتب عيسى الذي يجلس بجانبه على المكتب وأردف بنبرة آمرة:

- أو تذهبين عند الأستاذ عيسى وتوقعين على المحضر أنك ممتنعة، أظن أن كلامي واضح ولا يحتاج أن أكرِّره مرة أخرى، الآن انتظرن بالخارج.

أنهى طارق حديثه وبعده يخرجن الثلاثة للخارج، وبعد أن تابع طارق إنصرافهن نظر لمحمود بفخر قائلًا:

- فهمت الآن بِماذا كنت أعنى بالأسلوب الجديد، نحن ليس لدينا أي معلومة جديدة عنهم، لم يكن في حوزتهم أي ورقة رسمية، ونوع الأسئلة النمطية في حالة مثل قضيتنا سوف تجعلنا نسمع إجابات محدودة لأننا نجهل ما لديهم حتى نسأل عنه.

دنا بجسده منحنيًا قليلًا وقال بجدية بعينين واسعتين وصوت منخفض بعض الشيء:

- الصح في هذه الحالة، أننا نوهمهن بأننا من يدير هذا التحقيق، ولكن في الحقيقة هن من يمسكون الدفة؛ لأن بتلك الطريقة سوف نعرف إذا اعترفن بترتيب أحداث واحد أنهن عصابة وقد اتفقن على سرد قصة واحدة، وإذا اعترفت كل واحدة منهن بشكل مختلف بمعلومات مختلفة، هذا سوف يكشف لنا أبعادًا جديدة عن القضية؛ لأننا سوف نراها بأعينهن وحدود هذا سوف يكون أقوالهن

وليست أسئلتنا، ولذلك لجأت لأن أضغط عليهن بنقطة حقيقية وواقعية جدًّا، إنهن المتهمات بشكل رسمي وهذه نقطة لا خلاف عليها، وأنا ليست مهمتي أن أبحث عن حقيقةٍ المتهم غير معترف بها، لأننا ضباط مباحث فقط ولسنا محامين يا محمود.

***

نهض طارق وعاد لمقعد مكتبه وطلب من حارسه أن يدخل السيدة الكبيرة التي تتسم بوجهها الغاضب لكي يبدأ بها التحقيق، وبالفعل دخل الحارس وخلفه تلك السيدة التي تتقدم نحو المكتب بخطوات بطيئة وثابتة تنظر بتحدٍّ لطارق الذي لم يُعِر لتلك النظرات أي اهتمام، لينتهي طريقها بالجلوس على المقعد المقابل لمحمود والذي أمسك مدونته والقلم استعدادًا لتدوين ما يراه يستحق ذلك، وهنا أومأ طارق برأسه متفهمًا لما حدث فقال بنبرة هادئة ونظرات محدقة بها:

- أفهم من هذا أنك اخترتِ أن تضيفي معلومات لي، جيد، سوف أفتح التحقيق ولن أسأل سوى ثلاثة أسئلة، وسوف تنتهي الإجابة بالنسبة لي عندما تخبريني أنك انتهيتِ ولا يوجد لديك شيء آخر.

أومأت برأسها ببطءٍ معلنة الموافقة فَأردف:

- إذًا، تمام، نبدأ التحقيق.

أشار لعيسى أن يبدأ في الكتابة ثم أردف بنمطية:

- إنه في ساعته وتاريخه تم فتح التحقيق مع المتهمة الأولى، وبِسؤالها عن تعريف نفسها من اسم وعمر ومهنة وحالة اجتماعية وعنوان إقامة ثابت، وأوراق رسمية تثبت تعريفها، أجابت...

حركت السيدة رأسها يمينًا ويسارًا في صمت وحاجباها يتدليان للأسفل، وكأنها تعلن رفضها الضمني لما يحدث، ولكنها مضطرة أن تفعل ذلك ولكنها أجابت:

- أنا نادية وهدان حسن، دُكتورة فلسفة في جامعة بينغهامتون في نيويورك، كنت مهاجِرة من ٢٢ سنة أمريكا ومقيمة هناك، وعمري ٤٧ سنة، أرملة منذ ٤ سنوات، ولي ابن واحد يدرس في أستراليا، وليس لي سَكنٌ ثابت في مصر، ولذلك أقيم في الفندق عندما آتي إلى مصر، وهذا حدث مرات قليلة منذ أن هاجرت، أنا أملك جواز سفرٍ أمريكيًّا في حقيبتي بغرفة الفندق، وأستطيع أن أثبت به كل ما قلته.

أومأت برأسها معلنةً أنها انتهت من الإجابة، لاحظ طارق هذا فضم شفاه قليلًا وأومأ برأسه إعجابًا وقال مؤكدًا:

- دكتورة فلسفة، ومهاجرة أمريكا منذ ٢٢ سنة، تمام.

أشار لعيسى بسبابته أن يبدأ مرة أخرى سائلًا:

- وعند مواجهتها بالاتهام باشتراكها في جريمة قتل، وأنها

قد تعاونت مع شركائها في التمثيل بالجثث بأحد الأسلحة الطبية الحادة من خلال سلخ الوجوه وارتدائها، ورسم ثلاثة وشوم دموية؟ أجابت..

استنشقت نفسًا عميقًا محاوِلة أن تُهدئ نفسها قليلًا، ثم نظرت لمحمود الذي يدوِّن في مدونته الصغيرة، ثم قالت في هدوء:

- لقد وصلتني رسالة من أخي منذ ما يقرب من شهر، طلب فيها مقابلتي بخصوص أمر عائلي هام ويجب أن أعود إلى مصر، وبالفعل أنهيت إجراءات السفر ووصلت مصر منذ أربعة أيام، ما إن وصلت الفندق حتى هاتفت أخي كي أبلغه بوصولي وكانت الساعة تقترب من التاسعة مساءً، اتصلت كثيرًا لكنه لم يرد عليَّ، لم يكن أمامي سوى أن أرسل له رسالة نصية، وفوجئت بعدها برسالة قادمة من رقم غير مسجل بهاتفي، يخبرني فيها أنه أخي وسوف يقابلني بعد ساعة من مكان أرسل رابطَ موقعه في آخر الرسالة، لم أشك في شيء لأن لا أحد يعلم بِسفري إلى مصر سوى أخي، وبالفعل طلبت من سائق الأجرة أن يوصلني للموقع المرسل، وكان الموقع عند وصولي منزل فخم شُيِّد على الطراز الحديث في منطقة راقية حديثة.

قالت تلك الكلمات وهي تشير وترسم بيديها عن حجم المنزل ومستوى فخامته ثم أردفت:

- ضغطت على جرس الباب الخارجي وكان من النوع

الحديث الذي به كاميرا صغيرة و مخرج صوتي، ردَّ عليَّ صوت من داخل المنزل وقال تفضلي يا دكتورة نادية، وبالفعل بعدها فُتِحَ الباب إلكترونيًا ودخلت حديقة المنزل الواسعة والتي كان في آخرها تقف سيارة سوداء كبيرة من نوع الدفع الرباعي، عبرت الحديقة ووصلت بجانب السيارة ولكن لم أستطِع أن أرى ما بداخلها بسبب العازل الغامق الملصق على جميع زجاج السيارة، المهم وصلت لباب المنزل الداخلي والذي كان مفتوحًا وبالتالي بدأت أنادي على أخي.

بدأت تتوتر ويظهر عليها ملامح الضيق ثم أردفت:

- لكن فجأة وجدت من هجم عليَّ من الخلف واستطاع أن يقيدني بسهولة فلقد كان أقوى منِّي، وبعد هذا شعرت بوخز في رقبتي حاولت أن ألمح ما هي ولكني لم أعرف سوى أنها إبرة طبية لا أعرف محتواها إلا بعد أن بدأت أفقد الوعي تدريجيًّا، لكنني أفقت قليلًا ولاحظت أني مقيدة في حقيبة سيارة ما، حتى أغيب عن الوعي مرة أخرى وأعود والرؤية مشوشة كثيرًا ولكني شعرت أني في غرفة عمليات وكشاف قوي مضاء أمام عيني، ويد غارقة في الدماء تضغط على وجهي، وبسبب قوة المخدر غِبت عن الوعي للمرة الثالثة وأفقت وأنا في المستشفى لكني لا أتذكر شيئًا حتى اسمي لم أكن أتذكره، لم أكن أملك سوى ذكريات مشوشة وهلاوس، وعندما علمت أني محجوزة بداخل مستشفى غرب، سألتهم عن أخي، فعلى حد علمي

أنه يعمل مسؤولًا بقسم التشريح، أخبروني أن الدكتور عبد العظيم وهدان في عطلة منذ فترة طويلة ولا يعرف أحد عنه شيئًا.

نظر محمود لطارق الذي أومأ له متفهمًا ما يرمي له ويكملان الاستماع لنادية التي أردفت متسائلة:

- أين أخي الذي كان السبب في كل ما حدث لي؟ أنا لا أعلم لماذا حدث كل هذا؟ حقًّا لا أعلم.

وصمتت بعد تلك الكلمات، ولاحظت نظرة طارق المحدق فيها منتظرًا أن تكمل حديثها، فأجابت:

- لا أعرف شيئًا آخر سيادتك.

أومأ طارق برأسه ملاحظًا، ثم أشار لها بِثلاثة من أصابع يده وسألها:

- وعندما سألنا المتهمة هل لديكِ ما يثبت أقوالك تلك؟ فأجابت..

اتسعت عيناها وحدقت في طارق ثم نظرت لمحمود في حيرة، لينتهي ذلك بأنها نظرت للأسفل في حسرة وأجابت في ضعف:

- لا..

- شكرًا، يمكنكِ أن تُوقعي على أقوالك وتعودي لمكانك بالخارج.

قال طارق تلك الكلمات وأشار بيده للخارج، فنهضت نادية بشيء من الخزي والتردُّد تُوقع بدفتر التحقيقات ثم تحركت متجهة نحو الباب شاردة بعض الشيء، ولكنها التفت نحوه طارق قائلة في حزن:

- أريد أن أبلغ شخصًا بالخارج يطلب لي محاميًا يقف بجانبي في التحقيقات، يجب أن يعلموا أني حبيسة هنا.

أجابها طارق بهدوء ساخرًا:

- لا تقلقي، البيان الإعلامي سوف يصدر بعد التحقيقات اليوم، وسوف يتم توزيعه على الصحف والإعلام، وحينها العالم كله سوف يعلم بتشريفك لنا يا دكتورة.

نظرت له بغيظ وعادت لطريق خروجها سريعًا، ما إن فتحت الباب حتى ظهر محمد حارس المكتب فأخبره طارق بأن يعيدها لغرفة الحجز، ويدخل السيدة ذات الوشاح الأصفر، وبالفعل نفَّذ أمره ودخلت السيدة ذات الوشاح الأصفر بخطوات بطيئة بها الكثير من الثقة الأنثوية والدلال، نظرت إلى طارق بنظرات شهوانية مبتسمة، تجلس على المقعد أمام محمود الذي يتابع ما يحدث باستغراب، ولكن لم يعِر طارق لها اهتمامًا وقال بادئًا حديثه بنبرة هادئة:

- أفهم من هذا أنكِ اخترتِ أن تضيفي معلومات لي، جيد، سوف أفتح التحقيق ولن أسأل سوى ثلاثة أسئلة،

وسوف تنتهي الإجابة بالنسبة لي عندما تخبرينني أنك انتهيتِ ولا يوجد لديك شيء آخر، أتمنى أن يكون كلامي مفهومًا؟

أومأت برأسها ببطء معلنة الموافقة وقالت بدلال:

- مفهوم يا باشا.

- إذًا تمام نبدأ التحقيق.

أشار لعيسى أن يبدأ في الكتابة ثم أردف:

- إنه في ساعته وتاريخه تم فتح التحقيق مع المتهمة الأولى، وبِسؤالها عن تعريف نفسها من اسم وعمر ومهنة وحالة اجتماعية وعنوان إقامة ثابت، وأوراق رسمية تثبت تعريفها، أجابت...

اعتدلت في جلستها قليلًا لإبراز مفاتنها أكثر، ونظرت إلى طارق محدقة في ملامحه، وأجابته ببطء قائلة:

- اسمي قمر عطا سعد.

باغتها طارق بضربه سطح المكتب بيده وصاح فيها:

- لا، التزمي الأدب هنا وإلا أعلمك كيف يكون الأدب.

انتفض من مكانها فزعًا وضبطت جلستها وأومأت برأسها له بالطاعة لأَمره خوفًا، وأجابته بشكل شبه جاد:

- اسمي يا باشا قمر عطا سعد، أملك محلًا كبيرًا للعِطارة

في المُوسكي ورثته عن زوجي جمال المكي الله يرحمه، عندي اثنان وثلاثون عامًا وأقيم في ٩ شارع المَرعشني بمنطقة بولاق، و... و...

شردت قليلًا ثم أردفت بتردُّد:

- وزوجي مات كما قلت لسيادتك، حتى ابني الوحيد الذي خرجت به من الدنيا تم خطفه ولا أعرف عنه شيئًا منذ سنوات، بحثت عنه كثيرًا يا باشا حتى فقدت الأمل وطلبت العوض من ربنا، والورق كله في المنزل، البطاقة وشهادة الميلاد وعقد الزواج و... جميعهم هناك يا باشا، فقط هذا أنا أنتهيت.

قالت تلك الكلمات وأومأت برأسها معلنةً أنها انتهت من الإجابة، لاحظ طارق هذا وأشار لعيسى بسبابته أن يبدأ قائلًا:

- وعند مواجهتها بالاتهام باشتراكها في جريمة قتل، وأنها قد تعاوَنَت مع شركائها في التمثيل بالجثث بأحد الأسلحة الطبية الحادة من خلال سلخ الوجوه وارتدائها، ورسم ثلاثة وشوم دموية؟ أجابت..

اتسعت عيناها من الصدمة وضربت بيديها على صدرها قائلة بفزع:

- ياهوي، ما هذا! لا يا باشا سوف أقول كل شيء أعرفه أنا، منذ ما يقرب من أسبوع اتصل بي زياد أبن أخي زوجي وأخبرني أن هناك أمرًا يخص عمه الله يرحمه -

يقصد زوجي بذلك-، ويجب أن يقابلني، ورغم أن هذه أول مرة يتصل بي منذ ما يقرب من ثلاث سنوات، اتفق معي على موعد أن أقابله بأحد المقاهي في المعادي، وعندما ذهبت في موعدي ولم أجده اتصلت به كثيرًا ولكنه لم يرد عليَّ، مللت الانتظار وقررت أن أرحل، فوجئت حينها برسالة من زياد يخبرني أنه ينتظرني في مكان ما بسبب أمر خطير ولا يمكن أن يتم تأجيله، وأرسل العنوان لي وعليه وصلت له لأني متذكرة العنوان جيدًا، لحظات يا باشا أتذكر.

نظرت لأعلى محاوِلةً التذكُّر ثم أردفت:

- آه تذكرت، ٣٢ مدينة الصفوة في التجمع الخامس، ذكية يا قمر ربنا يحرسك.

أومأت برأسها فخرًا وأمامها محمود يدوِّن تلك الملاحظة وهو ينصت لها والتي أردفت حديثها ليتشابه كثيرًا عما ذكرته الدكتورة نادية، ولكن لم تستعِد وعيها بشكل جيد مثلما ذكرت نادية، ولكنها استعادت وعيها بالمستشفى فاقدة للذاكرة وبدأت تسترجعها بشكل كامل خلال الفترة الحالية أما ما بين فقدانها للوعي لدخولها لحالة الهلوسة ونهايتها وصولًا لاسترداد الوعي، كل هذا لا نتذكر منه شيئًا سوى بعض من الهلاوس الغريبة التي لا تتجانس لتكوِّن صورة مرئية يمكن ذِكرُها، ما إن وصلت لتلك النقطة في اعترافها حتى خَتمته بقولها:

- هذا كل ما أعرفه يا باشا، لكن أين زياد ابن الكلب السبب في هذه الكارثة الطين التي غرقت فيه، مَن يدلني عليه وسوف...

رفع طارق كف يده نحوها مشيرًا أن تتوقف وسألها:

- وعندما سألنا المتهمة هل لديكِ ما يثبت أقوالك تلك؟ فأجابت..

- لأ، لكن أقسم بالله يا باشا سوف تعثرون على رسالة زياد الكلب التي تثبت أقوالي على هاتفي الذي...

توقفت لحظات صامتة، ثم أردفت:

- الذي كان بحقيبتي، وبالمستشفى أخبروني أني جئت بالثوب الذي على جسدي فقط، لقد تم سرقتي والله يا باشا.

أشار طارق بكف يده سائلًا: هل انتهت؟ فأومأت برأسها في حسرة إيجابًا، هنا أومأ طارق برأسه في جدية:

- شكرًا، يمكنك أن توقّعي على أقوالك بالمحضر وتعودي إلى مكانك بالخارج.

قال تلك الكلمات وأشار بيديه للخارج، نهضت قمر وذهبت لتوقِّع على أقوالها بالمحضر وهي ترمي نظرات عطف نحو طارق، الذي دنا من عيسى وهمس له ببعض الكلمات غير مبالٍ بها، حتى فتحت الباب ليظهر الحارس، وأخبره طارق أن تذهب لغرفة الحجز ويدخل السيدة

الأخير، وبالفعل دخلت السيدة بخطوات مرتعشة تتنقل عيناها بين محمود وطارق وعيسى خائفةً، تهتز أسنانها وهي تَقرض أظافر يديها اليمنى، دنت من المقعد المقابل لمحمود وجلست وهي تنظر له بخوفٍ، اهتزت رجليها توترًا دون توقُّف، وفي تلك اللحظة قتل هذا الصمت محمود قائلًا:

- أطلب لك ماءً؟

أومأت برأسها اهتزازًا بالموافقة، فنهض من مكانه وأحضر زجاجة مياه صغيرة كانت على الطاولة أمام التلفاز، أعطاها لها فأومأت له برأسها مبتسمةً بعض الشيء، ثم فتحتها سريعًا ورشفت الماء منها وما إن أنهت نصفها حتى أغلقتها واحتضنتها بين ذراعيها وكأنها كانت تفتقد لها، فنظرت إلى محمود وقالت بنبرة هادئة بعض الشيء:

- شكرًا.

وهنا أومأ محمود برأسه محاولًا الرد عليها حتى قاطعه طارق، وقال لها باهتمام وهدوء وأخبرها بأنه أدرك اختيارها للإدلاء بشهادتها، وعرَض عليها أسلوبه في التحقيق، والمكوَّن من ثلاثة أسئلة وعليها أن تخبره أنها استفاضت في إجابتها بكل ما تعرفه لكل سؤال، وبالفعل تجيبه بأنها سوف تحاول أن تقول كل ما لديها، وبالفعل بدأ طارق في سؤاله الأول التعريفي، وإجابته بمحاولة من الهدوء رغم التوتر الجامح بها:

- اسمي عبير أحمد نوح، أملك مركز تجميل نسائيًا في مصر الجديدة، منفصلة عن جوزي وليد الفيومي منذ شهرين، بسبب أني كنت حاملًا وأجهضت، عندي أربعة وعشرون عامًا، ومقيمة في فيلا نوح بالشيخ زايد، من الممكن أن أحضر لك جوازَ سفري من المنزل، ولكن أرجو أن تسمح لي أن أُهاتف والدي في دبي، يجب أن يأتي وينقذني مما أنا فيه، لا أستطيع تحمُّل المزيد ولا مصدِّقة ما يحدث لي.

أكمل طارق تحقيقه وكأنه لم ينصت لطلبها الأخير:

- وعند مواجهتها بالاتهام باشتراكها في جريمة قتل، وأنها قد تعاونت مع شركائها في التمثيل بالجثث بأحد الأسلحة الطبية الحادة من خلال سلخ الوجوه وارتدائها، ورسم ثلاثة وشوم دموية؟ أجابت..

اتسعت عيناها وشهقت فزعًا فأجابته وهي تهتز متوترة:

- ماذا؟ لا لا، من فضلك يجب أن أُهاتف بابا، يجب أن أهاتفه.

نظر لها طارق غاضبًا وقال بنبرة صارمة معيدًا سؤاله:

- فأجابت..

تفهمت عبير أن لا جدوى من سؤالها هذا فوضعت يديها على فمها محاولة منع نفسها من البكاء ثم أجابته بشفاه مرتعشة:

- كل ما حدث أن لي صديقة تُدعى خديجة أو كما تعوَّدنا أن نقول لها ديجا، هي صديقتي منذ الطفولة، ومنذ زمن طويل لم تهاتفني، تفاجأت بها تتصل بي وتخبرني أن هناك أمرًا خاصًا جدًّا ومهمًّا جدًّا ويجب أن أقابلها في عنوان معين بالتجمع الخامس، لا أتذكر أين بالضبط ولكني وصلت له في النهاية.

ما إن أكملَتْ قصتها التي تشبه نهاية قصة قمر بشكلٍ كبيرٍ، والتي تنتهي أيضًا بأنها تستعيد ذاكرتها بالمستشفى، ولكن لا تذكر منها أحداث ثلاثة أيام سابقة لذلك، ولا يبقى منها سوى مشاهد مخيفة مثل الكوابيس كما ذكرت لا تميز فيها شيئًا، وعند ذلك بدأ طارق في سؤاله الثالث المعتاد قائلًا:

- وعندما سألنا المتهمة هل لديكِ ما يثبت أقوالك تلك؟ فأجابت..

نظرت له وهي تومئ بالنفي، ثم امتلأت عيناها بالدموع ونظرت إلى محمود وكأنها تطلب منه المساعدة، فصاح فيها طارق قائلًا بنبرة حادة، فأجابت المتهمة:

- لأ.

قالتها عبير ولقد تبللت وجنتيها بالدموع، نظر لها محمود مواسيًا ثم نظر لطارق الذي رمقه بنظرات غاضبة وقال بنبرة صارمة:

- شكرًا يمكنك أن توقعي على أقوالك بالمحضر.

نهضت لكي توقّع على أقوالها ثم تحركت وهي تنظر للأرض، ودموعها الساقطة تسبق خطواتها حتى وصلت للباب ليظهر الحارس، وطلب منه طارق أن تذهب لغرفة الحجز، ثم التفت إلى محمود الذي كان شاردًا في ظِل عبير الذي اختفى خارجًا حتى قطع شروده:

- ما رأيك يا حضرة الرائد في هذا التشكيل العصابي الجميل؟

***

نظر محمود مفكرًا في سؤال طارق هل هم فعلًا تشكيل عصابي؟ وهو يعلم جيدًا أنها جريمة ملفقة بعناية من اللئيم عامر كي يوقع بهم في شباك الإعدام، إحدى مصائده اللعينة حتى يطبق نظريته السادية في الاعتذار، ولكن قبل أن يجيبه يرنّ هاتفه فيرى أنها مكالمة من عمر، فيستأذن طارق للخروج حتى يستطيع أن يتحدث بخصوصية أكثر، وبالفعل يخرج من المكتب ويردّ على عمر الذي أخبره أنه قد قام بالبحث في قائمة الاحتمالات الرقمية التي قد أعطاها له من يومين بخصوص مفتاح اللغز الذي توصّل له، ولقد استطاع أن يبحث فيهم جميعًا مع صديق له في شركة الاتصالات والتي تقلصت لثلاثة احتمالات فقط في النهاية، وقريبًا سوف يخبره بالخبر اليقين، ولكنه حاول أن يطمئنه فقط ويخبره بما توصل له حتى الآن، وأثناء ذلك جاءت فكرة لمحمود راودت عقله كي يطمئن قلبه من جهة عمر، وهي أن يعطيه معلومة خاطئة كاختبار له،

وبالفعل يخبره أن هناك شخصًا غريبًا هاتفَه صباح اليوم، وقال إنه يمتلك ملفًا خاصًّا به معلومات خطيرة تخص القضية، وأنه سوف يقابله اليوم الساعة الثامنة مساءً، كان رد عمر عليه أن يأخذ حرصه فتلك القضية ملوثة بالدماء والجثث، وبعدها أغلق المكالمة وهو يدعى أن لا تصدق ظنونه، ما إن يعود لمكتب طارق ليجده يصافح الدكتور حمزة مغادرًا وهو يقول له:

- الدكتور حمزة جاء كي يسلم التقرير المبدئي، ويريد أن يرحل سريعًا دون أن يتناول القهوة معنا يا محمود؟

يجيبه محمود بابتسامة صفراء:

- اعذره يا معالي الباشا الدكتور دائمًا مشغول هكذا.

- هذا أمر حقيقي يا حضرة الضابط.

قال حمزة تلك الكلمات ثم اعتذر وغادر سريعًا، وهو ينظر لمحمود بقليل من السخرية، فتابعه محمود بنظرات غاضبة حتى غادر، ثم التفت لطارق الذي وجده يفتح التقرير وجلس لقراءته، ومحمود يتابعه عن كثب فلاحظ أن ملامح وجهه تتقلب بين الدهشة والحيرة، وما إن أنهى قراءته حتى مدَّ يده به نحو محمود وقال له بشيء من السخرية:

- سوف ينال إعجابك هذا التقرير.

فنظر له محمود وحاجبه مرفوع مستغربًا فبدأ في قراءته

ليجد أن التشريح المبدئي للجثة الثانية التي عثر عليها بشقة عامر، يعود تاريخ وفاتها لنفس وقت الجريمة الأولى لمقتل عامر، وأنها خلال تلك الفترة كانت مدفونة تحت الأرض، وأن الكفن الذي أرفق مع الجثة يعود لها كما أفاد ذلك المعمل الجنائي وهذا ما أثبت نقطة الدفن، ولقد تم العثور على آثار لخمس طعنات نافذة بمنطقة البطن والصدر، وعثر على ما يثبت أن سبب الوفاة الأساسي هو حالة تسمم، ظهرت على محمود علامات السعادة، مما جعل طارق يقول له مازحًا:

- كنت على يقين أنه سينال إعجابك، مبروك أظنك قد وصلت أخيرًا إلى جثة عامر التي اختفت من قبرها.

- لا يا افندم هذه جثة زكريا.

اندهش طارق من هذا الرد السريع وهذه الثقة، فتابع محمود الذي نهض من جلسته وتوجَّه نحو اللوحة المعلقة وكتب جثة زكريا ورسم حولها دائرة ثم استدار، وقال بنشوة وثقة:

- السؤال الذي قتلني تفكيرًا هو: هل عامر حي أم لا؟ حتى قابلنا السيدة صفية أخت زكريا، ولا أكذب معاليك اقتنعت بكلامها قليلًا لا أعرف لماذا، حتى كنا نتكلم سويًّا بالمستشفى عن تكليفي في الصعيد، وأخرجت صورة لأخيها زكريا، وطلبت أن أحتفظ بها، وافقت بشرط أن أعيدها لها.

ابتسم محمود وهو يتحرك ذهابًا إيابًا أمام طارق المنصت له بعناية فأردف حَديثه له قائلًا وهو ممسك بمدوَّنته الصغيرة:

- وعندما استيقظت أمسكت بالمدونة وفتحت كي أراجعها من أول صفحة فيها مع أول نقطة كتبتها في قضية عامر، وتذكرت أول يوم ذهبت فيه إلى شقة عامر وأول مرة رأيت جثته، وأخرجت صورة زكريا من جيبي وتفحصتها جيدًا، وهذا جعلني أفتح هاتفي وأشاهد فيديو البث الأول والبَث الثاني.

وهنا عاد إلى اللوحة ورسم أسفل دائرة ذكريا دائرتين، وكتب في الدائرة الأولى البث الأول وفي الدائرة الثانية البث الثاني وهو يردف:

- والذين أصبحوا منتشرين على مواقع التواصل الاجتماعي ومنهم اكتشفت شيئًا مهمًّا جدًّا، أن عامر الذي ظهر في الفيديو الأول هو نفسه الذي ظهر في الفيديو الثاني.

ثم رسم أسفلهم دائر رابعة، وكتب بها اسم عامر وأوصل دائرة البث الأول والثاني بدائرة عامر وأكمل:

- لكن ليس هو الجثة التي رأيتها في مسرح الجريمة.

أثارت تلك الكلمات فضول طارق بشكلٍ كبيرٍ، وزادت درجة انتباهه إلى محمود الذي قال له:

- هل من الممكن أن تشغل سيادتك فيديو عامر الثاني

المتوفر عند حضرتك على التليفزيون.

وبالفعل استجاب طارق إلى طلب محمود، وفتح الفيديو المسجل للبث، وما إن ظهر وجه عامر حتى قال له محمود:

- أرجو من حضرتك تثبيت اللقطة على وجه عامر.

نفَّذ طارق طلبه وهنا أخرج محمود من جيبه صورة زكريا وأعطاها لطارق وأردف بحماس:

- إذا وضعت صورة زكريا بجانب اللقطة المثبتة لعامر بالفيديو سوف نتأكد من شكي لسببين، ركز فيهم جيدًا سيادتك، أولًا زكريا كانت عيناه صغيرتين وضيقتين وهذا شيء صعب تقليده أو تغييره، وعامر عيناه كبيرتان وواسعتان وكانت سبب فزع من يرمقه بهم.

قارن طارق الصورتين ورأى التباين الذي ذكره محمود والذي أردف:

- ثاني شيء زكريا كان له صلعة وراثية والتي تصيب معظم الرجال هذه الأيام، لكن لمعة رأس عامر في الفيديو، أمعن النظر سيادتك.

تحرَّك نحو شاشة التلفاز مشيرًا إلى صلعة رأس عامر مكملًا بنشوة:

- سوف تلاحظ إنه تم حلاقتها بالموس؛ لأن منبت الشعر ما زال واضحًا بعكس صلعة زكريا ولمعتها المميزة، وهذا كان مقصودًا من عامر حتى يقترب في الشكل

من زكريا، وبالطبع تعمد أن يلطخ وجه بالدم والهالات السوداء المزيفة حتى يخفي بها العلامات التي من الممكن أن تكشفه، ولذلك اعتمد على سرعة وترتيب الأحداث وتركيب الجريمة بهذا الشكل المعقد، حتى لا تزيد نسبة الشك لدينا بالقضية، وهذا يمكن أن نتأكد منه سيادتك أكثر إذا فتحت ملف القضية للجريمة الأولى، ونظرت إلى صورة الجثة في مسرح الجريمة التي تم التقاطها من قِبَل فريق البحث الجنائي مختلفة بنسبة قليلة عن الشخص الذي يظهر في الفيديو وهذا شيء لم ألاحظه من قبل وأعترف بتقصيري فيه.

ثم اقترب محمود نحو اللوحة مرة أخرى وأكمل:

- وحضرتك بالتأكيد تعرف أنه بدون نسبة من الشك والحجة القوية لن أستطيع أن أطلب تحليل الحمض النووي والتأكد من أنه عامر أم لا، وبخروج عامر في الفيديو الثاني وبهذا التقرير.

أشار نحو التقرير الأخير الذي أحضرَهُ حمزة، ثم أردف:

- قد ثبتت نظريتي وأنا واثق أن نتيجة التحليل سوف تثبت أنها جثة زكريا وليس عامر.

التفت محمود للوحة مرة أخرى وأمسك القلم وأخرج سهمًا من دائرة البث الأول وكتب أمامه «مَخرَج سري» ثم اِلتفت لطارق وأردف بنبرة يملؤها الحماس:

- والذي اكتشفته في شقة عامر أن الشرفة التي كانت

في مسرح الجريمة تُفتَح من الجهتين، لعدم وجود مقبض عليها من الأساس، وهذا جعلني أشك في أنه من الممكن بسهولة أن هناك شخصًا اختار هذا المكان لكي يختبئ فيه، هذا لأنها تُفتَح وتُغلَق بدون صرير واضح، وتظهر في الفيديو وهي مغلقة عندما كان عامر يحرك الهاتف في بداية الفيديو.

التفت نحو اللوحة مرة أخرى ورسم سهمًا آخر خارجًا من دائرة البث الأول وكتب أمامه «لحظة البدل» ثم نظر نحو طارق وقال شارحًا:

- وفي فيديو البث وبالتحديد عندما أنهى عامر اعترافه من المفترض أنه حدث تشويش لأقل من دقيقة استطاع عامر أن يبدل مع جثة زكريا ويرمي الهاتف بزاوية لا تكشف لحظة خروجه من الشرفة والتي بابها لا يُحدِث صوتًا، ومنها استطاع أن يستغل مكانها ونزل منها للأسفل كما فعلت أنا، ثم مرَّ على غرفة الحارس الذي تم تخديره من قبل وصولًا للخارج في دقائق قليلة، والتحريات أثبتت أن الحارس خارج دائرة الاتهامات.

ظهر على طارق أنه يفكر جليًا فيما قاله محمود؛ مما جعله ينهض من جلسته ووقف بجانب محمود الذي لم ينتظر رده، فوجده كتب على اللوحة وأردف:

- نحن أمامنا خمس جثث في القضية، جثة واحدة بدون وجه، وثلاثة وجوه لِثلاث جثث لم نصل لهم بعد، ولدينا

أربعة ألغاز، هذا غير ثلاث متهمات أثبتن بشكل غير مباشر علاقتهن بالأشخاص الذين توقعناهم أنا وسيادتك، وجاءت فريدة ابنة عبد العظيم كي تحول شكنا لليقين بأن كل سيدة منهن لها علاقة بمالك الوجه الذي ترتديه كقناع مسلوخ.

رسم دائرة وكتب بداخلها نادية وأخرج سهمًا وكتب أمامها عبد العظيم، ثم رسم دائرة ثانية كتب بداخلها عبير، وأخرج منها سهمًا كتب أمامه ديجا، ورسم دائرة ثالثة وكتب بداخلها قمر وأخرج منها سهمًا وكتب زياد، تابع طارق هذا الشرح وهو يومئ برأسه في نقاط كثيرة معلنًا الاقتناع بها، ثم أردف محمود مسترسلًا شرحه:

- وهذا يصل بنا في النهاية إلى أهم مَعلومتين ذُكرتا في التحقيقات اليوم، أولهما عنوان المنزل الذي كان آخر مكان يتذكره المتهمات، وثاني شيء أننا يجب أن نبحث خلف عبد العظيم وديجا وزياد حتى تكتمل الصورة أمامنا، وأين كانوا كل هذا.

اِلتفت نحو طارق الذي عقدَ ذراعيه محدقًا باللوحة، ثم أشار له نحو اللوحة وقال بشيء من الفخر:

- هذه هي الحقائق التي يجب أن نبحث خلفها معاليك، أليس هذا هو أسلوب سيادتك.

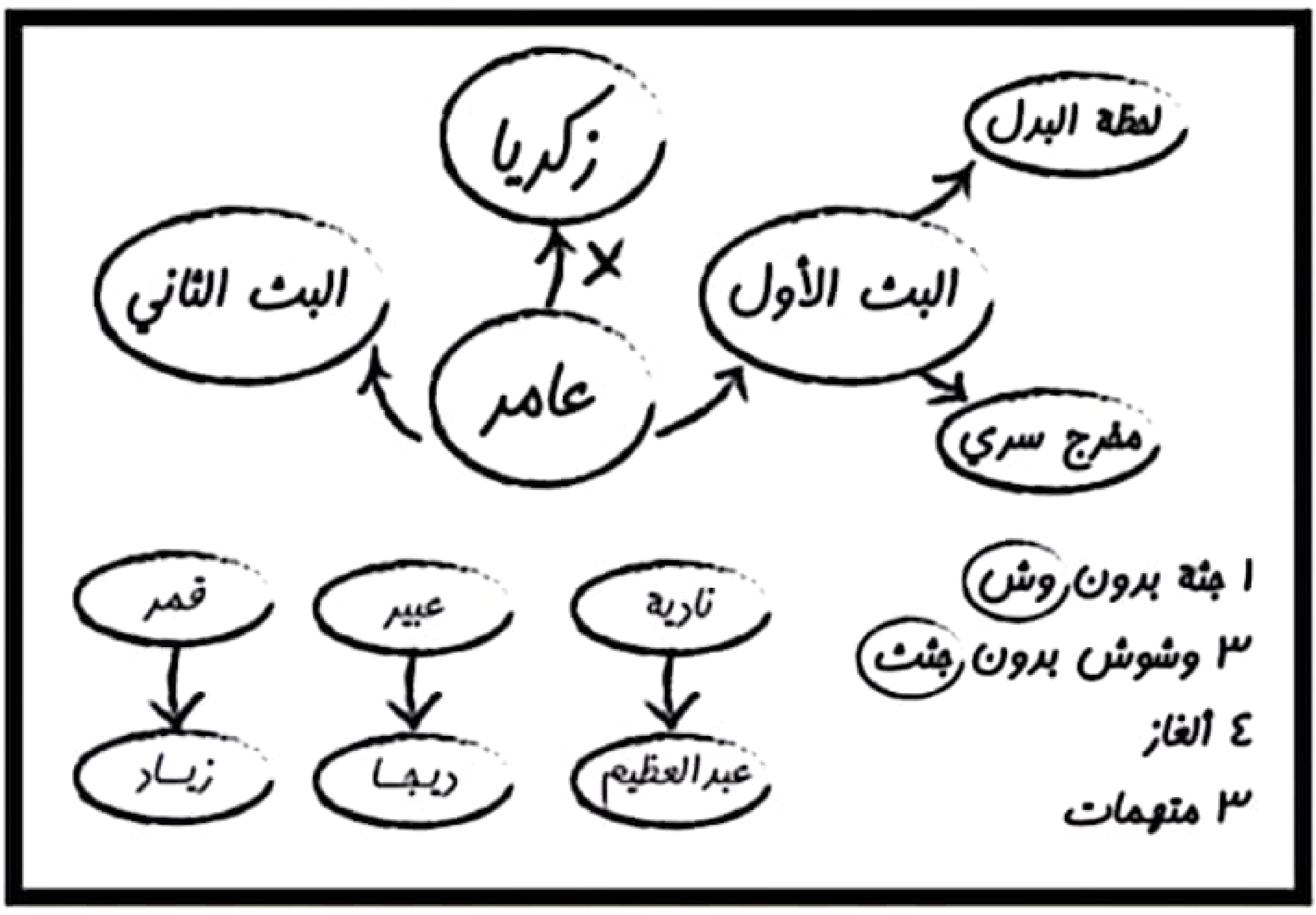
زكريا
البث الثاني
عامر
البث الأول
لحظة البدل
مخرج سري
١ جثة بدون وش
٣ وشوش بدون جثث
٤ ألغاز
٣ متهمات
قمر
زياد
عبير
ديجا
نادية
عبدالعظيم

***

«قاتلي العزيز، لا تنسَ عند زيارتك لقبري، وبعد أن تَبول وتُبصق عليه، أن تشكرني على ما تعلمته مِنّي».

الفصل السادس
إِعتذار سَادي

7 يناير 2018

قسم شرطة وسط

بداخل مكتب العميد كمال السفاري كان يجلس هو ومعه عامر يتناقشان في نصيب آخر صفقة قام العميد كمال بإنهائها بعد أن تقاضى رشوة حتى يتنازل عامر عن المحضر الملفَّق والمدبَّر بينهما لشاب قد افتعل عامر معه الشجار حتى يأتي به إلى القسم كي يفصل بينهما، ولكن بالقسم تفاجأ الشاب بمجموعة من المحاضِر المُعَدَّة بأوصافه كأحد مرتكبي الجرائم، ولولا أن والده كان يعمل مدير قطاع كبير في شركة أدوية دولية استطاع أن يدفع له الرشوة، فتنازل عامر وتغاضى العميد عَنه كَمشتبه به، كانا يقيمان تلك الخدعة كل فترة ليس ببعيدة حتى يستطيع عامر أن يصرف على لذاته، فما يكسبه من مشاريع المقاولات الصغيرة التي يشرف عليها بشكل غير قانوني لا تؤتي بثمارها معه، ولا يحصل منها إلا على الفتات، وكان يعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على تلك الصفقات القذرة.

بعد أن انتهيا من تقسيم الغَلة سمع العميد كمال صوت صياح بالخارج، قرَّر أن يهاتف ضابط المناوبة الليلية لتلك الليلة، وأمرَ أن يحضر له ويخبره بما لديه، وبالفعل حضر الضابط مسرعًا ليخبره بأن لديه شابًا ومعه والده يريدان أن

يخرج لهما أحد المحتجزين بزنزانة القسم؛ لأن الشاب قد تعرَّض لحادثة سرقة بالإكراه منذ أسبوع، وقد قاما بعمل محضر بتلك الواقعة لكنه علمَ من أحد أصدقائه والذي تعرَّض لحادث شبيه، أنه استطاع أن يقبض على السارق قبل أن يفلت بفعلته وتم تسليمه للقسم اليوم، ويظنون أن من تم القبض عليه هو نفس اللص الذي قام بسرقته، ولذلك الشاب ووالده يريدان أن يحضره لهما حتى يتأكد الشاب من تلك المعلومة، والضابط يخبرهم بأن هذا غير مسموح، ويمكنهم أن يتحققوا من ذلك عندما يعرض غدًا بمقر النيابة الصباحية، ولكن الوالد قد رفض الاقتناع بذلك الاقتراح، وصاح في الضابط أن هذا من حقه، فالمجرم بين قبضتهم ولن يفر وما يريده هو أن يحضره لمدة دقائق بسيطة.

بعد أن أنهى الضابط سرد ما لديه أمرَ العميد كمال أن يحضر له محضر هذا الشاب لواقعة سرقته منذ أسبوع، وبالفعل في أقل من دقائق قليلة حضر الضابط ومعه ملف المحضر تركه وانصرف، وبدأ العميد في قراءته وظهرت عليه علامات السعادة، فبحث على سطح المكتب عن شيء معين ولكنه لم يجده فَهاتف الضابط مرة أخرى وطلب منه أن يحضر له ملف محضر آخر قد حدث منذ فترة ليس بعيدة، وما إن أغلق المكالمة ليجد عامر الجالس يراقب كل هذه الأحداث بعناية، قال له مبتسمًا:

- أشعر أن هناك صفقة جيدة قادمة لنا، شعور صحيح أم

لا؟

- شعورك صحيح يا عامر، قضية كنت أرغب في غلقها منذ فترة، سوف أتأكد من المحضر وأطمئنك.

دخل الضابط بعد أن أنهى العميد كمال حديثه حاملًا ملف المحضر المطلوب وأعطاه له ثم انصرف سريعًا، ما إن خرج حتى بدأ كمال في قراءة المحضر بتركيز وانفرجت أساريره واتسعت عيناه فرحًا أثناء القراءة وكأنه وجد مبتغاه، ما إن أنهاه حتى تناقش مع عامر وأخبره بما سوف يحدث من نقاط محددة يجب أن يلتزم بها حتى يصلوا لما يريدون والهدف تلك الليلة هو إغلاق القضية بأي ثمنٍ، على أن تكون ليلة ممتعة لشهواتهم السادية، وبالفعل ينهيان الاتفاق وكل الإجراءات المطلوبة لتنفيذ غرضهم الدنيء، ويهاتف كمال الضابط ويطلب منه أن يؤتي له بهذا الشاب ووالده، وبالفعل بعد لحظات قليلة دخل الشاب بوجهٍ يشع احمرارًا من الغضب، وخلفه والده عاقدًا حاجبيه بوجهٍ عبوس يعلن عن مدى الضيق الذي لديه، دخل الاثنان بخطوات ثابتة وكمال يجلس إلى مكتبه ينظر لهما محدقًا، وعامر يشغل تركيزه بقراءة بعض الأوراق لا يُعيرهما الانتباه أو يلتفت لهما، تقدَّم الوالد نحو مكتب كمال ليجلس على المقعد الذي يقابل عامر، وذهب الشاب ليجلس على المقاعد الجانبية بالغرفة، أشار كمال للوالد أن يجلس وهو يقول له بحدة وصرامة:

- لا يصح يا أستاذ أن يعلو صوتك هكذا وأنا موجود في

هذا القسم.

حاول الوالد أن يشرح ما اضطره أن يفعل ذلك فلاحظ كمال أن ابنه قد جلس فصاح فيه بغضب:

- أنت يا حيوان من أَذِنَ لك أن تجلس؟

ثم نظر إلى الوالد المصدوم وقال له متسائلًا بغضب:

- ماذا فعله لك هذا الحيوان حتى تصيح بالخارج بهذا الشكل؟

وقبل أن يبدأ الوالد بالرد ينهض عامر مفزوعًا من أمامه، ويتوجَّه نحو الشاب وهو يصيح فيه بغضب:

- آه يا ابن الكلب، تسرقني وتركض يا نذل أنت وصديقك.

ينهي تلك الكلمة وهو يصفعه فينهض الوالد خلفه سريعًا يحاول أن يدفعه عن ابنه، ولكنه كان صلب البنيان فلم يتزحزح عما يفعله وهو يردف سبًّا فيه، حتى دفع الشاب عامر بقوة وقام والده بِسب والدة عامر الذي اشتاط غضبًا بعد سماع سباب الوالد له بأمه، وقبل أن يباغتهم بالضرب صاح كمال فيهم جميعًا أن يتوقفوا وكيف يفعلون ذلك في حضرته، ثم قال بحدة:

- ماذا حدث يا أستاذ عامر؟ ماذا فعل هذا التيس لك؟

قاطعه والد الشاب غاضبًا:

- حدث خطأ بالتأكيد، هذا ابني وأنا جئت لأني لدي محضَر سرقة بالإكراه تعرَّض له ابني، ما لنا بهذا المجنون الذي يتهمنا زوراً.

أشار له كمال بسبابته محذِّرًا:

- أنا لم أوجِّه لك السؤال وحذارى أن تتحدث مرة أخرى بدون أن آذن لك، ولا تنسَ أنك بداخل مكتب كمال السفاري، أم تراه كُشك عم محمد!

ثم عاد بنظره لعامر الذي رسم ملامح الانكسار قائلًا له:

- تفضل يا أستاذ عامر.

نظر عامر للشاب بنظرات ضعف وحسرة وكأنه يسأله لماذا فعلت ما فعلته بي، ثم عاد ناظرًا لكمال قائلًا بنبرة حزينة:

- الأستاذ المحترم الابن الخلَوق.

كاد أن يرد الوالد عليه بغضب لولا أن أشار له كمال أن يصمت بعينين واسعتين تشعان غضبًا، ثم أردف عامر حديثه بقوله:

- لقد كنت خارجًا من البنك ومعي حقيبة بها مرتبات موظفين الشركة آخر الشهر الماضي عشرون ألف جنيهًا يا باشا، وفوجئت بهذا الأستاذ راكبًا على ظهر دراجة بخارية خلف صديقه وخطف مني الحقيبة، حاولتُ التمسك بها ولا أتركها له بسهولة، فهي عُهدة وأمانة في رقبتي كما

تعرف يا كمال باشا، فوجئت بنفسي وأنا أسقط أرضًا وأسحب وأُجرّ أرضًا حتى خارت قواي وتمزقت ملابسي، والأستاذ ابن الخلوق لم يرقّ قلبه لما حدث لي وسحب الحقيبة منِّي وذاب بين الزحام، سجلت محضرًا بهذه الواقعة ولكن الشركة لم تقتنع بحادث السرقة وطالبتني بسداد المبلغ وأعطتني مهلة حتى نهاية الشهر الحالي، إذا لم أُسدد المبلغ سوف أسجن، أيرضيك هذا يا كمال باشا.

- هل أنت متأكد أنه هو يا أستاذ عامر؟

كان هذا سؤال كمال له فالتفت عامر له متفحصًا ملامح الشاب الذي يبادله بنظرات غضب واحتقار، ولكن لم يستطع والده أن يخفي نظرات الخوف على ولده، فكان يتابع عامر بقلق منتظرًا رده، الذي عاد موجهًا حديثه لكمال مرة أخرى قائلًا:

- هو يا كمال باشا، نعم هو.

صاح الشاب فيه غاضبًا:

- هو مَن يا مجنون.

- اخرس، أنت لا تنطق أبدًا.

صاح كمال بتلك الكلمات مُوجهها للشاب ثم نظر لوالده وهو يكمل:

- ألم تُربِّ ابنك كيف يحترم الآخرين؟

نظر له والده بشيءٍ من التوتر والقلق، وقال له معتذرًا:

- أنا آسف يا كمال باشا.

ثم التفت نحو ولده وقال له بنبرة متوتر صائحًا:

- اصمت ولا تتفوه بأي كلمة، لا أريد أن أسمع صوتك.

قال تلك الكلمات والتفت نحو كمال وردَّ في خوف وتودُّد:

- بالتأكيد يا باشا هناك تشابه ليس أكثر، نحن أصحاب حق وقادمون للبحث عنه، نصبح في ثانية مجرمين ولصوصًا، أنا مدير حسابات في شركة العجمي للشحن والنقل، نحن والحمد لله مستورون وابني لا يحتاج أن يلجأ للسرقة أو الخطف أو ما شابه ذلك.

نظر له كمال ثم أمسك بالمحاضر التي أمامه وألقاها أمام الوالد على سطح المكتب، وقال في جدية وهدوء:

- هذه يا أستاذ محاضر سرقة خلال الشهرين الماضيين، وجميعهم يتشابهون على مواصفات ابنك كمشتبه به، وكان آخرهم محضر الأستاذ عامر، ولذلك يجب أن يتم حجز ابنك للتحري عنه، حتى يأتي المتضررون في هذه المحاضر ويؤكدوا اتهام الأستاذ عامر، حتى نعرف هل سيكون المشتبه الوحيد لجميع تلك المحاضر أم محضر الأستاذ عامر فقط؟ وبعد ذلك يذهب للنيابة وهي تقول كلمتها الأخيرة في هذا الاتهام.

اتسعت عين والد الشاب مصدومًا وابتل وجهه عرقًا وهو

ينصت لما يقوله كمال غير مصدق ما تؤول له الأحداث، وبلع ريقه ورسم ابتسامة مزيفة قائلًا:

- بالتأكيد حضرتك لن يرضيك أن يبيت ابني في الحجز، ويحدث هذا كله لمجرد اشتباه بسيط، بالتأكيد هناك حل آخر.

نظر له كمال وعيناه تلمعان وقال ساخرًا:

- بالطبع يرضيني أن يحدث هذا كله.

ضرب بيده سطح المكتب وأردف:

- هذه المحاضر يجب أن تغلق، أنت تريد مني أن أعلم أن أمامي مشتبهًا به جاء لي على قدميه حتى باب مكتبي وأقول له لا شكرًا مشغول اليوم، أنا رجل شرطة وهذا عملي.

ثم دنا برأسه نحوه وقال بصوت خفيض:

- ثم ألم تأتِ هنا وأنت تصيح بالخارج وصوتك يعلو من أجل ابنك يرى المجرم الذي سرقه، الآن سوف يدخل الحجز ويقضي الليلة كلها معه وليس مجرد دقائق قليلة كما رغبت.

قال كمال كلماته تلك والتوتر يجتاح مشاعر الوالد، وفاجأه صوت كمال وهو ينادي على حارس مكتبه بالخارج ليدخل، فيشير كمال نحو الشاب ويخبره أن يأخذه لغرفة الحجز على أن يُعرض غدًا على النيابة الصباحية،

وبالفعل يتقدم حارس المكتب ويقبض على الشاب الذي يتعنت ويتَصلَّب معه رافضًا ما يحدث، وأثناء ذلك ينهض الوالد صارخًا فيه محاولًا منعه، وهنا نظر كامل لعامر الذي كان يراقب كل ما يحدث بنظرات انكسار وحزن مزيفة، ثم صاح في حارس مكتبه أن يأخذه وينتظره به بالخارج الآن فقط حتى يخبره بما يفعل بعد ذلك، وبالفعل ينفذ أمره ويسحب الشاب للخارج أمام انكسار والده الذي التفت نحو كمال ونظر له متحسرًا فدنا من مكتبه وقال له متوسلًا:

- يا كمال باشا ابني لم يفعل شيئًا، أنا متأكد من هذا صدقني، أقسم لك بالله أن ابني لم يفعل شيئًا، أنا معك هنا حتى الصباح، أطلب المتضررين من باقي المحاضر وسوف يثبتون لك أن ابني بريء ولكن يكون معي.

وهنا أشار كمال نحو عامر وقال هامسًا:

- وحق هذا الرجل؟

نهض كمال من جلسته وتحرك نحو الوالد ووضع يده على كتفه وسار به نحو إحدى زوايا الغرفة بعيدًا عن عامر وقال هامسًا:

- أنا أصدقك، وكان من الممكن أن أترك ابنك يغادر عائدًا لمنزله، إذا دخلت عليَّ وأنا وحدي بالمكتب ولكن المشكلة أن ما يدعى عامر هذا كان جالسًا ورأى ابنك واشتبه فيه، وهذا الرجل يأتي لي يوميًا بعد أن فرضه عليَّ

مأمور القسم، فإذا لم أتحرك بشكل رسمي أمامه سوف يخبر المأمور وحينها ابنك سوف يتّهم في باقي القضايا بلا رجعة.

أشار بعينيه نحو عامر الذي أدَّى دور أنه غير منصت لهما، وأردف حديثه له:

- هذا الرجل همُّه الوحيد المال، لا يفرق معه أمر المحضر هذا، ولقد سمعت منه أن شركته سوف تسجنه إذا لم يسدد العهدة المسروقة، وأنا أرى أن هذه بطاقة جيدة يمكن أن نتفاوض عليها، أنت تدفع المبلغ المسروق وهو ينسى أنه رأى ابنك من الأساس، أرى أن تدفع وتنقذ ابنك ومستقبله الذي أشرف على الانهيار، ما رأيك؟

قال كمال تلك الكلمات وكأنه إبليس يوسوس لآدم، ولكن كان والده أضعف بكثير من أن يتمرد فكان الرد بأنه أومأ برأسه موافقًا، ربت كمال على كتفه وقال هامسًا:

- سوف أتحدث معه وأحاول أن أقنعه ينتظرك حتى تأتي بالمال، وأنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا غير ذلك، وعليه سوف يسير الأمر بشكل قانوني سوف يظل ابنك بالحجز حتى تأتي، حاول أن تحضر المال قبل أن يتم ترحيله إلى النيابة لأنها تُعتبر منطقة اللا رجوع لابنك، هيَّا تحرك الآن وعُدْ سريعًا.

تركه كمال نخرج والد الشاب مسرعًا، صاح كمال على حارس مكتبه وأمره أن يذهب بالشاب لغرفة الحجز، وعاد

ليشارك عامر ضحكاته على تلك المتعة التي استمتعوا بها، وطلب عامر من كمال أن ينفذ له طلبًا عند عودة الوالد وأخبره كامل بالموافقة عليه، وبعد ما يقرب من ساعتين عاد الوالد بحقيبة صغيرة وأعطاها إلى عامر معتذرًا عما طرأ منه ومن ولده طالبًا منه أن يقبل هذا المبلغ مقابل أن يتنازل على المحضر، فامتنع عامر عن فعل ذلك ولكن بعد أن طلب منه كمال ذلك وألحَّ على موافقته رضخ في النهاية للأمر، وأمرَ كمال حارسه أن يحضر له الشاب من غرفة الحجز. ما إن حضر الشاب ورأى والده شكله المزري فقد انتفخت عيناه من كثرة البكاء، وبالَ في سرواله، وأصبح قميصه مهترئًا وملوثًا بقليل من الدماء، خطى بخطوات قصيرة وبطيئة، ما إن رآه والده حتى ذهب له مسرعًا حضنَه وسأله عما حدث له، ولكن لم يجد منه ردًّا يُذكَر سوى البكاء، فالتفت للخلف وتفاجأ بعامر أمامه رافعًا يده التي نزلت عليه بصفعة قوية وقال له بغرور:

- هذه الصفعة ليست لأنك سببْتَ أمي أتعلم لماذا؟ لأني لم أكن أحبها، ولكن حتى نتعلم أن ليس كل البشر أسوياء فهناك بشر وهناك عامر، وعامر لا يُسَب.

ضحك كمال عما حدث وقال موجهًا حديثه لوالد الشاب الذي حاول أن يسند ولده في انكسار وذهول:

- اعذرني، لقد أخبرتك من قبل أن ابنك يحتاج إلى تربية، ومن لم يربِّه أهله فَحجز كمال السفاري يربيه.

صاح كمال في الحارس أن يخرج الشاب ووالده خارج القسم، وهنا عاد عامر بنشوة عالية ضاحكًا وقال له كمال فخورًا به:

- عندما قلت لي إنك سوف تصفع والده لم أكن أتخيل أنه سوف يكون ممتعًا بهذا الشكل.

- الممتع ليست الصفعة، المتعة تكمُن في نظرته لي وهو مكسور وعيناه تلمعان بالدموع التي يخفيها عن عين ابنه الذي كان ينظر لي مصدومًا.

أومأ كمال برأسه مؤكدًا رأيه وطلب من حارس مكتبه أن يحضر أحد المساجين بالغرفة الحجز، وبالفعل بعد دقائق يعود ومعه أحد المساجين أشار له أن يتركه وينصرف، وبالفعل فعل ذلك، ووجَّه كمال له الحديث:

- ما الذي فعلته بالتَيس الجديد؟

أجابه زكريا متفاخرًا:

- هذا التيس كما سميته سعادتك قمت بسرقته منذ أسبوع، وبعد أن أخذت ما معه فَلت من قبضتي قبل أن أضع توقيعي عليه، وفجأة وجدته أمامي اليوم في الحجز فعلمت أنها نصيبه ولا مفر من النصيب سعادتك، تم الاحتفال به أولًا ثم كتبت على ظهره كلمة شاذ بسكيني الصغير.

قال تلك الكلمات وضحك وشاركه كمال الضحك وكافأه بأنه صفق له قليلًا، ولكن كان لعامر نظرة أخرى ملؤها

الإعجاب فسأله:

- أليس لديك مهنة غير السرقة؟

- آه نقاش.

أجاب زكريا سريعًا بتفاخر سؤال عامر، وهنا اتسعت عين عامر أعجابًا به، ولكن قاطعهما كمال:

- زكريا طبعًا أنت تخرج من هنا وتختفي يومين، وعندما أريدك أعلم جيدًا كيف أعثر عليك، هذا من أجل إذا جاء تفتيش في أي وقت بسبب ما حدث اليوم لا يجدون شيئًا.

أشار لعامر أن يعطيه رزمة من المال الذي معه في الحقيبة، وبالفعل فعل عامر ذلك وأعطي الحقيبة لكمال الذي أعطى منها خمسة آلاف جنيهًا، ما إن دّسهم عامر في جيبه حتى استأذنه أن يغادر ويأخذ معه زكريا وما إن وصل لباب القسم فقال لزكريا مصافحًا إياه:

- أنا عامر سمير أعمل في المقاولات وأحتاجك في عملٍ قريبٍ، لأني بصراحة أشعر أنك تشبهني في أشياء كثيرة وقلبي ارتاح لك.

***

بعد أن عرض محمود كل النقاط وقام بتجميعها كرسومات على لوحة لكي يقرب لطارق وجهة نظره، والتي نالت إعجاب طارق وأشاد بها، وعليها قام طارق

بتقسيم المهام فيما بينهما، فلا يعقل أن يتوقفوا عن التحقيق حتى تظهر نتيجة التحاليل الحمض النووي التي تثبت حقائق مهمة وتنهي عدة شكوك، ولذلك قرَّر طارق أن يتابع محمود عملية البحث والتحريات عن زياد وعبد العظيم، وهو سوف يتابع البحث والتحريات عن ديجا، ومتابعة مباحث الاتصالات والرقابة على الشبكات الإلكترونية فيما يخص عملية القرصنة التي تمت على القناة الأيام كي يتم البث المباشر الأخير، وبالفعل اتفق الاثنان على ذلك على أن يبدآ غدًا فلقد أعلن محمود إرهاقه وأنه يريد أن ينال قسطًا من الراحة، وبالفعل يغادر الاثنان مديرية الأمن ويتوجه محمود إلى منزله. ما إن يصل حتى يأخذ حمامًا ويتناول وجبة سريعة ويطفئ الأنوار ويجلس بجوار النافذة يتابع الطريق، هل هناك من ينتظره بالأسفل يراقب تحرُّكه، وقد كُلِّفَ بأمرٍ من طارق بعد أن أفشى عمر هذا السر له.

ظل هكذا منتظرًا مراقبًا من النافذة حتى جاءت الساعة الثامنة، ولم يتغير الحال فلم يلاحظ أي تواجد شاذ أو مُلفِت عن العادي ليطمئن قلبه قليلًا، وتمر الدقائق حتى تصل الساعة لما يقرب من التاسعة، مما جعله ينهض سعيدًا فلم يخب ظنه في صديقه ونجح في الاختبار الذي وضعه له بامتياز، فقرر أن يذهب للفراش لجسده يشتاق له بشدة، ولكن ما إن وصل لباب غرفته حتى تفاجأ برنين هاتفه، فذهب له ليجد أن المتصل هو عمر، راودته الظنون مرة

أخرى، هل دفعه طارق ليعرف لماذا لم ينزل ليلحق بمقابلته المزعومة، انتابه الكثير من الضيق والصدمة ولكن لا مفرّ أمامه سوى أن يجيب المكالمة ومنها سوف يصل لإجابة عن شكه هذا، وبالفعل فتح المكالمة وقال بنبرة صوت جادة:

- ألو.

- ألو، كيف حالك يا محمود ما زلت في المديرية إلى الآن؟

تفاجأ محمود بسؤال عمر، فمن المفترض أنه يعلم بانشغاله بالمقابلة المزعومة وليس بالمديرية، وهذا قريب من شخصية عمر التي تنسى الأشياء البسيطة طالما خارج دائرة اهتماماته، فحاول أن يجيب عليه بإجابة عامة غير محددة، فقال بنفس جديته:

- لأ، خير يا عمر؟ هل هناك شيء حدث؟

- نعم، أردت أن أخبرك أني توصلت لشيء بخصوص الاحتمالات التي أعطيتها لي سلفًا.

زفرَ محمود زفرة في سعادة وراحة وسأله بفضول:

- نعم، ما الجديد لديك؟

- لقد قمت بالتحريات على كل الاحتمالات التي معي، وهل هناك صلة بالقضية أم لا؟ وبدأت في تصفية الاحتمالات، وعندما راجعت حركة المكالمات على

الأرقام الثلاثة عثرت على أن هناك رقمًا منهم اتصل بهاتف متهمة من المتهمات الثلاث اللواتي أعلن أسماءهم اليوم في التحقيق وكنت قد بحثت خلفهن وأضفت أرقام هواتفهم إلى البيانات التي لدي في التحريات، المتهمة اسمها قمر عطا والرقم يعود لشخص اسمه..

هنا قاطعه محمود بنشوة قائلًا:

- زياد.

فأكمل عمر حديثه بثقة:

- صحيح، اسمه زياد جبر المكي، الآن اطمأننت أني أسير في الطريق الصحيح، ميزة هذا الرقم أن الهاتف ما زال مفتوحًا حتى الآن.

- بالتأكيد استطعت تحديد مكانه؟

باغته محمود بسؤاله هذا فجاوبه عمر:

- نعم، في مكان قريب من المُوسكي.

- أرسل لي رقم الهاتف وموقعه وأنا سوف أتحرك له.

قال محمود تلك الكلمات وهو يرتدي ملابسه كي يغادر مسرعًا، فأجابه عمر مطمئنًا:

- ثوانٍ ليصل لك كل شيء.

تحرك محمود مسرعًا للخارج ويدير سيارته ليسمع نغمة هاتفه بِاستلامه رسالة، فتحها ليجد أن عمر قد أرسل له

رسالة بالإحداثيات موقع الهاتف، ارتفع حماسه وتحرك نحوه بِالسيارة ليجد أنه وصل من خلاله لأطراف حارة صغيرة في الجهة الغربية من الموسكي، اتبع الإرشادات حتى وصل أمام بيت صغير بجواره أرض فضاء أصبحت مرتع للقمامة والحيوانات الضالة ومتعاطي المخدرات، ما إن ينزل من سيارته حتى يتفحص هذا البيت الصغير القديم، ويلاحظ أن هناك سيدة عجوزًا بوشاحها الأبيض الذي يسدل على رأسها فيزيد من بشاشتها، تطلُّ عليه من نافذة غرفتها بالدور الأرضي تتابعه بفضول وشغف، فدنا منها قليلًا حتى قالت له بصوت مشوش بحرف السين بسبب فقدانها للكثير من أسنانها الذي زادها جمالًا:

- أنت؟ لماذا تنظر هكذا للمنزل؟ هل تبحث عن شخص معين يا بني؟

- نعم يا حاجة، لقد أخبروني أن بهذا المنزل شقة فارغة يمكن أن أستأجرها كَمسكن يصلح لعائلة بسيطة الحال.

أجابها محمود مبتسمًا ببعض البشاشة في وجهه، فلاحظ نظرات العجوز التي تتنقل بين سيارته وملبسه، وأشارت له بيديها أن يدنو منها أكثر وهي تلتفت حولها، فأطاع محمود طلبها رغم استغرابه ودنا منها فهمست له:

- من قال لك هذا خائن وكاذب وموسوس في بئر نجس؛ لأن كلَّ مَن بالحارة يعلم أن هذا المنزل لا يسكن به أحدٌ أو يستأجر فيه، منذ أن ورثته البومة زوجة المعلم

جمال المكي التي تدعى قمر، تريد أن تطردني من شقتي كما فعلت مع المستأجرين الآخرين، حتى تستطيع أن تهدمه وتضم أرضه إلى أرض مقلب القمامة التي بخلف المنزل لتبني بناية كبيرة، حتى شقة العائلة التي تعود لوالدهم المعلم المكي الله يرحمه أغلقتها شقة تحتل الدور الأخير كله، كانت شقة يملؤها البراح والراحة والنسمة الطيبة، توفى زوجها ورحل وهي تركت المنزل ورحلت، حتى لم تترك زياد ابن أخي زوجها يسكن فيها، حتى أتونس به في هذا المنزل الذي اكتسى بالوحدة والرعب.

قاطعها محمود قائلًا في عجالة:

- أشكرك يا بركة.

قالها وتحرك سريعًا نحو مدخل البيت وهو يسمع همهمات السيدة المستغربة من فعله، ثم صعد الدرج بخطوات قافزة سريعة، حتى وصل للدور الثاني والأخير لهذا البيت الصغير، أخرج هاتفه وقام بالاتصال بالرقم الذي أرسله له محمود ليتفاجأ بسماع صوت رنين هاتف بالداخل، أخرج مسدسه وطرق على الباب ثلاث مرات ولكن لا يجيب عليه أحد وما زال صوت رنين الهاتف بالداخل مستمرًا، فقرر أن يدخل الباب عنوة وبالفعل دفع الباب بكتفه عدة مرات حتى رضخ لذلك، ما إن دخل حتى هجمت عليه رائحة تعفن قوية دفعته أن يخرج من جيبه منديلًا ويحاول أن يساعده في سد استنشاق أنفه تلك الراحة التي كادت أن تجعله يتقيأ من شدتها ولكنه

تماسك قليلًا، حاول أن يبحث عن مفتاح إضاءة بجانبه ولكنه لم يعثر عليه وسط هذا الظلام الكاحل وأثناء ذلك كان قد توقف الهاتف عن الرنين وكان قد لاحظ إضاءته بالداخل قبل أن يتوقف الرنين وينطفئ، فقرر أن ينير كشاف هاتفه ويسير محاولًا اكتشاف المكان متجهًا نحوه وهو يعيد الاتصال به ويتتبع الصوت والإضاءة النابعين منه، وفي طريقه له يكتشف على الحائط الذي بجانبه لوحة المفاتيح الخاصة بالكهرباء، فقام برفع المفتاح الرئيسي واستدار ليرى المكان الذي شع نورًا من حوله بسبب إنارة عدة مصابيح في عدة أماكن بالشقة، ولكن لم يكن ما رآه بالشيء الهين عليه، فلقد تفاجأ بوجود جثة منتفخة أمامه تم سلخ الوجه منها، جثة ترتدي ملابس رجالية فيدنو منها ليجد أنها تمسك الهاتف باليد اليسرى، وبجوار تلك اليد توجد صورة بلوني الأبيض والأسود للكاتبة الإنجليزية ملكة أدب الجريمة أجاثا كريستي وتم إلصاق صورة عليها تغطي ما يقرب من ربع الصورة لوجه رجل بملامح أوروبية حادة وشارب أسود رفيع ومنمق بعناية ويرتدي قبعة رمادية إنجليزية وأسفلها كتب بخط أسود التوقيع الرقمي المشفر لعامر، نظر محمود لذلك باستغراب، وهنا قرر أن يهاتف طارق ويخبره بما توصل ولا يفرق ما سيحدث من عواقب فما توصل له يثبت أنه يتحرك بخطوات صحيحة.

أتى طارق بالفعل ومعه قوات الشرطة لمنزل عائلة زياد القديم كما أخبره محمود في المكالمة، ما إن دخل وهو ينظر لمحمود بحدة وغضب، وتعمَّد محمود ألا يبالي بنظراته تلك فلقد رآها أنها صدمة المهزوم ليس أكثر، وهو لن يعود للخلف مرة أخرى بعد أن عادت له الثقة، ولكن سوف يستعين بأسلوب طارق فهو لا يستطيع أن ينكر له الفضل في النظر للحقائق بشكل مختلف ولذلك لم يقبل على الحديث معه الآن، وأثناء ذلك كان فريق البحث الجنائي والطب الشرعي قد مشط الشقة بالشكل الكامل ولم يعثروا على شيء غريب سوى محفظة النقود التي كانت بملابس الجثة وبالتحديد بجيب سرواله الخلفي، فتقدم بها رجل البحث الجنائي نحو طارق الذي ارتدى قفازًا طبيًّا كي يستطيع أن يمسكها دون أن يلوثها ببصمات يديه، ومن بعيد لاحظ

محمود ذلك فتقدم نحوهما ليعرف ما توصلا له، فلاحظ نظرات طارق الحادة له بين الحين والآخر، حتى أخرج طارق منها شيئًا ورفعه في وجه محمود وقال بجدية:

- هذه محفظة زياد جبر المكي.

وما رفعه في يده كان بطاقة زياد الشخصية، أخرج محمود مدوَّنته وقلمه الصغير وكتب عدة ملاحظات، حتى صاح أحد رجال البحث الجنائي الخاص بالتصوير مناديًا عليهما، وهو جالس أرضًا متكئًا على ركبتيه بجوار الجثة، وما إن وصلا له حتى أشار نحو صورة أجاثا كريستي وصورة الرجل الإنجليزي الملصقة عليها، ما إن رفعها وأدارها إلى الجهة الأخرى ليجد قد رُسِمَ على الصورة من الخلف مستطيلٌ صغيرٌ مقسَّم لأربعة مربعات كتب في المربع الأول والثاني من اليسار لليمين رقم ٦، والمربعان الثالث والرابع تُرِكَا فارغين.

تفاجأ طارق بابتسامة محمود وهو تابع هذا، فسأله بغيظ:

- هل رقم ستة مُضحك لهذه الدرجة؟

نظر له محمود وكتب في مدوَّنته ٦٦٣٤ وقال بنشوة:

- الرقم الناقص هو أربعة وثلاثون، اللعبة تتكرر مرة أخرى، و ٦٦٣٤ هو بالتأكيد مفتاح ملف مشفَّر يمكن أن نجده في هذا الهاتف.

وأشار نحو الهاتف الذي في يد الجثة، وهنا اِلتفت له طارق عاقدًا ذراعيه وهو يسأله متحديًا ويقول:

- ولماذا ٣٤ بالتحديد؟ هل هذا حاصل ضرب مثلًا أم تاريخ ما أو رقم لوحة سيارة؟ ما يعني؟ ما الذي جعلك تقول هذا الرقم بالتحديد؟

- ما جعلني أحدد هذا الرقم هو...

وهنا اتكأ على ركبتيه جلوسًا وأشار للصورة التي في يد رجل البحث الجنائي وأردف:

- هذه بالطبع صورة ملكة أدب الجريمة أجاثا كريستي وهي غنية عن التعريف، وصورة الرجل الملصقة عليها هي صورة الممثل الذي أدى شخصية هيركيول بوارو، وهي شخصية خيالية لمحقق بوليسي في رواياتها، رغم أنها كانت تراه شخصية لا تطاق وأناني ولئيم ومستفز إلا أن أمام كل الصفات السيئة تفاجأت بحب القراء له، وهذا جعلها لا تحاول أن تقدم أي محاولة لقتله أو التَخلص منه أدبيًّا في أعمالها، احترامًا لحب القراء له.

نظر له طارق بملل وقال له:

- شكرًا على المعلومات القيمة، هل من الممكن أن ندخل في المهم بعد إذنك.

أومأ محمود برأسه موافقًا ثم أردف:

- شخصية المحقق هيركيول بوارو من أكثر الشخصيات اللي استخدمتها الكاتبة أجاثا كريستي في رواياتها البوليسية التي وصل حجم مبيعاتها بهم للمركز الثالث على مستوى العالم بعد الإنجيل ومؤلفات شكسبير وعدد الروايات هم ٦٦ رواية و المحقق بوارو ظهر في ٣٤ رواية منهم.

***

أصبح محمود لا يثق بأحد بسبب ما حدث معه في تلك القضية، ولذلك رافق فريق البحث الجنائي حتى مقرهم وانتظر بالخارج تفريغ الهاتف الذي عُثر عليه بيد الجثة، وبعد عدة ساعات من الإجراءات الروتينية والعمل عليه خرج عليه أحد الأفراد وأخبره بأنه لا يوجد على الهاتف أي شيء من صور أو فيديوهات بل يوجد ملف كتابي إلكتروني مغلق بكلمة سر، فأخبره محمود أن يجرب ما توصله له من نتيجة لحل اللغز وهو رقم ٦٦٣٤، وبالفعل دخل وجربه وأشار له من الداخل بأنه صحيح وقد تم فتح الملف، لتنير ملامح محمود السعادة ونظرات النصر، وهنا طلب منه أن ينسخ الملف هذا على أسطوانة مدمجة وأن يطبع له منه أيضًا نسخة ورقية، استلم محمود الملف وبدأ في قراءته وتفاجأ بما فيه فأسرع بسيارته نحو مبنى مديرية الأمن وصعد لمكتب طارق وسلمه التقرير وقال بأنفاسٍ متقطعة من سرعته للقدوم إليه:

- التليفون لم يكن عليه سوى ملف واحد فقط ومُغلق برقم سري، وتوقعي للحل كان صحيحًا وهذه هي الأسطوانة الرقمية، عليها الملف الأصلي، وطبعت لحضرتك نسخة يجب أن تقرأها لأن بها معلومات وحقائق خطيرة عن القضية.

أثار ما قاله محمود فضول طارق الذي التهب حماسه لمعرفة ما في هذا الملف، فأمسكه وبدأ في قراءته بتركيز شديد وكان بعنوان «قمر».

قـــمـــر

لم تكن حياتي كطفل يمكن أن أذكرها بشيء طيب عطر، فلقد توفيت أمي عند ولادتي لكي تهرب من تلك الدنيا، وتحملني ذنبًا لم أفعله وهو وفاتها، وهدف لم أرغب به قط وهي الحياة، فبوفاة الأم يأتي ملاك الموت ليقبض روحها ويقبض معها قلبك بعد أن ينتزعه منك بكل قسوة من أحشاء صدرك، وأنت تشعر بكل شيء، بكل الألم، بكل العروق التي تصرخ، بكل الشرايين التي تئن، بكل الدماء التي تبكي، هل تعلم عندما يأتي وقت الفرح ويتفاجأ بعدم وجود الشيء الذي يستطيع أن يضخ في هذا الجسد الملبد بالأحزان، فما عليه أمام تلك الحقيقة سوى أن يعبر بداخلنا سريعًا ويذهب بعيدًا دون أن نشعر به، وبرغم محاولة أبي أن يسعدني بزيجاته المتعددة التي كانت تفشل سريعًا، ظنًا منه أن هذا هو البديل لمأساتي، وهو لا يعلم أنها مجرد جروح غائرة إضافية في ثقب جسدي بالجانب الأيسر من صدري، وعلى هذا تعاملت الحياة معي كلقيط المشاعر، لا تنتسب حياتي لإحساس واضح رغم أني لم أكن سوى طفل صغير، مجرد طفل، وعلى ما أظن كان هذا أحد ذنوبي، وبقيت أنا هكذا حتى عامي السابع في تلك الحياة، ليأتي أبي هو الآخر وينتزع عمودي الفقري عن آخره بوفاته وفراقه عني، فيخُر جسدي أرضًا فلا يجد ما يستند عليه أو كفًّا يحتمي خلفه من أعاصير الزمن، أصبحت جسدًا مهلهلًا مهترئًا بلا ظهر ولا قلب.

في نهاية المطاف يأخذني جدي وأقيم ببيت العائلة،

ويحاول أن يكسب بي ثوابًا بكفالتي والوصايا عليَّ، كان يحرص على تعليمي وتوجيهي الجيد في هذا الطريق، لكن أمام عمي «جمال» الذي كان يكبرني بأكثر من عشرة أعوام هذا يعتبر ترَف بيّن ونعومة في التربية كيف أمنح إياها، وهذا لأنه كان يرى فيَّ فشله في التعليم، فكان يتذكر توبيخ جدي له طيلة فترة دراسته، ولذلك قرر جدي أن يخرجه من التعليم مبكرًا ويجبره أن يقف معه في محل العطارة بالموسكي، ولذلك كنت أمثل لجدي الصورة الحسنة التي كان يتمناها في عمي بعد أن خاب أمله فيه، وبعد امتحانات الثانوية العامة بأسبوع واحد، أعلن جدي الهرب من مسؤوليتي ليفارق الحياة هو الآخر مثل أبي وأمي، وفي تلك اللحظة تغيرت حياتي من السيئ المظلم للأسوأ المعتم، فلقد أصبح عمي هو الوصي على ورثي من جدي وأبي، وكأنه كان وقت إعلان عمي الحرب عليَّ للانتقام من جدي فيّ، انتقام من أفعال لم يكن لي يد فيها، إنها أفعال جدي، ومشاعر لم أَخلقها بتاتًا إنها مشاعر جدي، فأنا للأسف كنت أعيش فقط، أعيش شبه حياة وهذا ذنب لو تعلمون عظيم.

كان عمي جمال يعاملني بقسوة مفرطة يتم معاقبتي على أي شيء سواء قمت بفعله أم لا، فهذا لا يهم المهم عنده أن يراني أتألم، كنت أبغضه وألعنه لم أشعر نحوه بأي صلة رحم مما كان يفعله بي، وقد أجبرني أن أدخل كلية التجارة كي أتخرج منها وأعمل بالمحل، هذا إذا رغبت

في أن أكمل تعليمي، وليس أمامي اختيار آخر رغم علمه أني أهوى الرسم، وكنت أرغب في الالتحاق بكلية فنون جميلة، ولكن ليس أمام العبد سوى إطاعة سيده، فرضخت لأمره وقبلت حلو الأمرَّين وهو دخول كلية التجارة أفضل من لا شيء، ومع بداية أيام الدراسة تفاجأت بأن عمي قرر أن يتزوج رغم أنه لم يمر على وفاة جدي سوى شهرين فقط وسوف تكون تلك الزيجة في منزل جدي منزل العائلة، الذي أتقاسمه معه أنا وهو بالعدل الذي يعرفه عمي بالتأكيد، هو التسعة أعشار وأنا العُشر القذر، وبالفعل تزوج عمي من قمر وهي فتاة جميلة تكبرني بعامٍ أو عامين بالكثير هذا ما كان يبدو عليها ولكنها في حقيقة أكبر من ذلك بكثير، لم تكمل تعليمها مثله لكنها أكملت أنوثتها بتقدير امتياز، كانت رقيقة معي تحاول التقرب مِنّي، ولكني كنت أخاف من سحر عينيها الفتاك ونظراتها التي تقول كلمات لا تلفظ أمام العامة، قررت أن أتحاشاها فكنت أهتم بدراستي وفي وقت فراغي أعمل بأحد الأستديوهات كمصمم متدرب حتى أروي القليل من شغفي من هذا المجال الذي حرمت منه، وبتلك الطريقة لم أكن أراها إلا صدفًا صغيرة أتعمد الهروب فيها من قمر.

وبعد ثلاث سنوات من تلك الزيجة والتي لم تُكلل بطفل رغم محاولات عمي وقمر بشتى الطرق للإنجاب ولكن لم تنجح معهم أي وسيلة، وفي ليلة ممطرة جاءت قمر غرفتي فجرًا وأيقظتني من نومي لتخبرني أنها يجب أن تقابلني غدًا

خارج البيت في أمرٍ هامّ؛ لأنها لا تعلم أوقات مغادرتي وعودتي للمنزل وكنت أتعمد أنا هذا، لم أستطع أن أرفض طلبها هذا بعد أن همست في أذني بأنفاس ساخنة أحرقَتْ رأسي، وأنهت جملتها بلعق طرف أذني، ثم غادرت غرفتي وهي تعض شفتيها وترمقني بنظرات ألهبت نارًا بداخلي جعلتني أركل من عليَّ الغطاء، وكأنني أرقد تحت شمس منتصف أغسطس وليس ثلج يناير، وبالفعل ذهبت إلى مُقابلتها كما أمرَتْني بأحد الأماكن العامة القريبة من المنزل، وجاءت لتخبرني بسرٍّ قد اكتشفته بأن عمي قد تلاعب بأوراق التركة حتى يستطيع أن يحصل على ورثي قبل أن أصل للسن القانوني والذي سوف يكون بعد أقل من عام وقدمت لي أوراقًا تثبت حديثها ذلك، وقرَّر أنه سوف يطردني خارج المنزل أو أرضخ لأن أعمل كأجير عبد في أملاك تعود في الأصل لي.

فاستشاط غَضبي وزاد غيظي، واستطاعت تلك الحية أن تثير غضبي باحترافية شديدة كشفت عما أستره من سنين من كبتٍ وحقدٍ وكراهية حتى قررت أن أقتله، ولكنها دنت مني بدلال وقالت لي هامسة:

- إذا مات الآن سوف يصبح لعماتك الثلاث من جدتك الأخرى نصيب في التركة، يجب أن أنجب الولد الذي يجمع تحته تركة عمك كلها ولا يقترب منها أيُّ غريب.

شعرت بالتلاعب من كلماتها تلك فقلت متسائلًا:

- وكيف يصبح لي ورث في تلك الحالة؟

وضعت يدها على كتفي وهمست لي قائلة:

- أنت سوف تكون زوجي ووالده.

ارتعبت من تلك الكلمات وتملكتني الدهشة لأجدها تضع يدها على قدمي وقالت لي في دلال:

- لن أنجب من عمك بل منك، فلقد علمت من الطبيب أن نسبة نجاح الإنجاب من عمك ضعيفة جدًّا ولكنها ليست مستحيلة وهذا ما سوف نستغله، تساعدني في إنجاب الولد الذي يُكتَب باسم عمك، ثم نقتله دون أن نترك خلفنا أيَّ دليل، وعندها نتزوج أنا وأنت ونتشارك التركة وننعم بها.

كانت فكرة شيطانية خرجت من تلاعب لسان أفعى تدعى قمر، ولكنها استطاعت أن تسيطر عليَّ لا أنكر ذلك، وبدأنا في تنفيذ الخطة، في إحدى الليالي استطاعت أن تضع دواءً منومًا لعمي، وبعد أن تأكدت أنه في سبات عميق جاءتني لتشاركني الفراش لإتمام أول خطوة بالفعل، وبالفعل نجحت أول خطوة وحملت قمر وطار عمي فرحًا وتفاخرًا بما أنجزه، أو هذا ما يعتقد هو ولا يعرف أنه إنجاز وتألُّق مني أنا، وبعد تسعة أشهر وقبل موعد ولادتها بأسبوع أخبرتني أنها افتعلت مشاجرة مع عمي وسوف تذهب لبيت عمتها حتى تضمن أن تلد هناك بعيدًا عنه، وإذا لم تلد ولدًا وأنجبت فتاة فسوف تلجأ لخطة بديلة

أنهت فصولها مع عمتها، فلقد أخبرتني أنها سوف تجد طريقة لتجلب ولدًا آخر بدل الفتاة وتزعم أنه المولود، فلقد عزمت أن تكمل خطتنا مهما حدث فلن يهدمها أو يعرقلها أي شيء، كان تفكيرها مخيفًا بحق لكنه كان يثيرني لأني كنت أبغض عمي وأراه يستحق ذلك، يكفيني حتى الآن أني حصلت على زوجته ولوثت شرفه في حياته وفي نفس البيت الذي ينام فيه، وسوف يُكتَب باسمه ولدٌ من علاقة شاذة كنت أنا الفاعل والمشرف على تنفيذها واكتمالها، وكان القدر في النهاية قد كتب أن تلد قمر ولدًا ولسنا مضطرين للخطة البديلة.

كان خبر معرفة عمي بأنه أنجب ولدًا كميلاد جديد له أصبح يقفز فرحًا وسعادة، ولكنه أنقلب عليَّ أكثر، أصبح يلعنني ويسبني ويعاملني بقسوة، حتى في يوم قرَّر أن يعلن عن نواياه التي أخبرتني عنها سابقًا قمر، وبدأ أولها بطردي من المنزل، خرجت طوعًا ولكن قبل أن أخرج من الباب وفي يدي حقيبتي نظرت لقمر نظرةً علَمتُ معناها جيدًا أنه حان وقت النهاية، وبالفعل بعد شهرٍ من ليلة طردي من المنزل جئت كما اتفقت مع قمر أني أريد أن أحضر لحظة قتلها لعمي، دخلت غرفة نومهما لأجده يصرخ شخيرًا من فرط النوم على أحد المقاعد، وذلك بسبب وضع قمر حبوب المنوم بالطعام وما إن تناوله حتى غاب في هذا السبات العميق، وفي تلك اللحظة هجمت علي قمر قفزًا لتقبِّلني قُبلة حارة ألهبتني وأصبحت أكثر عنفوانًا وبنشوة

عالية، ثم أخبرتني أن أنهي هذا الأمر وبالفعل أمسكت إحدى الوسائد من على الفراش ووقفت خلفه، ثم أمسكت الوسادة بكلتا يدي أمام وجهه ونظرت لقمر التي حمستني بعينيها، فسحبت يدي للخلف بقوة لتطبق الوسادة على وجه عمي الذي كان يحاول أن يتمسك بحياته العفنة، وهو يحاول أن يمسك يدي حتى يمنعها عما تفعله به، ولكني فوجئت بتقدم قمر نحوه وضغطت الوسادة من أمام كي تساعدني، نظرات عينيها لحظتها أخافتني جدًّا، كانت نظرات حانقة ملتهبة من الغضب تضغط على الوسادة بقوة وكأنها تريد أن تهشم وجهه.

بعد كل هذا أعلنت يداه الاستلام والرضوخ لقرارنا بإنهاء حياته، وبالصباح أدت قمر دورَها بفقدان زوجها الذي كانت تعشقه من صدمة وصراخ وبكاء ونحيب وأنين، وبعد شهرين أصبحت تمتلك كل شيء كوصية على ابن عمي؛ ولذلك طلبت في مقابلتها كي ننتقل لآخر خطوة في خطتنا، فقابلت قمر التي جاءت بوجه يحمل الكثير من الغرور والتعالي، تفاجأت يومها أنها تحاول أن تساومِني بالفتات من ميراثي وأن ما تم الاتفاق عليه سابقًا أصبح لاغيًا بالنسبة لها، وعندما رفضت أخبرتني أن بذلك لن أحصل على شيءٍ إما الفتات أو لا شيء، تركتها وأقسمت إني سوف أنتقم منها، وبالفعل علمت ما هو شكل انتقامي، إنقاذ روح بألا تتعذب مثلي من أجل المال، هذا الورث الملعون الذي كان سبب عذابي الفترة الأخيرة، ولذلك

قمت بخطف ابننا وذهبت لعيادة أحد الأطباء الفاسدين أو كما يُلقَّب نفسه بـ «الملاك» كي يشتريه منِّي ويقوم بتقسيمه كما يريد السوق، أعلم أنه ابني ولذلك فعلت ما فعلت، لم أتركه فكنت بجانبه حتى اطمأن قلبي أنه فارق الحياة اللعينة، تلك الحياة ليست عادلة لمن مثلي ومثله، لقد أنقذته من أن تتفنن الحياة في تعذيبه، ولكي أنتقم أيضًا من تلك الحية التي تدعى قمر، إذا لم تفُز بالحياة فلا تخسر الموت، أشعر أن ما فعلته بها سوف يدفعها للانتقام منِّي في وقت ما ولهذا أردت أن أدوِّن ما فعلت بها ليعلم الجميع الدافع وراء قتلها لي.

*في ليلة التي أنهيت فيها مأساة ابني قابلت بالعيادة شخصًا علمت من الملاك أنه صديق مقرَّب له، وكان يدعى عامر سمير، كانت شخصيته غريبة استطاع أن يسيطر على عقلي بأسلوبه الجذاب وكأنه يعرفني منذ زمن، وعندما أخبرته بما فعلته نولت اهتمامه وإعجابه وأثنى عليَّ ولم يستغرب قَطّ، وأخبرني أنه على مشارف تنفيذ خطة لتطبيق نظرية قد ابتدعها هو، نظرية سوف يعلن بها الثورة على المجتمع، سوف يعتذر فيها لمن لحقهم الأذى منه وعانوا بسببه، ولكنه اعتذار على طريقته الخاصة، وقد أقنعني بتلك النظرية وهذا الاعتذار المنفرد المثير، ولذلك قررت أن أشاركه في تلك الخطة وتحمست جدًّا وأن يكون دوري بها على عدة مراحل وقمت بدراستها معه بدقة واتفقنا على الألغاز معًا وأماكن وَضْعها وطُرق حلِّها، وكانت البداية

أن أخطف له شخصًا يدعى خالد بعد أن أخدِّره وأجلبه لإحدى الشقق، والتي تعرفت فيها على طبيب آخر يدعى عبد العظيم علمت أنه مثلي آمن بتلك النظرية وأراد أن يشارك في تطبيقها، ثم أمرني عامر بعد ذلك بخطف شخص آخر يدعى مراد ما إن أحضرته حتى أخبرني أن عليَّ أن أغادر المنزل حالًا، وفي صباح اليوم الثاني جلست بأحد المقاهي وتابعت فيديو البث المخيف الذي قام به عامر وبعدها بعدة ساعات ذهبت لقسم الشرطة حتى دخلت للضباط المكلفين بقضية مقتله لأخبرهم بأني أستطيع أن أحل الألغاز وأقنعهم بذلك، ولكني تفاجأت بأن الضابط محمود قرَّر حجزي عنده بالمكتب حتى أنتهي من حل جميع الألغاز، وعندما أرسلت لعامر رسالة بذلك أشاد بي وأكَّدَ أن هذا أفضل كي أنقل له كل خطوة لهؤلاء الضباط.

وفي يومٍ كنت أتلصص على الضابط محمود وعلمت بوجود طبيب التشريح الخاص بالقضية ويُدعى يحيى، فأرسلت لعامر ذلك وأخبرني أن أخرج سريعًا مقاطعًا وأفشي أمام يحيى أن استطعت حل لغز معين كنت اتفقت مع عامر عليه، وبعدها نشبت بيني وبين الضابط محمود مشاجرة خرجت بسببها من محبسي بأعجوبة، وعندما وصلت للمرآب القسم رأيت الطبيب يحيى هذا، فأخبرت عامر هاتفيًّا فقال لي لي أن أقترب منه وإذا سألني عن لغز الثعبان أن أخبره حينها بحله وكأنه لغزٌ معروف ومعلوم فكرته، لكن كان الطبيب حريصًا أكثر من اللازم أو غبيًّا، فلم يسألني

عليه حينها وبعد أن اكتشفت خداع الضابط المدعو حازم وتلاعبه بالحاسب الآلي لزميله محمود أخبرني عامر حينها أن أفشي سره لمحمود فقط، ولكن بعد أن أحل آخر لغز، وأن أختفي بعدها حتى إشعار آخر، وفي يوم الجلسة الأخيرة بالقضية أخبرني عامر أن أراقب يحيى وأحاول بأي شكل من الأشكال أن أتقرب منه، وبالفعل تم ذلك وحينها سألني يحيى عن اللغز وأخبرته بمفتاح الحل، وبعد ذلك بعدة ساعات هاتفني عامر وأخبرني أن أهاتف الدكتور عبد العظيم وأخبره بأن ينتقل للمرحلة الثانية من الخطة، والتي من المفترض أنها تخص اعتذاري الخاص لقمر وكيفية تنفيذه لأني كنت السبب في إيذائها بقتل ابننا، كما شاركته في الاعتذار مما تعرضوا للأذى بسببه وهذا كان اتفاقي مع عامر من البداية.

ولكني فوجئت في الفترة الأخيرة بأن تعامُل عامر قد تغيَّر معي وأصبح حاد الطباع كان يذكرني في معاملته معي بعمي الذي قتلته، كان يظن أنه سيدي وأنا عبد له، ولذلك قررت أن أراقبه وعلمت أنه يتواصل مع قمر في الفترة الأخيرة وعلى ما أعتقد أنهم يدبرون أن ينتهي مني ولذلك سوف أحتفظ بهذا الاعتراف بعد أن أضفت الجزء الأخير الخاص بعلاقتي بعامر دون عِلم به، فلقد كان الاتفاق أن يقتصر الاعتراف على جريمتي بقمر فقط، ولكني أردت أن أفضح سرهما، فأنا لست عبد السادي ولن أكون أبدًا، وفي النهاية أتمنى أن يتقبل الجميع

اعتذاري.

إمضاء

زياد جبر المكي»

***

انقلبت ملامح طارق متأثرًا بما قرأه، وضاق صدره من هذا التخطيط الشيطاني، ظلَّ يفكر في تلك النظرية اللعينة عن الاعتذار وكيف استطاع عامر أن يسيطر على عقل زياد ويقنعه بها ليكون أحدًا أتابعه بكل سهولة، وكيف ساعده في تطبيقها بهذا الشكل السادي؛ ولذلك طلب من محمود أن يتركه وحده مع هذا الملف يريد أن يقرأه بعناية أكثر ويعيد قراءة ملف القضية من جديد كي يجمع الخيوط أكثر، ولذلك استأذنه محمود وأخبره أنه سوف يكمل ما كانوا قد اتفقوا عليه وهي التحريات عن زياد والدكتور عبد العظيم.

وبالفعل ذهب محمود لمقر عمل زياد ومسكنه الذي استأجره زياد منذ فترة طولية قد أخبره صاحب العقار أن زياد كان يعيش وحيدًا لا يزوره أحد قط، وبقرار النيابة باقتحام مسكنه استطاع محمود أن يقوم بتفتيشه بعناية وقد تحفَّظ على بعض من أدواته الخاصة، وكان منها حاسبه الآلي المحمول، وقد قام بتسليمها للدكتورة سوسن كي يتم رفع البصمات من عليها ومقارنتها بالجثة الأخير حتى يتم التأكد من أنها تعود لزياد أم لشخص آخر، وقد أخبرته

أنها سوف تقوم بأقصى جهدٍ لديها كي تنهي التقارير المنتظرة منها، ولقد اقترحت عليه أنها من الممكن أن توافيه بالمعلومات التي تصل لها هاتفيًا قبل أن يستلم التقرير الكتابي بتلك المعلومات كي تساعده في صراعه مع الزمن في تلك القضية، ولقد رحب محمود بهذا الاقتراح وشكرها كثيرًا على مساعدته، وبعد يومين كان قد أنهى محمود التحريات عن زياد وقام بكتابة تقرير مفسر بذلك، وأضاف فيه تحريات عن العنوان الذي أدلت به المتهمات الثلاث أن تم استدراكهن له وخطفهن ليجد أنه قصر معروض للإيجار أو للبيع ولا يسكنه أحد منذ فترة كبيرة، صعد محمود ويحمل تقريرًا بما توصل له لمكتب طارق وطرق بابه، ودخل ليجده يقف بجوار النافذة شاردًا في حركة المارة يدخن لفافة تبغ، ما إن يراه حتى يطفئ لفافة التبغ في إطار النافذة ثم يلقي بها بالخارج، ويتقدم نحوه وهو يرحب به ويجلسه أمامه على المكتب ويجلس محمود أيضًا بعد أن أعطاه عدة أوراق، دقائق من القراءة ثم نظر لمحمود الذي بدأ في الحديث بجدية:

- من خلال التحريات التي أجريت عن زياد توصلنا أنه متغيب عن العمل منذ فترة طويلة، هذا بالإضافة لما عثرنا عليه بمقر سكنه مثل حاسبه المحمول وأشياء شخصية ومنها نستطيع أن نطابق بصمته مع بصمة الجثة، حتى نتأكد هل هي جثته أم لا؟ ومن المتوقع أن يفاجئنا الطب الشرعي بنتيجة تطابق بين الجثة الأخيرة وأحد الوجوه الثلاثة

المسلوخة.

قاطعه طارق:

- حضرتك نسيت معلومة مهمة، أن زياد يعمل مصممًا في نفس القناة التي تم قرصنتها وبث الفيديو الثاني عليها، ومن خلال الاعتراف الذي معي يثبت كم كان زياد شريكًا أساسيًّا في الجريمة من البداية، ومن الممكن يكون هو له يد في قرصنة القناة أو على أقل تقدير ساعد فيه، وهذا ما توصلت له فعلًا.

نظر له محمود مستغربًا آخر كلماته ثم سأله في فضول:

- إلى ماذا توصلت يا طارق باشا؟

أشار له طارق أن ينتظر قليلًا، وينده على حارس مكتبه الذي يدخل مسرعًا، وطلب منه أن يجلب له من غرفة الحجز مسجونًا ليلة أمس، حتى هرول للخارج بعد أن ألقى عليه التحية العسكرية، دقائق قليلة من الصمت وانتظار من طارق ومحمود ليدخل بعدها الحارس ومعه شاب في منتصف سن العشرين نحيف الجسد، ولكن الوجه أشد نحافة يكاد تستطيع أنفه أن تحمل عويناته الثقيلة يدخل بخطوات قريبة مترددة من الخوف، تركه الحارس في منتصف الغرفة وغادر بعد أن أشار له طارق بذلك، وبعد تفحص محمود له نظر لطارق بفضول منتظرًا الإجابة بعد كل هذا التشويق، فأخبره طارق أخيرًا وخرج عن صمته:

- منذ حدوث قرصنة القناة، وتم إذاعة البث الخاص

بعامر ورجال مباحث الإنترنت يعملون بأقصى طاقة لديهم، وبالطبع مدة البث الطويلة كانت لها ميزة في مساعدتهم على تحديد مصدر إشارة البث، وبعد أن أخبروني بهذا الإنجاز، كان أول قرار اتخذته عند وصولي موقع البث هو قطع التيار الكهربائي، ولكن ظلت هناك مشكلة لديهم أن هناك نسبة خداع بسيطة من المقرصن حتى يحمي نفسه، ولكن في نهاية المطاف استطاعوا أن يتوصلوا إليه، وبعد التحريات المكثفة توصلنا لهذه النتيجة التي تقف أمام حضرتك محمود باشا.

وهنا أشار نحو الشاب الذي يقف متخاذلًا منكسرًا ثم أردف حديثه:

- كريم أحمد البحيري مهندس تقني في قناة الأيام الإخبارية، نفس القناة التي تم قرصنتها وبث الفيديو منها.

وهنا توقف طارق وأشار بيده معتذرًا ثم أكمل:

- آسف، أقصد كان مهندسًا في القناة قبل أن يتم فصله بسبب تجسسه على أجهزة زميلاته وحساباتهم على مواقع التواصل والتحرش بهن، وهذا تسبب في ملء قلب الأستاذ بالضغينة وزاد حِسّه للانتقام، وكان عرض أستاذ زياد المغري كفرصة ذهبية لذلك حتى ينتقم إدارة القناة التعسفية هذا من وجهة نظره العفنة بالتأكيد، وكان الانتقام عبارة عن وقف بث القناة ببث بديل، والآن أصبح شريك جرائم قتل بسم الله ما شاء الله.

هنا قاطعه في يأس كريم وقال صارخًا في خوف:

- أقسم بالله لم أكن على عِلمٍ بماذا سوف يبث على القناة يا باشا، إذا كنت على عِلمٍ بأني سوف أُزج في جريمة قتل بهذا الشكل لم أكن أُفعلها مهما حدث، أنا كنت أظنه سوف يعرض أفلامًا إباحية أو صورًا ساخرة عن المسؤولين أو يخرج عليهم ويسبهم، شيء مثل هذا حتى يسبب لهم فضيحة كبيرة تجعلهم يخسرون الكثير من أموالهم، أنا بالفعل كنت السبب في قطع البث وقرصنة القناة، ولكن كان الاتفاق مع زياد الله يلعنه أن مصدر القرصنة هو حاسبي المحمول، وأربطه بجهاز آخر سوف يكون معه يمكنه أن يتولى وظيفة البث أو عرض فيديوهات مسجلة، جهازي لم يكن سوى جسر غشيم فقط يا باشا، أنا لا أعرف شيئًا وهو لم يخبرني بشيء، أنا المغفل الكبير في هذه الجريمة سيادتك.

كرر جملته الأخيرة وضرب رأسه نادمًا في حزن، فنظر له طارق وقال وهو غير مبالٍ بما يفعله:

- جسر أو مغفل هذا شيء لن يغير الحقيقة يا كريم أنك شريك في الجريمة، إلا إذا كان لديك معلومات جديدة عما قلته؟

أومأ كريم برأسه نافيًا حتى نادى طارق على حارس مكتبه وأمره أن يعود به لغرفة الحجز مرة أخرى، وبعد أن غادرا المكتب نظر طارق إلى محمود وقال له:

- هذا بالنسبة لي يا محمود دليل اتهام إلى زياد أقوى من الملف الذي أعطته لي آخر مرة بعد فك شفرته؛ لأن لا يوجد إثبات على ما وردَ فيه أنه اعتراف من زياد نفسه، ملف كُتب على الحاسب الآلي، اتهام ضعيف ومن الممكن أن تنكره قمر بسهولة، ويطعن فيه أصغر محامٍ.

ثم أشار نحو الباب وأردف بحدة:

- لكن هذا اعتراف رسمي يثبت شراكة زياد في الجريمة الثانية وليس الأولى.

محمود يفاجئ طارق بابتسامة ساخرة نوعًا ما أثارت غيظ طارق فقال منفعلًا:

- هل ترى في حديثي شيئًا مضحكًا؟

مدَّ محمود يده نحوه بعِدَّة أوراق وقال بفخرٍ:

- ولأني فهمت طريقة تفكير سيادتك كان يجب أن يكون معي مستند يثبت الجزء الناقص هذا، ما بين يدك هي صور لتصميمات الألغاز في الجريمة الأولى والثانية، تم العثور عليهم بداخل الحاسب الآلي الخاص بزياد بعد تفريغ مُحتوياته، وبهذا يعتبر لدينا إثبات على اشتراك زياد في الجريمة الأولى والثانية يا افندم.

لاحظ نظرات طارق الثائرة منه وأردف بثقة:

- أما عن حقيقة الجريمة التي تخص مقتل عم زياد واشتراك قمر فيها من عدمه، أنا أقترح على سِيادتك أن

نطلب من النيابة إذًا بتشريح جثة عمه للتعرف على أسباب الوفاة الحقيقية، وحينها نستطيع أن نغلق ملف قمر سواء بالاشتراك أو الدافع، وهذا يجعلنا نكمل التحريات خلف عبد العظيم وديجا لأننا من خلالهم سوف نكمل الأجزاء الناقصة للجَريمتين والرابط بينهم.

نهض نحو اللوحة المعلَّقة وقال في غيظ:

- أما الأخ عامر فأنا أشعر أن نهايته اقتربت جدًّا.

استدار نحو طارق وأكمل:

- سوف أستأذن سيادتك أن أغادر الآن لأني سوف أقابل فريدة ابنة الدكتور عبد العظيم ووالدتها في منزله بعد نصف ساعة، هل تأمرني بشيء يا افندم؟

ووقف محمود منتصبًا ونظر لطارق منتظرًا رده، فأجابه الآخر وهو ينظر إلى الأوراق التي أمامه مدعيًا الانشغال:

- لا تفضل أنت، أنا لدي أيضًا زيارة لمنزل التي تدعى ديجا، لأن التحريات أثبتت أنها متغيبة منذ فترة طويلة عن مقر عملها، حتى والدتها لا تعرف عنها شيئًا منذ سنوات، فيجب أن أتابع هذا الأمر بنفسي، أذهب أنت وإذا توصلت إلى شيء أخبرني.

- تمام يا افندم.

قال محمود كلماته وانصرف متجهًا لمنزل عبد العظيم لمقابلة أسرته الصغيرة، وبالفعل وصل وقابل ابنته فريدة

للمرة الثانية وتُعرِّفه على والدتها وبدأ في سؤالهما عن حياة عبد العظيم في الفترة الأخيرة وهل لاحظوا أي تغير أو أسلوب متطور في سلوكه اليومي؟ ولكن بعد حديث طويل جَاءت ملاحظة زوجة عبد العظيم والتي أثارت فضول محمود عندما أجابته:

- عبد العظيم في المُجمل إنسان طيب ويحب كل من حوله، لكنه به عيب غريب جدًّا، يكره أي شخص كبير في السن، كان يكره والدي جدًّا ويتعامل معه بأسلوب حاد، رغم أن في بداية زواجنا كان يحبه جدا ولكن بعد خمسة عشر عامًا من زواجنا وتبدلت معاملته معه حتى كان يفتعل المشاكل معه، لكن يوم وفاته كان أكثر الحاضرين حزنًا، وبعد ذلك لاحظت هذا الأمر مع أي شخص كبير في سن يتعامل معه.

نظرت إلى فريدة بخجل ثم أردفت حديثها:

- ومنذ عامين في يوم عيد ميلاد عبد العظيم الخمسين، وقررنا أن نُفاجئه بكعكة عيد الميلاد، يومها صرخ فينا وصاح بعصبية وغاب عن المنزل يومين، ومن يومها لا يقف أمام المِرآة أبدًا، وأنا لم أرِد أن أعطي حجمًا كبيرًا لهذا الأمر، لأني كنت أرى معاملته الجيدة مع فريدة والوضع المنتظم لعمله وهذان كانا بالنسبة لي أهم شيء، لكن غيابه هذه المرة طال على غير العادة، وهذا ليس الوضع العادي لعبد العظيم، وفكرة أنه توفى أو ما ذكرته لي فريدة على ما حدث في وجهه...

ما إن قالت كلماتها الأخيرة حتى انفجرت بالبكاء فنهضت فريدة لتهدِّئ منها ووجد محمود الأفضل له أن ينصرف، فنهض مستأذنًا وقال لفريدة إنه سوف يبذل أقصى جهده في الوصول للحقيقة، ولكن ما إن يغادر المنزل وهو في طريقه لسيارته حتى تفاجأ برنين هاتفه بمكالمة قادمة من طارق فتح المكالمة وردَّ عليه ولكن ما سمعه جعله يردِّده متسائلًا:

- عثرت على جثة ديجا؟! أرسل لي العنوان وأنا قادم إلى معاليك حالًا.

***

وصل محمود لعنوان مسكن ديجا كما أشارت له إحداثيات الموقع على هاتفه، والتي أرسلها له طارق ليجد أن العقار بالداخل اكتظ برجال الشرطة، أما خارجه فكان مزدحمًا بالأهالي الفضوليين بسبب أنه يقع أمام محطة حافلات نقل رئيسية، وتجمُّع رجال الشرطة في أي منطقة شيء طبيعي أن يثير فضولهم في أي وقت وفي أي مكان. صعد محمود الدرج حتى وصل للشقة التي امتلأت برجال البحث الجنائي والطب الشرعي، وعلى باب إحدى الغرف وقف طارق واضعًا كمامة على فمه وأشار له أن يتقدم نحوه وهو يمد له بكمامة أخرى حتى يرتديها قبل أن يدخل الغرفة، وبالفعل ما إن اقترب من تلك الغرفة حتى زادت رائحة التعفن النافرة، فأسرع بارتداء الكمامة وهنا قال

طارق له:

- ما إن وصلت وطرقت الباب ولم يرد عليَّ أحد هذا مما دفعني لكي أكسر الباب وأدخل عنوة، وتفاجأت بأنَّ هذه الغرفة مغلقة وعلى عتبة الباب لاحظت وجود قطعة قماش فهمت أن الغرض منها منع تسرب شيء من الداخل، فكسرت مقبض الباب ودخلت أنا والرجال لنتفاجأ بهذه الرائحة المُنفِّرة، ولم نستطع أن نفتح النافذة إلا بحضور الطب الشرعي والتأكد من خلوها من أي آثار جنائية مثل الاقتحام أو البصمات، ما إن أعطونا الإشارة بأنها نظيفة حتى فتحنا كي نستطيع أن نتنفس، تعالَ خلفي سوف أريك شيئًا.

دخل طارق الغرفة وتبعه محمود للداخل ليجد أمامه جثة منتفخة ترتدي ملابس نسائية ملقاة على الفراش في منتصف الغرفة، جثة قد سلخ منها وجهها، دنا منها أكثر ليلاحظ أن في يديها اليمنى يوجد هاتف محمول وفي اليد اليسرى شيء زاد فضول محمود كثيرًا، مما جعله يدنو من الجثة أكثر ليتأكد مما يراه، فلاحظ طارق لَمعة في عينيه وباغته بِسؤاله:

- هل عرفت أن تحل هذا اللغز؟

أومأ محمود برأسه نافيًا ليرى ابتسامة ساخرة من طارق، ما إن رآها حتى قال له صادمًا إياه:

- لم أستطع حل اللغز لأنه ليس كاملًا بعد.

رأى محمود في عين طارق الحنق وهو يشير لأحد رجال البحث الجنائي أن يحضروا له قفازًا طبيًّا، وبالفعل جلبوه إلى محمود وارتداه وتقدم وسحب الصورة التي كانت أسفل اليد، وفحصها جيدًا ليجدها صورة لرجل غربي الملامح في العقد الخامس من العمر، شعره أسود قصير يمتاز بشارب رمادي اللون كبير منمق بعناية ومدبب طرفاه وكأنهما قرنان لوحيد القرن قد التصقا ببعضهما ليرسما هذا الشارب.

ما إن رآه حتى ارتفع حاجباه اندهاشًا، ثم قلب ظهر الصورة لتظهر عليه علامات الصدمة، فشرد قليلًا وكأنه يتذكر شيئًا، وفي تلك اللحظة أخرج مدونته ونقل ما كتب خلف الصورة ليجد طارق واقفًا أمامه ناظرًا له بغضب قائلًا:

- هل سوف أنتظرك كثيرًا، ماذا تفعل، ولِمَن تعود هذه الصورة؟

نظر محمود إلى الصورة وقال في حيرة:

- هذه صورة للسير آرثر كونان دويل كاتب أسكتلندي مؤلف سلسلة الروايات البوليسية الشهيرة لِلمحقق العبقري شارلوك هولمز، لكن المشكلة ليست في الصورة، الصورة ليست مجرد سوى مفتاح اللغز، اللغز خلف هذا.

قلب محمود الصورة لتظهر جملة كتبت بالخلف باللون الأسود نصها «المرأة التي كشفت خطتي»، شرد محمود مفكرًا ثم أردف وهو يتذكر شيئًا ما:

- هذه الجملة ترن في أذني، إنها مقولة من إحدى رواياته على لسان البطل بالتأكيد، وهذا يعني أن ما حدث المرة السابقة سوف يعاد مرة أخرى، جثة وهاتف جوال ولغز، وحل اللغز كلمة السر لملفٍ مشفر فيه تعترف الجثة وتكشف جريمة جديدة، أو دافعًا يثبت التهمة على الشخص المرتبط بالجثة وكان يرتدي الوجه المسلوخ والذي من المفترض أن تكون عبير.

نظر له طارق بكثير من الريبة، ولكن حاول أن يخفي ذلك بقوله:

- عندما ينهي رجال البحث الجنائي عملهم يمكنك أخذ الهاتف وتسليمه للقسم المختص وتسلم تفريغ الهاتف وأن تفكر في حل اللغز كعادتك، ولو وصلت لشيء أخبرني به غدًا في مكتبي.

لم ترح كلمات محمود تلك طارق، ولكنها لم تنحرف

عما يريده، ولذلك أطاعه فيما طلبه وذهب بالفعل لمقر البحث الجنائي وسلمهم الهاتف وأخبرهم أنه يريد تفريغ محتوى الهاتف بأسرع وقت، ولكن تلك المرة لم ينتظرهم بالخارج بل أسرع لمنزله وأخرج صندوق به جميع روايات شارلوك هولمز التي يحتفظ بها منذ الصغر فهو من عشاق الروايات البوليسية وأدب الجريمة، وبدأ يتصفحها واحدة تلو الأخرى، وأثناء بحثه هذا جاءته مكالمة من سوسن فردَّ عليها لتخبره بأن نتائج مقارنة البصمات بين بصمات زياد على أدواته الشخصية وبصمات الجثة الأخيرة التي عثروا عليها في بيت جده أدت لنتائج إيجابية وتماثل كبير، وأضافت أن وجهًا من الوجوه المسلوخة الثلاثة تطابق مع الجزء المسلوخ من الجثة لتكون أول جثة مكتملة منهم وتعود إلى «زياد جبر المكي»، وسوف تنهي التقرير بكل تلك النتائج غدًا صباحًا إذا أراد أن يمر عليها كي يستلمه إذا رغب في ذلك، ولكنها أرادت أن تخبره بما توصلت له أول بأول كما وعدته على أن يكون هذا سرًا بينهما.

أغلق المكالمة بنشوة السعادة وكأن القضية تسير كما يريد، عاد ليكمل بحثه في سلسلة شارلوك هولمز لينتصر عليه النوم رغم محاولات كثيرة منه للتغلب عليه، فيغيب في سبات عميق لينهض قبل الظهر بساعة صارخًا:

- بوهيميا.

قالها وبدأ في البحث في الروايات مرة أخرى حتى توقف عند واحدة ونظر لها بفرحة وبدأ يقلب صفحاتها متصفحًا

إياه حتى وصل لصفحة منها وقال بثقة مبتسمًا:

- المرأة التي كشفت خطتي.

قال تلك الجملة وأمسك بالرواية ووضعها بجيبه ثم غادر المنزل سريعًا، وبعد ساعتين كان يطرق على باب طارق يأذن الأخير له بالدخول، دخل وهو محمَّل بعدة أوراق فنظر له طارق وقال بنبرة ساخرة:

- يتضح من مظهرك هذا وهذا الكم من الورق أنك توصَّلت لحل اللغز.

جلس محمود أمامه ومدَّ يده ببعض الورق مبتسمًا:

- لا، سوف أترك اللغز آخر شيء، معي تقرير الطب الشرعي بخصوص جثة زياد.

أشار له بأنه غير مبالٍ به وردَّد:

- أمر البصمات وتطابق وجه زياد مع جثته، كل هذا عرفته من الدكتور ثروت صباحًا، دعنا نُركز في الجديد الذي معك أنت فقط.

شعر محمود باستهزاء طارق به في آخر كلماته، ولذلك أجابه بثقة:

- هو سوف يكون معي وعند أي شخص مهووس بالقصص البوليسية، ومن أجل هذا أنا سمعت كلام معاليك وسلمت الهاتف وعُدت للمنزل وبحثت في كل روايات شارلوك هولمز حتى وصلت أن الجملة التي كُتبَت

على ظهر صورة أرثر كونان، هي جملة من العدد الأول من سلسلة شارلوك هولمز كانت باسم «فضيحة في بوهيميا» قالها البطل شارلوك بعد ما استطاعت المجرمة في الرواية أن تكشفه، وهي تعتبر الوحيدة التي استطاعت أن تكشف خطة وضعها شارلوك هولمز في رواياته وكان اسمها «أيرين أدلر»، واسمها هو حل اللغز الذي استطعنا أن نفتح به الملف الوحيد الموجود على الهاتف، والذي يجب أن يوضح الصورة أكثر، تفضل حضرتك.

مدَّ محمود يده بعدة أوراق ليأخذها طارق منه وبدأ في قراءتها والتي كانت بعنوان «عبير».

عبير

كان ما بيني وبين عبير أكثر من ارتباط الأخوة، شيء تخطى صلة الدم والصداقة بآلاف الأميال، وكان ما يميزني عنها في تلك العلاقة أنها كانت مِرآة أحلامي، كنت أرى فيها كل ما أشتهيه من ملابس وألعاب وحلوى وحب، كانت تملك كل شيء وأنا لا شيء، وكان سبب هذا الارتباط هو صداقة أمي بوالدتها منذ الصغر أيضًا، وذلك لأن جدتي كانت مربية والدتها، فتطورت الصدقة والإحسان مع مرور الزمن لصداقة، مع الحفاظ على الفارق الزمني لسعر البشر، فأنا لا أسوى عندها سعر فردة حذاء ضاق عليها، كنت قريبة منها لأني أشعر بالحياة حتى من أقل الأشياء فجلوسي بجانبها فقط كان يكفيني، لأني سوف أستنشق عبير عطرها الفواح وهو يتطاير من حولي،

ولذلك كنت دائمًا بجانبها حتى طلبت مِنّي ونحن في سن المراهقة الصغيرة أن أزين وجهها بأدوات التجميل، ما إن أمسكت قلم الكحل حتى شعرت أني أريد أن أفقع لها عينيها به، فأتميز عنها بأي شيء حتى لو بعينين اثنتين، ولكني شعرت أنه ليس وقت التميز عنها، سوف يحين وقته حتى إن غاب مليًا ولقد آمنت بهذا كثيرًا، ما إن انتهيت منها ورأت نفسها فأشادت بي وللمستي المتميزة، وارتفع شأني عندها حتى نلتُ شرف أن أكون مسؤولة التجميل عنها، وعليها استغلت الفرصة أمي وزجت بي بأحد الصالونات النسائية كي أتدرب أكثر وأتقن تلك المهنة وأدخل لها ما تريده من مال لأن هذا هو الأهم عند أمي في كل حال، أما عن التعليم فكان من ضمن الأولويات السفلى لأمي، رغم عشقي للأدب العربي واللغة العربية، لكن لا شفيع أمام الحاجة والفقر.

وبعد فترة قصيرة بالصالون استطعت أن أثبت موهبتي وأتقنت تلك المهنة، مما دفع عبير أن تقنع والدتي أن أسافر معها دبي كي تحضر بعض الحفلات الغنائية وبعض المهرجانات الفنية المختلفة، وسوف تكون مدة تلك الرحلة ثلاثة أشهر، وكان غرض عبير من ذلك أن أحافظ على مظهرها في كل الأوقات وأحافظ على وظيفتي كمسؤولة التجميل لها، وبداخل الفندق الذي نزلنا فيه بدبي علمت أنه يعلن عن بدء دورة تدريبية في التزيين والتجميل النسائي على مستوى عالٍ من التدريب، اشتركت بكل ما

كنت أُخصصه لتلك الرحلة من مصروفات، كنت أخبر عبير أني سوف أتجول في المدينة ولم أخبرها قَط بما كنت أفعله، انتهت الدورة قبل سَفرنا بأسبوع وتسلمت شهادة تميُّز بها، وبعد أن عدنا إلى مصر ذهبت لأكبر الصالونات النسائية والمخصَّص للفنانين ومشاهير البلد، وتقدمت بطلب الوظيفة، وعندما قاموا باختباري تأكدوا من تميزي رغم سني الصغير، وبعد عدة أعوام في تلك المهنة طلبتني إحدى الفنانات لأكون مسؤولة التجميل عنها في أحد أفلامها، ومنها تطور معي ذلك وأصبحت أشارك في بعض الأفلام والمسلسلات كـ «ماكير» وأصبح اسمي الماكير ديجا في الوسط الفني.

حتى جاء يوم ودعتني عبير لحفلة عيد ميلادها وطلبت مني أن آتي باكرًا لتزيينها، فلقد انقطعت عنها متعمدة فترة طويلة بسبب انشغالي بعملي، وهي كانت في وهج تألقها بعد أن أنهت دراستها الجامعية، لَبيت طلبها وجئت باكرًا وأعددتها لتكون أميرة الحفل، ولكن لم أنسَ نفسي فلقد أصبح سعري في سوق البشر أعلى قليلًا عن السابق، ولذلك كنت أرتدي فستانًا أنيقًا ينافسها دون شك، شعرت أنها أولى جولاتي لأعلن فيها انتصاري عليها، لكن في تلك الحفلة جاءت حتى تفاجئني بصديقها الجديد يحيى أو الطبيب يحيى، ولقد أخبرتني أنها تعرَّفَت عليه في إحدى الرحلات الجامعية وهو صديقها بالنادي الرياضي أيضًا، كان لديه عينان صافيتان جذابتان بشكل لا يوصف،

له ابتسامة رقيقة تنير وجهه وكأن كل عضلات وجهه تسعد مع تلك الابتسامة، أثارني بشكلٍ كبير وشعرت أن هناك أشياء كثيرة بداخلي تتطاير نحوه، ولكن عندما رأيته يمسك يديها برقة ويقبلها، انفجر بداخلي بركان وشعرت بهزيمتي السريعة، ولكن لم يكن هذا آخر المآل بالنسبة لي، فلقد أقسمت يومها إنه لن يكون لها مهما فعلت، إنه لي أنا فقط.

كنت أراقبها من بعيد، وبإحدى زياراتي للنادي الذي أصبحتُ مشتركة فيه مثلها لاحظت محاولة شاب يدعى وليد التقرب منها ولكنها تمنَّع عنه، وفي يوم من الأيام دعوتها لزيارة شقتي الصغيرة الجديدة التي أعلنت بها الاستقلال بحياتي عن أسرتي الكريهة وأمي المستغلة لي منذ عدة سنوات، وأثناء حديثها سألتها عن وليد هذا، فأخبرتني أنه يحاول التقرب منها بشتى الطرق، ولكنها تبغضه وترى يحيى أفضل منه بكثير رغم أنه ليس من عائلة عالية الثراء مثل عائلة وليد، كنت أنا حينها أسجِّل لها هذا الحديث دون علمها، وقابلت وليد وأخبرته بكل شيء وجعلته ينصت لأجزاء من حديثها المسجل معي، وقرَّر أنه سوف ينتقم منها وسوف يقتل يحيى، فلا أحد يأخذ منه شيئًا يرغب هو فيه، ولأني أريد الحصول على يحيى أبعدت تلك الفكرة الصبيانية عنه، وأخبرته بخطتي وحفظَها هو عن ظهر قلب، وجاء اليوم الذي سوف ننفذ فيه الخطة، ودعوت عبير عندي بالمنزل وجاءت وهي منهارة نفسية،

فلقد قام وليد بمضايقتها كثيرًا بالنادي، وهي لا تريد أن تخبر يحيى بأمره، فيشتعل غضبه ويتهور مع وليد الذي أحطّ منه شأنًا ومن الممكن أن يؤذي يحيى في النهاية، مما جعلني أحضر لها مشروبًا يهدئ من روعها قليلًا، وأثناء حديثي تفاجأنا بجرس الباب يرن، فذهبت لأفتحه لأتفاجأ بمهاجمة وليد لي ودفعي من أمامه فأقع مغشيًا عليَّ، وتحاول عبير أن تنقذني منه ولكنها تشعر بالدوار وتترنح في خطواتها وتقع هي الأخرى أرضًا بسبب مشروبي اللذيذ، وما إن اتأكد من غياب وعيها، فأنهض وأشير لوليد أن يحملها لغرفة النوم ويقوم بما يريده ويشتهيه منها وسلمته كاميرا صغيرة وأخبرته أن يصورها، وبعد أن انتهى سلمني الكاميرا وغادر منتصرًا، خبأت الكاميرا، وقبل أن تستعيد وعيها عدت بجوار الباب مرة أخرى وضربت رأسي بزهرية فخارية ونمت أرضًا بجانب دمي.

وبعد أن فاقت عبير ووعت ما حدث لها، خرجت صارخة باكية لتجدني أؤدي دوري بنجاح فحاولت أن تسعفني حتى أفقت، وأخبرتها أنني حاولت أن أمنعه لكنه هشم رأسي بتلك الزهرية فلم أشعر بشيء حتى أفاقتني هي، وقصت لي ما فعله بها وليد الحقير وظلت تسبه وتلعن دناءته، وكيف سوف تتزوج يحيى هكذا، فلقد جلبت العار لعائلة والدها العريقة، ومن ينقذها ويخبرها ماذا تفعل سواي، حاولت تهدئتها ولكنها لم تستمتع لي كانت لحظات انكسار لن تمحى من ذاكرتي أبدًا، أخيرًا

رأيت لحظات ضعف أكون أن فيها الأقوى أنا المتميزة، كم هذا الشعور جميل ومميز وممتع أن نتلذذ بعذاب أحد، عذاب طال تمنيك له، كانت الصدمة شديدة عليها أحبطتها نفسيًّا كثيرًا، وانعزلت عن الجميع حتى عن يحيي نفسه بعد محاولات عدة فاشلة للوصول أو للتواصل معها، وهذا ما قاله لي يحيي بنفسه عندما تعمدت أن أذهب للمطعم الذي يفضل الذهاب إليه وكأنها صدفة مُدبَّرة منِّي، ما أن لمحني حتى توجه نحوي مباشرة وقصَّ لي ما يحدث من عبير من تجاهل متعمَّد منها في الفترة الأخيرة دون أن يعرف سببًا محددًا لذلك، فلقد أقسم لي إنه يحبها ويعاملها أفضل معاملة، كم كنت أريد أن أطعنه بالسكين الذي كان في يدي أقطع به قطعة اللحم وأنا أسمع تلك الكلمات منه، ولكني التزمت بالخطة الموضوعة وواسيته، ولمحت له عن وليد الذي يحاول التقرب منها منذ فترة ليست بقليلة، ولكن بعد أن تعهد لي ألا يفشي هذا السر لها، كم كان ساذجًا هذا العاشق.

وفي تلك الليلة هاتفتني عبير وهي في حالة انهيار تام، وأخبرتني أنها تفاجأت بأن والدها يخبرها أن هناك شخصًا يدعى وليد ينتظرها بالصالون، كان وقع الصدمة على أذنيها شديدًا ولم تستطع أن تنطق شيئًا، فأعاد والدها تسأله مرتين هل سوف تقابله أم يعتذر له، فأجابته في النهاية بأنها أومأت برأسها إيجابًا، وخرجت لتقابله ليخبرها أنه فعل ما فعل في لحظة تهوُّر واندفاع، وأنه يريد أن يتزوجها

بشكل رسمي حتى يصحح ما أفسده بشهوته القذرة، وعندما سألتها عن ردها عليه فقالت إنها رفضت بالطبع أن ترضخ له، ولكنه كان مستعدًا بخطة بديلة في إقناعها وهو أنه أظهر لها صورة تجمعه معها في الفراش عاريي الجسد، وهدَّدها بأنه إذا لم تهاتفه غدًا بالموافقة على الزواج، فلتستعد لفضيحة لن ينتهي صداها عند حد معين، وتركها وغادر تلملم شتات روحها الذابلة، وكان ردي عليها أني دفعتها بأن تقبِّل بتلك الزيجة وأقنعتها بأن لا يوجد مفر من هذا المصير، إما الزواج أو الفضيحة لعائلتها الكبيرة، كانت ليلتي معها طويلة في الإقناع حتى رأت أنه فعلًا خير الأمرّين، وهاتفت وليد فجرًا وأخبرته بالموافقة على أن يكون هذا سريعًا كما أقنعتها حتى تستر فضيحتها باكرًا، وبعد أقل من أسبوع تزوجت عبير من وليد وكنت أنا من زف هذا الخبر السعيد ليحيي وتلذذت بتعذيبه يومها، وتعمدت نقل صورة سعادة عبير بزفافها بشكل لا يوصف، كان تأثير الصدمة عليه كبير وزاد من ذلك أكثر رفع أعمامه عليه قضايا تخص الورث والتركة، فشعر وكأنه بلا هوية أو مخزى من تلك الدنيا، مما جعله دخل في حالة اكتئاب حاد وحاول الانتحار عدة مرات بالمصحة النفسية، وكنت أنا بجواره طوال تلك الفترة الصعبة، وهذا جعلني أتقرب من والدته أكثر والتي تحمست لكي أكون زوجة ابنها المستقبلية ودعمت ذلك بكل الطرق فيما بعد.

وبعد ستة أشهر من العلاج مروا على يحيي بالمصحة

النفسية، كانت عبير تعيش حياة بائسة مع وليد الذي ضاق صدره منها وجاء لي طالبًا أن ينهي تلك اللعبة فلقد ملَّ منها كثيرًا، منتظرًا مني أن أطلعه على الخطوة الأخيرة من تلك الخطة كما وعدته منذ البداية، فلقد وعدته عندما تنتهي لذته منها ويريد أن يتملص من تلك الورطة أن يخبرني وحينها سوف أخبره ماذا يفعل، وكانت الخطوة الأخيرة هي عدة صور قد التقطت لعبير بعد أن غادر وليد من فعلته وسلمني الكاميرا، ليأتي صديق لي يدعى «حبشي» لأسلم جسد عبير للمرة الثانية له، كي يستمتع بها بدون أن يدفع شيئًا مقابل أن يصور نفسه معها بأوضاع مخلة ويسلمني الكاميرا ويغادر، بالطبع لم أخبر وليد كيف حدث ذلك، ولكنه ما إن شاهد الصور فقط حتى استشاط غضبًا وثار فيَّ، وكاد أن يخنقني بيديه متسائلًا عن نسب الابن الذي تحمله عبير في رحمها ولأي أب يعود، ولكني استطعت أن أهديه وأخبرته كيف ينتهي من كل هذا في خطوة واحدة دون أن يفضح أو يحمل وسم العار طيلة حياته بزوجة خائنة عاهرة لا تؤتمن على عرض وشرف عائلة كبيرة مثل عائلته، فكان يجب أن يخرج من تلك الزيجة بأقل الخسائر الممكنة.

وكانت الخطة أن يعطي لعبير دواء معينًا في أحد العصائر سوف يساعد على إجهاضها بشكل سريع، ولكن يجب أن يفتعل أي شجار بعد تناولها هذا الدواء ليكون أمام الناس هو السبب الرئيسي في هذا الإجهاض، ومن بعده

يعلن طلاقه منها بسبب رغبته في أنه كان يحلم أن يُكلل زواجهما بطفل ولكنها أفسدت ذلك، ولقد قمت بزيارتها بالمستشفى ولكن لم تدرك زيارتي لها لأني كنت أقف من بعيد أراقبها، أراقب انكسارها وضعفها لكي أشبع رغبتي في التلذذ بهذا الإحساس الممتع، دخلَتْ هي بعدها في حالة عزلة طويلة ولم أعلم عنها شيئًا، أشعر أن ما فعلته بها سوف يدفعها للانتقام مِنّي في وقت ما ولهذا أردت أن أدوِّن ما فعلت بها ليعلم الجميع الدافع وراء قتلها لي.

*دخل يحيي في مرحلة الشفاء وبدأ الوضع يتحسن بيني وبينه بشكلٍ أفضل حتى إن الطبيب المعالج له قد كتب قرار الخروج له من المصحة على أن يكمل فترة العلاج بالمنزل، ولكن كنت في تلك الفترة أواجه شيئًا بغيضًا يدعى حبشي كان يلح عليَّ أن يكرر ما فعله مع فتاة أخرى من اختياري، ولكني أخبرته أن الموضوع انتهى وليس هناك المزيد من ذلك، وطال الشجار بيني وبينه في محل عمله وهو ملهى ليلي يعمل فيه حارس أمن، حتى جاءت فتاة ليل تَدّعي أنها أخته تُدعى سمسمة، ويرافقها رجل غريب يدعى عامر سمير، حاول أن يهدِّئ فيما بيننا وقدَّم لنا زجاجتين من الخمر، وبسبب انفعالي وافقت دعوته، وبدأت في الشرب بشراهة حتى بدأ عقلي يغيب ويعود، وبغبائي اعترفت بكل ما فعلته أمام هذا الغريب الذي لم يشرب على الأرجح سوى كأس واحد، أما سمسمة وحبشي كانا نائمين بجانبي على الطاولة من كثرة شربهما

للخمر، ويومها وصلني عامر لمنزلي وبات ليلته معي، وفي الصباح أخبرني أنه معجب بفكري وتخطيطي المميز كما يقول، وأنه بصدد تنفيذ خطة لتطبيق نظرية من ابتكاره عن الاعتذار المميز بشكل يثير الغرائز، لا أعرف كيف أقنعني ولكنه كان يمتلك أسلوبًا في الإقناع مميزًا جدًا لا أستطيع أن أنكره، ولقد فاجأني بأنه سوف يثبت لي هل يحي يحبني حقًّا أم لا؟ ولكن يجب أن يطبق نظريته عليه أولًا، وعندما علم بأن والدة يحي كلفتني بأن أقوم بإعادة تجهيز منزل جده مرة أخرى، ليكون منزل الزوجية لنا على ذوقي حتى نعجل من قرار الزواج، ونستغل تحسن يحي بشكل إيجابي، فأخبرني عامر حينها أنه يستطيع أن ينهي تجهيزات الشقة بالكامل بأقل من أي مقاول تواصلت معه، وبالفعل صدق في وعده وأنهى كل شيء في وقت قياسي، وجاء يوم وأخبرني أن موعد بدء الخطة قد حان، وكان دوري فيها بسيطًا وهو أن اذهب لإحدى الشقق وأقوم بعمل تعديل في وجهه وهيأته بأدوات التجميل، حتى يشبه جثة رجل ملقاة بجانبه على الفراش، جثة تم طعنها خمس طعنات وعلى ما أظن أن حدث ذلك قبل أن آتي لتلك الشقة بعدة دقائق، وبالفعل جعلته نسخة منه ولكن أخبرته أن يستخدم زوايا تصوير محددة لا تكشف هذا الخداع.

وفي اليوم الثاني أخبرني أن أذهب لمنزل يحي وأخرجه منه بأي شكلٍ، وأعطاني رقم شخص يُدعى عبد العظيم

علمت بعد ذلك أنه طبيب كبير، أخبرني قبل أن يصل يحيى لسيارته أن أرسل لهذا الرقم كلمة «ابدأ» وبالفعل قمت بذلك ليأتي اتصالٌ ليحيى قرَّر من بعده أن يذهب لمقر عمله على وجه السرعة، وبالفعل ذهبنا معًا ودخل مكتب هذا الطبيب وبعد مرور عشر دقائق قمت بالاتصال بيحيى كما اتفق عامر معي وإذا لم يرد مكالمتي أغادر فورًا المستشفى، ثم أقوم بالاتصال بالطبيب ولا أتحدث معه، أتركه يتكلم حتى ينهي المكالمة، وهذا ما حدث بالفعل.

كان يحيى الفترة التي تلت تلك الواقعة يبتعد عني شيئًا فشيئًا، وهذا جعلني متوترة بعض الشيء، وأشعر أن هذا الوغد الذي يدعى عامر كان محقًا، فلقد كان يحيى يتنصل منِّي كل فترة أكثر وأكثر، حتى جاء عامر لي في المنزل وأخبرني أن الوقت قد حان لأتأكد من شكوكي وأخبرني أن أستعد غدًا في وقت محدد سوف يخبرني بماذا أفعل، وبالفعل باكرًا هاتفني وأخبرني أن أهاتف يحيى فورًا، وأخبره أني ذاهبة لمحل الأثاث والموبيليا لكي نختار منها غرف منزلنا، وأنتظره نصف ساعة هناك وبعدها أرسل له إحداثيات المكان الذي يخص محل الأثاث والموبيليا، إذا جاء فهو يحبني وإذا لم يأتِ فهو لا، ولذلك سألني عامر هل يستحق العقاب لذلك، فأخبرته أنه إذا فعل ذلك فهو يستحق أن يُحرق حيًا، وبالفعل لم يأتِ الحيوان لي وصدق اللعين عامر، وبعد ذلك علمت بوفاته محروقًا في شقة جِده التي كلفتها تجهيزات وإصلاحات من نفقتي الخاصة لذلك

الحيوان الذي لم يستحق سوى أن يتفحم جسده البالي حرقًا.

ولكن بعد ذلك كنت أنتظر المرحلة الثانية من خطة عامر، وهي تطبيق نظريته في الاعتذار من عبير كما اتفق معي منذ البداية، شعرت أنه يتعامل معي وكأنه من يحدد خطوات حياتي وأنا لا أترك أحدًا يسيطر على حياتي، فلا أحد سيد عليَّ سواي أنا فقط، وبالفعل جاء لي شخص يُدعى زياد من أعوان عامر وأخبرني أن عامر يخطط لشيء غير معلوم ولكنه شرٌّ في كل الأحوال، ولقد علم أنه يتواصل في الفترة الأخيرة مع عبير وبالتأكيد عامر أخبرها بكل ما فعلته معها، ولذلك نصحني زياد هذا أن أضيف الجزء الخاص في مَلفي بعد أن يُراجعه عامر وأسلمه لزياد المُكلَّف منه بتشفير الملفات، لا أعرف كيف يفعل ذلك ولا يشغل بالي من الأساس، ولكنه شيء احترازي من ألاعيب عامر، فإن صدق عامر وكذب زياد فأنا لا أطيق عامر وأريد الخلاص منه على كل حالٍ، وإذا صدق زياد وكذب عامر فحينها قد وصلت لغايتي أيضًا، نحن لسنا مجرمين ولا قتلة، نحن نحتاج أن تعلموا بوجودنا فقط، أن تشعروا بما نشعر به، ولماذا وصلنا لما وصلنا له، ولذلك وجب أن أقول لكم أتمنى أن تقبلوا اعتذاري.

إمضاء

ديجا

***

«قاتلي العزيز، حاول أن تقتلني ببطء فأنا أريدك أن تتلذذ بتعذيبي، فإذا كانت مرَّتك الأولى أعدك أنها لن تكون الأخيرة».

الفصل السابع
اللغز الأخير

٢٤ يناير ٢٠١٩

مسكن عامر الأخير

وقف عامر بغرفة الطعام يرتب علب المعكرونة الصغيرة على الطاولة أمام ستة من المقاعد، يجلس عليها ثلاثة رجال وسيدة ومقعدان شاغران، تستند رؤوسهم جميعًا على سطح الطاولة في سبات عميق، وبجوار كل رأس منهم علبة معكرونة وملعقة وسكين، يدخل عليه رجلٌ كسر الخمسين يتلوَّن شعره باللون الأسود الكحيل ليخفي به آثارَ الشيب، فتنخدع في مظهره ولا تعطيه عمره الحقيقي، إلا أن عضلات وجهه الجامدة تخدعك هي أيضًا في معرفة ذلك، وكان وجهه الجامد السبب في انزلاق عويناته الدائرية الرقيقة من على أنفه التي تشبه منقار الصقر وعرض منكبيه أبرز قصر قامته بعض الشيء، أما عن باقي وجهه فلقد تم سَتره بإحدى الكمامات الطبية ويرتدي قُفازين طبيين في يديه، يحمل بين ذراعيه سيدةً كبيرةً في السن مغلقة العينين لا تحرك عضلة فيها، يجلسها على أحد المقعدين الشَاغرين وبالتحديد مقعد رأس الطاولة، ما إن يضعها ويسند رأسها على سطح الطاولة بجوار طبق المعكرونة والملعقة الخاصين بذلك المقعد، التفت هذا الرجل قائلًا لعامر بجدية:

- لقد انتهيت من خطف عفاف وقبلها هيام وزياد قام بخطف خالد ومراد، وزكريا خطف عبودة يبقى فقط حازم، وعندما يأتي زكريا به سوف أحقنهم بالمخدر، ولكن بالنِّسَب التي اتفقنا عليها.

اعتدل عامر في وقفته ونظر نحوه وقال بغضب:

- تمام، المهم زكريا يأتي سريعًا؛ لأن المخدر البخاخ مفعوله قصير، ومن الممكن أن يفيقوا في أي وقت.

أشار له الآخر بيده أن يهدأ قليلًا، وقال بنبرة هادئة وهو يخلع من يديه القفازين:

- لا تقلق، البخاخ مفعوله صحيح ليس طويل المدى لكنه يؤثر على شبكية العين بشكلًا كبير وإذا حدث إفاقة لهم في أي وقت سيظل نظرهم مشوشًا لفترة ليست بقليلة، وهذا على الأقل لو حدث سوف يعطينا مؤشرًا أن نُعجل بحقنهم للمخدر الأطول زمنًا، لا تقلق أنا مستعد لكل الاحتمالات.

تريح تلك الكلمات عامر قليلًا، وبدأ يتحرك بخطوات هادئة للخارج، وفي طريقه لغرفة النوم سمع طَرقًا على الباب، فأشار عامر للرجل الآخر أن يذهب ليفتح الباب، أومأ برأسه إيجابًا وذهب وفتحه ليظهر زكريا وهو يحمل حازم على كتفه جسدًا متراخيًا، وقال بكثير من التجاهل وهو يخطو للداخل:

- أفسِح الطريق يا عم ملاك.

أغلق الملاك الباب بغضب وقال له بعنف:

- اسمي الملاك ولست عم ملاك، تحدّث معي بأدب وبما يليق وأقبله.

استدار له زكريا وهو ما زال حاملًا حازم، قائلًا وهو يدنو بوجهه من الملاك في تحدٍّ واضحٍ:

- وأنا أرغب أن تعلمني كيف أتحدث.

تدخَّل عامر ممسكًا ذراع زكريا، وسحبه معه لغرفة الطعام:

- هل لمحك أحدٌ وأنت قادم؟

ألقى زكريا جسد حازم على المقعد الشاغر الوحيد وأجابه بثقة:

- لا تقلق يا معلم عامر كما فعلت مع مَن يدعى عبودة فعلت مع حازم هذا، انتظرت حتى أصبح الوحيد في الطريق وخدرته وأحضرته إلى هنا، وأدخلت الجزء الخلفي من السيارة مدخل المنزل، ودخلته من أمام غرفة الحارس وصعدت إلى هنا سريعًا.

ثم اِلتفت لعامر متسائلًا:

- ألا يوجد حارس هنا؟ لأن عبودة هذا أتعبني كثيرًا حتى أستطيع أن أخطفه من كثرة حركته المستمرة ذهابًا وإيابًا.

- يوجد حارس هنا، لكن لا تقلق لقد خدرته من قبل

أن تأتي بعبودة.

تفاجأ زكريا بخمول وبرودة تجتاح كتفه الأيسر وعنقه، وتنتشر لتصل لأطراف يديه، ثم تصلبت قدماه وشعر وكأنه حبيس حوض ماء بارد يسمع صوت الغرير كالهمس من حوله، أصبحت الرؤية أمامه مشوشة كثيرًا ولكنه شعر بألمٍ صغيرٍ نتيجة وخز برقبته، شعر به أثناء سقوطه أرضًا، وهو لا يستطيع أن يحرك عضلة واحدة في جسده، ولكنه يعلم أنه م ازال يتنفس وقلبه ينبض ولكن ببطءٍ، وبجانبه كان يقف الملاك ممسكًا بحقنة صغيرة قد أفرغ محتواها في رقبة زكريا، ونظر له باستحقار وتقزز، وقال له:

- أظن الآن علمت الأدب، أنت مجرد صرصور بجانب قدمي أنفر حتى أن أدعسه.

ثم تحرك نحو الطاولة وأخرج من حقيبته الصغيرة قفازًا طبيًّا جديدًا وارتداه بعد أن عقم يديه جيدًا، فعل ذلك وقال بثقة:

- هذه الحقنة بها نوع معين من السموم الذي تستخدمه نوع خطير جدًّا من الأفاعي في جنوب أفريقيا، تبخُه على فريستها أولًا حتى تَشل حركتها تمامًا، وتقلل نشاط الدورة الدموية في جسد الفريسة حتى تشعر بالبرودة، وتتأثر شبكية العين به لدرجة من الممكن أن تصل للعمى، لكن بالطبع هناك معالجة كيميائية تحدث عليه حتى يكون شِبه

مُخدَّر يمكن مناعة الجسم أن تسيطر عليه، لكن بعد فترة معينة ممكن أن تصل لثلاث ساعات وهذا يعتبر وقتًا كافيًا لنكمل خطتنا.

كان عامر عند سماعه لتلك الكلمات يتكئ على ركبته بجوار زكريا الراقد على الأرض متصلب الأطراف، نظر له متفحصًا ملامحه نظر له بتأمل، دنت يداه من وجهه ولامس بأنامله جبهته ثم عظام وجهه بكل هدوء وبطء، ثم قال بنبرة حزينة:

- يااه يا زكريا، كم كنت وفيًّا لي، كم كنت أشعر معك بالأمان، رغم أني تعرفت عليك منذ فترة قصيرة، لماذا لم أقابلك منذ سنوات، أكيد كنت سوف أستفاد من إخلاصك هذا في أشياء أخرى في حياتي، ومن مقدار الوفاء والإخلاص الكبير لم أقبل أن يكون أحد مكاني سواك.

نظر للملاك الذي كان يرتدي كمامة طبية نظيفة وأشار نحوه ثم أردف:

- الملاك أمامك ويشهد على حديثي هذا، لقد أخبرني أن لديه مَن يُنجز هذه المهمة وبه جميع المواصفات وكل الشروط، ولكني رفضت وقلت لا.

نظر إلى الملاك وصاح فيه متسائلًا:

- قلت لا، أليس كذلك يا الملاك؟

أجاب المَلاك بصوت مرتعش:

- قُلت لا.

نظر لزكريا مرة أخرى وأردف بقوله في ثقة:

- أرأيت قلت لا، كيف يأخذ أحدٌ نصيب زكريا، لا زكريا غالي عليَّ.

ابتسم وعيناه تلمعان ببريق السعادة وأردف:

- طيلة حياتي يا زكريا كنت أرغب في أن أمتلك كلبًا صغيرًا، منذ صغري وأنا لي هذا الحلم، لا أعرف لماذا كنت خائفًا من تحقيقه، برغم أن تحقيقه سهل، والدي لم يرفض طلبًا لي قَط أو بخل عليَّ بشيء، حتى عندما كبرت كان من الممكن أن أمتلك كلبًا لكني لم أفعل ذلك، كان هناك شيء داخلي يخبرني بألا أفعل ذلك، ولكن الآن علمت لماذا لا يصح أن أمتلك كلبًا، أتعرف لماذا؟

اتسعت عيناه غضبًا ورمقته وكأنه يراه، وقال بنبرة حادة وصارمة:

- لأنه سوف يكون أول شيء أضحي به عندما أشعر بالخطر، وهذه هي وظيفة الكلب أن يحمي سيده.

ربت على وجهه برفق وقال بهدوء:

- يا زكريا يا كَلبي الوحيد.

نهض وقال للملاك محمسًا إياه:

- هيَّا، لا نريد أن نتأخر، الوقت ليس في صالحنا.

تقدم الملاك ليساعد عامر في رفع جسد زكريا المتصلب ليتم نقله لغرفة النوم ووضعه على الفراش، ثم تقييد يديه ورقبته بقيود غليظة وقوية، ثم يعودان لغرفة الطعام ويقوم الملاك بحقن الأشخاص الستة النائمين على الطاولة بمخدر طويل المفعول إلا عفاف كانت جرعتها أقل منهم، وحازم جرعته أقل من جرعة عفاف، وقام بتوزيع جرعة منه في الأطباق التي أمامهم بنسب ضئيلة، وبجواره عامر يرتدي قفازًا طبيًا، وبعد أن أنهى ارتداءه له، مرَّ عليهم هو الآخر وجمع السكاكين الخمس من أمامهم إلا عفاف التي لم يكن أمامها سكين، ولكن بعد أن أمسك يدَ كلِّ واحدٍ منهم وجعله يقبض على السكين الذي أمامه، ثم وضعها في حقيبة بلاستيكية، ما إن جمعهم حتى عاد هو وخلفه الملاك متجهين إلى غرفة النوم، وفي وسط الممر توقف وكأنه تذكَّر شيئًا مهمًا فالتفت للملاك وقال له مصدومًا:

- كيف أفعل هذا في زكريا؟ ليس عندي قلب؟

عاد الاثنان لغرفة الطعام، وبعد دقائق قليلة بها يخرجان لغرفة النوم، وعامر اقترب من زكريا وجلس بجواره على الفراش ووضع بجواره الحقيبة البلاستيكية وأمسك علبة مكرونة وملعقة بها بعض من المعكرونة وقرَّبها من فم زكريا وقال معاتبًا بنبرة حزينة:

- أرايت قلة الأصل! كنت سوف تموت بدون أن تأكل

شيئًا، ألم أقل لك إني غير صالح لتربية الكلاب، ألا يكفي أنك تناولت أنواعًا كثيرة من المخدرات والخمر منذ يومين تحضيرًا لِعملية اليوم، هي مجرد لقمة بسيطة تداعب معدتك وتَصلب جسدك وأنت تتعذب في جهنم.

دفع الطعام في حلق زكريا وهو يبتسم قائلًا بسخرية:

- أتظن أنك سوف تدخل الجنة مثل المُخدَّرين في الغرفة الثانية، هؤلاء سوف أجعلهم يدخلون الجنة باعتذاري السادي، أما أنت كنت مجرد كلبٍ أمتلكه ومات، وظيفتك أن تحميني وتدافع عني من أي أذى وبالتأكيد لا يرضيك أن أموت هكذا، أنت من سوف تأخذ الطعنات بدلًا عنِّي، أتعلم لماذا؟

صمت لحظات ناظرًا له ثم أردف قائلًا بابتسامة:

- لأنك كلبي، جيد يا زكريا.

لاحظ أن الطعام تجمَّع في فم زكريا ولا يستطيع بلعه، فنهض وأمسك فمه وفتح فكيه على آخرهما وبزجاجة مياه ناوله إياها الملاك صبَّ منها في فمه، لينزل الطعام بداخل حلق زكريا، ثم عاد عامر جالسًا بجواره مرة أخرى، ووضع الملعقة في العلبة مرة أخرى وقال وهو يربت على صدره:

- لا تقلق، ليس ضروريًّا أن تأكل الكثير، هذه الكمية تكفي، لن أضايقك بالطعام أعلم أن شهيتك ليست جيدة الفترة الأخيرة، لقد اتفقت مع الملاك أن يضع لك من السُّم الذي حَقنك به في المعكرونة، نحن لن نضيع وقتنا

وننتظر ساعة أو اثنتين، كلب مثلك كفاية عليه عشر دقائق حياة معنا.

ثم علت ضحكاته وبدأ في إخراج السكاكين الخمس ورتبها بجوار جسد زكريا، ومن الجهة الأخرى من الفراش كان الملاك يفرد على الأرض قطعة كبيرة من البلاستيك الشفاف الخفيف، كعازل لأي شيء قد يقع أرضًا وقد يترك أثرًا، ما إن أنهى هذا حتى وجد عامر ينظر للسكاكين شاردًا فيها لحظات، استغربه الملاك فتقدَّم أمامه وأمسك السكين الأول وطعن زكريا، وهو يخبره أنه يجب أن تكون الطعنة غير نافذة وفي مكان محدد، وفعل ذلك مع باقي الطعنات الأربع المتبقية، كان عامر يشعر بالإثارة والمتعة مع كل طعنة يطعنها الملاك ويراقبه بعينين واسعتين تلمعان بريقًا، تركاه هكذا وخرجا لينظفا الشقة من كل شيء قد مرَّا عليه، تأكدا من خلو الشقة من أي بصمة أو أثر لهم وجمعا أغراضهما في حقيبتين وتركاها في الشرفة الصغيرة بغرفة النوم، وفي تلك اللحظة وصلت رسالة لعامر ما إن قرأها حتى أمر الملاك أن يساعده في فك قيود زكريا الذي فارق الحياة منذ دقائق، ويتركاه على العازل البلاستيكي على الأرض بجوار الفراش، ودخل الملاك الشرفة وأغلق عليه عامر الدرف، وأخبره ألا يدخل أو يهمس حتى يفتح له، ثم تحرك نحو باب الشقة وهو يكلم أحدًا في الهاتف، تنتهي المكالمة وهو يفتح باب الشقة لتظهر ديجا أمامه، التي تدخل، وما إن تمر بغرفة الطعام

حتى قال له في صدمة:

- أظنك تُدبر لشيءٍ كبيرٍ.

- لا تقلقي، هؤلاء مجرد لعبة ليس أكثر، الحقيقي بالداخل.

قال عامر تلك الكلمات وهو يجذبها خلفه للداخل، حتى وصل بها لغرفة النوم فأشار لها نحو زكريا الراقد في دمائه بالأسفل وقال بفخر:

- أنا أريد أن أكون نسخة من هذا الحيوان بنفس وضعه في مدة لا تزيد عن عشرين دقيقة، لا سوف أمنحك نصف ساعة وليس أكثر، أنجزي مهمتك بسرعة.

ثم نظر لزكريا وضحك وقال ساخرًا:

- أرأيت؟ حتى وأنت ميّت لك نصيب في أن تنال شرفًا مثل هذا، ألم أقل لك أنت كلبٌ مخلص.

***

أنهى طارق ملف ديجا وظل شاردًا فيه صامتًا مفكرًا، بعد دقائق من الصمت هذا انتبه لانتظار محمود له فقال وهو يشير نحو الملف الذي تركه أمامه:

- هل تظن إذا طلبنا التحقيق من المدعو وليد هذا يمكننا أن نثبت عليه أي كلمة مما عرفناه من ملف ديجا؟

أومأ محمود رأسه نافيًا وأجابه:

- لا أظن يا افندم، شخص نذل وقذر مثله فعل ما فعله كي يحافظ على اسم عائلته لن يكون من السهل أن يعترف على نفسه بفعل شيء.

- إذًا هذا الملف كله لن يفيدنا في شيء بشكل رسمي.

قال طارق تلك الكلمات وهو يعود بظهره مستندًا على ظهر المقعد، نهض محمود متجهًا نحو اللوحة وقال معللًا:

- كيف يا افندم، به شيئان مهمان جدًّا، أول شيء أنه يوضح دور ديجا في جريمة عامر الأولى والتي تثبت أن زكريا كان مجرد بديلٍ لعامر ليس أكثر كما قلت لسيادتك من قبل، وثاني شيء أوضح أول رابط حقيقي بين قضية عامر وقضية الدكتور يحيي عزمي، والتي كانت مع سيادتك أنت والمقدم عُمر المنياوي، وأغلقت على أنها قضية انتحار، وهي في نهاية قضية قتل مع سبق الإصرار بنيَّة مُبيتة للانتقام.

قال محمود تلك الكلمات بحماس بعد أن أضاف دائرة صغيرة على اللوحة وكتب بداخلها يحيى، فأجابه طارق بكثير من الجدية معترضًا:

- حقيقة صعب أثبتها لا تنسَ ذلك، وهذا دائمًا المهم في عملنا.

ابتسم محمود وتقدَّم نحو المكتب مرة أخرى وقال بثقة:

- حقيقة ليست كاملة ولكنها الأقرب إلى الواقع، مهمتها أن توضِّح لنا أشياء كثيرة، ومهمتنا حضرتك أن نبحث

كيف نجعلها حقيقة كاملة حتى لو أثبتنا أنها حقيقة ليست لها قيمة، المهم أن نسعى في أن نثبت هذا يا افندم.

نظر له طارق وشعر أن محمود أحسنَ اختيار كلماته واستطاع أن ينتصر عليه، وأقنعه بوجهة نظره تلك المرة، تنهد وقال له مستفسرًا:

- أخرج ما في جعبتك يا محمود وأخبرني ماذا تقصد؟

جلس محمود مبتسمًا ثم دنا من المكتب وقال في حرج:

- الألغاز التي على الجثة حضرتك.

ردَّ عليه طارق بملامح الاستياء حتى أردف بحماس:

- يجب أن نعمل عليها هذا هو وقتها صدقني، حضرتك لم تعلم بعد كيف وصلت لجثة زياد بسبب أننا لم نتحدث في تلك النقطة.

استطاع محمود بتلك الكلمات أن يجذب طارق لحديثه أكثر، فقام محمود بإخباره كيف توصل لحل اللغز وكيف قام بالبحث والتحريات وتصفية الاحتمالات، دون أن يذكر دور عمر في مساعدته على ذلك، حتى توصل في النهاية لرقم هاتف خلوي، استطاع من خلاله تحديد موقعه ومنه وصل للشقة التي كانت بها الجثة، وأثبت أن مثل ما كل متهمة من الثلاث لها علاقة ورابط بصاحب أو صاحبة القناع الذي كانوا يرتدونه، فإن كل وشم أو لغز رُسمَ أمام كل متهمة منهن له علاقة بصاحب أو صاحبة القناع

الدموي الذي ترتديه، ولغز زياد أوصلهم لجثته في النهاية، ثم أضاف:

- والآن عندما وصلنا إلى جثة ديجا بدون أن نحلّ اللغز الذي كان أمام عبير، وهذا يزيد من فضولي هل إذا حللنا اللغز كنا سوف نصل إلى شقة ديجا أم لا، إذًا حينها سوف نعلم أن وظيفة الألغاز هي أن تصل بنا لمكان الجثث المشوهة، وحينها نركز على اللغز الثالث حتى نستطيع أن نصل إلى مكان جثة عبد العظيم.

ظلَّ طارق ينظر له مفكرًا ثم قال له مشيرًا بسبابته محذرًا:

- وإذا حُلَّ ولم يصل بنا لشيء مفيد؟

وهنا يفرد محمود ذراعه ويشير نحو اللوحة وهو ساخر:

- وهل عامر الداهية هذا يضع شيئًا غير مفيد أو بلا قيمة يا باشا.

استطاعت تلك الكلمات أن تفرج عن ابتسامة صغيرة من طارق وأومأ برأسه مؤكِّدًا على أجابته، ولذلك أخرج محمود مدوَّنته ونقل اللغز الثاني الذي كان موقعه أمام عبير ورسمه على اللوحة حتى يكون أمامهما بشكلٍ واضح.

وبدأ في شرح ما تعلَّمه من قواعد عامر في وضع الألغاز، التي ساعدته في حلّ لغز الهاتف الأخير، وما إن أعادها لطارق حتى لاحظ في اللغز عدة أشياء فقال بجدية وهو يشير على اللوحة وطارق يقف بجانبه مفكرًا:

- بحسب تفكير عامر في صنع اللغز فهو عبارة عن عملية ضرب حسابية؛ لأن رسم الرمز X في اللغز، والدوائر مقسَّمة تقسيمًا مختلفًا وعدد الأجزاء المقسَّمة في كل دائرة هو الرقم المكوِّن لعملية الضرب، وأظن أن الدائرة الأولى من اليمين المقصور منها ثلاثة أجزاء، وهذا بالطبع غير الرقم التربيعي في الدائرة التي تعتلي الشكل من اليمين.

وبدأ بكتابة الأرقام أسفل الشكل بالترتيب (2x4x4x6x3) ثم على أعلى القوس رقم 2 كرقم تربيعي، فأخرج محمود هاتفه وبدأ في إجراء تلك العملية الحسابية ليظهر معه الناتج وكتبه على اللوحة داخل دائرة كبيرة وهو 331776.

أنهى محمود كتابته وهو يشعر بفخرٍ وانتصار، مما دفعه الحماس أن ينقل اللغز الثالث الذي رُسم أمام السيدة نادية.

فشاركه طارق تلك المرة الحماس وبدأ في قول ملاحظته:

- إذا أخذنا في الاعتبار طريقة حلك للغز السابق على أنه أقرب احتمال لك، وفي هذا اللغز فهو عملية ضرب لأنه رسم علامة X به، ولكنك أخبرتني أنه لا يقرر أفكار ألغازه، إذًا لن يعتمد على الأشكال التي بداخل اللغز، فما هو ظنك لحل اللغز هذه المرة؟

نظر هما الاثنان مليًا إلى اللغز، وبعد تفكير انفرجت شفتا محمود:

- أرقام.

- كيف؟

قالها طارق مستفهمًا وهو يتابع محمود الذي ذهب مرة أخرى للوحة وبدأ يكتب أسفلها وقال بحماس:

- هو اعتمد على شكل عملية الضرب واختلف في طريقة استخدام الأشكال حتى يثبت على قوانينه بعدم تكرار أفكار الألغاز، وجاء هذا اللغز مباشرًا جدًّا، الأشكال تعبر عن أرقام باللغة العربية، لأنه إذا أراد أن يكتبها باللغة الإنجليزية، حينها الدائرة التي تقع في المنتصف سوف تعني صفر وتضرب عملية الضرب في مقتل وهذا ليس حلًا بالنسبة إلى عامر، أنا واثق من هذا جدًّا بسبب خبرتي مع عامر المجنون؛ ولذلك فإن حل اللغز هو 15×1×5×1×3825 =51 .

وقف محمود منتصبًا سعيدًا منتشيًا بما أنجزه وبجانبه طارق ينظر له، ثم نظر للوحة مفكرًا وظهر على ملامحه اليأس

وسأل في ملل:

- هل هكذا انتهينا؟ إلى ماذا وصلنا في النهاية؟

ابتسم محمود ودوّن الحلول التي توصل لها من تلك الألغاز في مدوّنته الصغيرة، ثم نظر لطارق وقال بثقة:

- وصلنا للجزء الأسهل، عملنا يا افندم، نقوم بعمل تحريات جيدة، ونبحث عن الحل بماذا يمثل في ملف نادية وعبد العظيم، وبماذا مثَّل في عنوان جثة ديجا، ولذلك أنا سوف أنزل حالًا إلى موقع سكن ديجا وأرى هل هناك ترابط بشيءٍ أم لا، وسيادتك تراجع التحريات عن نادية يمكن أن نعثر على شيء يخص الرقم في حياتها، صدقًا لقد قمت بتجربة هذا الأمر من قبل ووصلت من خلاله إلى نتيجة جيدة، الفرق أننا الآن نفهم أكثر ماذا نفعل؟ وعلى ماذا نبحث؟ والصورة واضحة كاملة أمامنا.

ألقى محمود التحية العسكرية لطارق ثم غادر مكتبه، وتوجَّه لموقع سكن ديجا الذي عثروا فيه على جثتها، وبالفعل وصل له بأعجوبة؛ فلقد كان الشارع متكدسًا ومزدحمًا بسبب انصراف الموظفين وطلبة المدارس، مما جعل محمود يوقِف سيارته بعيدًا عن الموقع وذهب إليه سيرًا، وبدأ في متابعة اللافتات في الطريق وأرقام الشوارع والطرق من حوله يحاول أن يجد أي رابط لما توصل له مع طارق من حل للغز، ظل هكذا حتى وصل أسفل العقار الذي به شقة ديجا حاول أن يقف لكن الزحام

بمحطة حافلات النقل المقابلة لمدخل العقار منعته أن يقف بحرية فعبر الطريق للجهة الأخرى، ومنها لاحظ عَدْوَ المواطنين المنتظرين للحافلة التي وصلت بأعجوبة، يحاولون أن ينالوا شرف الركوب بداخلها حتى تنقلهم إلى مسكنهم في النهاية، ولا يجب أن تتخيل ما سوف يمرون به خلال رحلتهم في تلك الحافلة، وأثناء متابعة محمود هذا المشهد غير الآدمي من تلاحم وتزاحم الناس للحاق بالحافلة لاحظ شيئًا غريبًا، أن رقم الحافلة هو ٧٧٦، ففتح مدوَّنته ليتأكد من تلك الملاحظة ليجده النصف الثاني من الحل الذي توصَّل له، نخطرت في باله فكرة قرَّر أن يجازف بها لعلها تفلح معه، فعبر الطريق مرة أخرى سريعًا ووصل أسفل نافذة سائق الحافلة وصاح فيه صارخًا:

- هل حافلة الركاب التي تحمل رقم 331 تمر من هنا يا أسطى؟

- الطريق مزدحم كما ترى، تحمل قليلًا يا أخ، كل نصف ساعة يمر ٣٣١ هذا إذا استطعت أن تركبه أو تتعلق به.

قال السائق تلك الكلمات بأسلوب عنيف وحاد وهو يتصبب عرقًا، ثم تحرَّك بِالحافلة وخلفه هرول من يأمل أن يلحق به، أما محمود فكان في قمة السعادة وأمسك بالهاتف وقبل أن يختار أن يهاتف طارق، عدل عن تلك الفكرة واختار رقمًا آخر وأجرى مكالمة طويلة نوعًا ما، وبعدها هاتف طارق وقال بنشوة وثقة:

- مبروك يا طارق باشا الحل صحيح، 331776 هذا حضرتك هو مقسَّم إلى جزئين 331 ,776 وهما أرقام خطين لحافلات النقل العام يتقاطع خطهما عند محطة واحدة أمام سكن ديجا، ثم بعد ذلك يكمل كل خط طريقه، ولقد تأكدت من هذه المعلومة من صديق لي في هيئة النقل العام، كما أخبرت سيادتك من قبل أن الألغاز وُضعَت لهدف واحد هو إخبارنا بمكان الجثث المشوَّهة الثلاث، ولذلك يجب أن نصل إلى جثة عبد العظيم في أسرع وقت.

أنهى طارق مكالمته مع محمود وشعر بالحماس من فكرة تلك الألغاز فبدأ في مراجعة ملف نادية بشكلٍ أدق أكثر، ومحمود يدرس ملف عبد العظيم ويكمل التحريات عنه، مرَّ أكثر من أسبوع ولم يصلا لشيء يخص حل اللغز، ولكن في تلك الفترة استلم طارق التقرير المبدئي الخاص بجثة ديجا، ولقد أثبت تطابقًا إيجابيًّا مع بصمات ديجا بالشقة، وتطابق أيضًا مع الوجه النسائي المسلوخ من الوجوه الثلاثة وهكذا تكتمل الجثة الثانية وتم إثبات لمن تعود، أما الجثة الثالثة فمازال طارق بمكتبه يقوم بالبحث والتحريات عن نادية ولكن لم يصل لشيء، وما إن رأى محمود يدخل من الباب انفجر فيه غاضبًا:

- أنا مخطئ أني صدقتك وأهدرت وقتي، أسبوع خسرته بسبب طريقة تفكيرك الغريبة وإصرارك على خط اللغز وحله، والنتيجة في النهاية لا شيء..لا شيء.

نظر له محمود صامتًا ثم ردَّ بهدوء:

- حضرتك لم تخسر شيئًا لأنك أكملت التحريات في القضية، وهذا شيء أساسي في عملنا.

أنارت عين محمود ابتسامةٌ استفزت طارق بشدة وأثارت غضبه، وأردف ساخرًا:

- ثانيًا من قال إنه لا شيء؛ لأن الحل ٣٨٢٥ هو عبارة رقم ٣ شارع ٨٢٥ بمدينة السادات، منزل السيدة أشجان عمة الدكتورة نادية والدكتور عبد العظيم وهدان، وهذا حصلت عليه عندما وسعت دائرة تحرياتي على عبد العظيم ونادية وركزت في عناوين الأماكن المرتبطة بهما بشكل أدق قليلًا.

أثارت كلمات محمود تلك غيظ طارق مما جعله ينهض من مكانه سريعًا وتحرك نحو الباب ودفعه وصاح فيه:

- وساكت منذ دخولك، أنت كائن مستفز، هيًّا يا حضرة الضابط هناك جثة يجب العثور عليها.

تحرك الاثنان نحو العنوان الذي توصل له محمود ومعهم قوة من الشرطة بعد أن حصلا على إذنٍ من النيابة بالتفتيش والبحث، وبالفعل بعد ما يقرب من ساعة وصلا له، فكان عبارة عن قصر قديم اعتبرته الدولة من الإنشاءات الأثرية، وتحفَّظت عليه منذ أكثر من عشر سنوات، كان يعود في الأساس إلى السيدة أشجان عمّة

عبد العظيم ونادية، ولكن بعد وفاة زوجها الباشا قامت بتحويله لدار لرعاية المسنين وأوصت به بعد وفاتها أن نتبرع به للدولة، ولكن بعد وفاتها رُفِعَت عدة قضايا من الورثة وهم عبد العظيم ونادية، وتعرقل تنفيذ تلك الوصية منذ ذلك العهد.

وصل محمود وطارق لباب القصر الذي كان مغلقًا بشكل جيد فأمر القوات التي معه أن تكسر الباب، وبالفعل نفَّذوا أمره واقتحموا المنزل الذي كان خاويًا من الأثاث، إلا من سكان الفراغ هذا من القوارض والعناكب، فأمر طارق القوات أن تقوم بالبحث الجيد بالمكان، وبعد دقائق قليلة صاح واحد من القوات بالدور الأعلى مناديًا على طارق الذي صعد الدرج له ومعه محمود ليجد الرجل يسد أنفه بيديه، وهو يقف أمام باب غرفة مفتوحة، نظر طارق إلى الغرفة من الخارج فرأى جثة رجل حالتها سيئة ومقززة جدًّا، ولكنه تفاجأ بعبور محمود للداخل، وهو يضع منديلًا على أنفه ويقترب من الجثة المتعفنة، جثة ترتدي ملابس رجل ثمين بعض الشيء مسلوخ عنها الوجه، يمسك في يده اليمنى هاتفًا محمولًا، وفي اليد اليسرى صورة لرجل أوروبي شعره قصير وكثيف، عيناه ضِيقتان يرتدي معطفًا وقميصًا ورابطة عنق رفيعة، نظر محمود لصورة جيدًا وابتسم ثم قال هامسًا:

- المحقق كولومبو، الموضوع نتطور جدًّا.

ثم أنزل محمود المنديل من على أنفه وسحب من يد الجثة الصورة، وقلبها للجهة الأخرى ليجد مكتوبًا عليها 0220 ويسبقهم أربعة مربعات صغيرة فارغة، ولكن ما جذب انتباهه أكثر وجود لفافة تبغ بجوار الجثة بجانب اليد كانت متسترة أسفل الصورة، كُتب على تلك اللفافة بالخط الأسود جملة مكوَّنة من ثلاث كلمات «احذر عبد السادي».

بعد البحث في الملابس التي ترتديها الجثة تم العثور على محفظة جلدية تعود للدكتور عبد العظيم وهدان، ولقد كرر محمود ما فعله باللُغزين السابقين، أنه رافق فريق البحث الجنائي لمقرهم منتظرًا تفريغ محتويات الهاتف، أثناء ذلك ظلَّ يبحث في مواقع الإنترنت عن سر الرقم الذي كُتب خلف صورة الممثل بيتر فولك الذي أدى شخصية المحقق كولومبو في المسلسل التليفزيوني الشهير الذي يحمل نفس

الاسم، والذي كان يتابعه في شغف من صغره، والمسلسل يدور عن حياته كمحقق جرائم قتل وذكائه في الوصول للقاتل، وبعد بحث علمَ أن الأربع مربعات الفارغة هم مخصصون لأربعة أرقام يضاف للرقم المكتوب ليكون الرقم 19680220، وهو عبارة عن تاريخ عرض أول حلقة من المسلسل الذي كان يوم ٢٠ من شهر فبراير عام 1968 ميلاديًا، قدَّم هذا الرقم كمفتاح للملف الكتابي المشفر الذي عثر عليه بداخل الهاتف الذي كان مع الجثة، وطلب طباعته ونسخة إلكترونية منه، وبالفعل استلم الاثنين وفتح الملف وبدأ في قراءته ليجده يبدأ بعنوان «نادية».

نادية

كانت نادية منذ الصغر هي صديقتي المقربة لا أتعامل معها أنها أختي الصغرى حتى فأنا أكبرها بأربعة أعوام فقط، ولكني كنت أراها أكثر من ذلك، لا أتذكر شيئًا في طفولتي إلا وأجد نادية تقتحم الصورة لتحوّلها إلى ذكرى حلوة، كنا نتشارك كل الألعاب المعروفة والألعاب التي نبتكرها، وكان لعمل والدي بالجيش ووفاة والدتي بعد ست سنوات من ميلاد نادية السبب لكي نسكن في قصر عمتنا أشجان أثناء فترة غياب والدنا المستمرة والمتكررة، وكان الحال في منزل عمتي أشجان أفضل، فلا قيود ولا أوامر؛ لأن عمتي لم تنجب أطفالًا وبعد وفاة زوجها سراج باشا قامت بتحويل القصر إلى دار لرعاية كبار السن، فكنا

ننعم بجنة لا يسكنها أطفال سوانا، وكانت أفضل لعبة نتشارك فيها سويًّا ونمرح بشكل جنوني أنا ونادية هي محاولة رؤية مَلاك الموت، فلقد عاصرنا ونحن في هذا القصر أول حالة وفاة لرجل مسن من النزلاء بالدار، كنّا نلعب بجوار غرفته وسمعنا صوت شهيقه عاليًا، فغلبنا الفضول ودخلنا الغرفة وجدناه يرفع يديه نحونا وعيناه جاحظتان ثم تصلبت أطرافه، وتابعنا لحظات وفاته ولكن انقطع التيار الكهربائي حينها وبعد أن عاد كان قد فارق الحياة، ولذلك أقسمت أنا ونادية إننا يجب أن نرى ملاك الموت وهو يقبض الأرواح كي نسأله عن روح والدتنا.

وبعد ذلك كنّا نمر على كل النزلاء بالدار من كبار السن، نراقبهم بشدة كان هذا شغلنا الشاغل، نحاول أن نتوقع من سوف يموت قريبًا، حتى جاء يوم وعلمنا فور استيقاظنا أن أحدهم توفى ليلًا، وهذا ضايقنا جدًّا فكيف يموت هذا اللعين ويفلت منَّا ولا نلحق أن نشاهد ملاك الموت، ويومها قررنا أننا سوف نجلبه لنا، ووافقت نادية على فكرتي، ومرت الأيام وكنّا نتابع جميع النزلاء ونراقب حالتهم جيدًا، حتى علمنا أن هناك سيدة في حالة خطرة وتحتاج رعاية خاصة، ووقع حينها الاختيار عليها وفي الليل تسللنا أنا ونادية لغرفتها، ودَنونا من فراشها لنتأكد بأنها تتنفس وما زالت تتعلق بالحياة، في يدي اليسرى ما زالت تتمسك نادية بي، وباليد الأخرى قطعة قماش مبللة تعلمت كيف أستخدمها بسبب مشاهدتي لفيلم ريا وسكينة الشهير، تركت

نادية يدي ودنت من السيدة أكثر مِنّي، وظلت تداعب خصلات شعرها، وبعد لحظات قليلة رفعت يدي بتلك القماشة ونزلت بها على فم وأنف السيدة التي لم تستطع أن تقاوم كثيرًا فلقد كانت منهكة مرضيًا، وبجانبي نادية تهمس في أذنيها توصيها أن تعامل والدتنا بلطف في الجنة، ثم دنت من رأسها قبَّلت جبهتها، ونظرت لأعلى وهي تشير لي أنا أبحث معها عن ملاك الموت متى سيأتي؟ ومن أين؟ حتى توقفت السيدة عن الاهتزازات وتصلبت بشكل نهائي، فنظرت لنادية غاضبًا وسألتها هل رأته فأجابتني بالنفي حزينة، فنال الضيق والحنق منا الكثير، وأقسمنا إنه لن يفلت منا مرة أخرى، ولن نتوقف حتى نراه ونخبره بما نريده.

استمررنا على تلك الحالة أكثر من ست سنوات قتلنا فيها ما يقرب من ثمانية عشر نزيلًا، فلقد كنّا ننتظر أن يكون النزيل في حالة حرجة، ومتوقع وفاته في وقت قريب وهذا لا يحدث كل يوم بكل تأكيد، كنّا من الممكن أن ننتظر أكثر من ستة أشهر حتى تتوافق معنا حالة كما نريد حتى لا ينكشف أمرنا، وفي نهاية علمنا أننا أصبحنا في مرتبة أعلى من ملاك الموت، لأننا من نسبقه في قبض الأرواح كي ننتقم منه سبب عدم ظهوره لنا، وتحول معنا الأمر وظل الهدف يقل تدريجيًّا مع كل نزيل نقتله حتى وَصل لهدف أكبر هو الإحساس بالمتعة بما نفعله، بأن نُزهق أرواح هؤلاء المعاقين بشريًّا الذين استنفدوا من متع الحياة ما

يكفيهم، ويجب أن يرسلوا لمكان أفضل أو أسوأ فلا فارق عندنا، الأهم أننا تلذذنا بما نفعل، وكنّا نطور من أسلوبنا كل فترة وأخرى وكان هذا من عوامل عدم كشف أمرنا فمن نَقتلهم كان من المتوقع وفاتهم في أي وقت، فلم تظهر علامة استفهام على أي حالة وفاة منهم.

ولكن هناك عقبة واحدة ظهرت أمامي هي أن عمتي كانت تتقرَّب من نادية التي كبرت وتحاول أن تهيئها لكي تكون فتاة ناضجة، ولذلك تقلَّص وقت المرح بيني وبين نادية، وهذا ليس من حق أحد حتى عمتي البغيضة تلك، فنادية ملكٌ لي لا أحد له سلطة عليها غيري، أنا أخوها وأشاركها كل شيء، وهي تشاركني كل شيء حتى متعتي بقتل كبار السن، فكيف تفعل عمتي ما تفعله، أصبحت نادية تخرج معها كثيرًا، وتتحدث معها أكثر، حتى جاء يوم وأخبرتها أن هناك نزيلًا حان موعد قبض روحه، فاجأتني أنها تعتذر أن تشاركني متعتي تلك الليلة، بسبب أن عمتنا قد وعدتها أنها سوف تأخذها صباح اليوم التالي لأحد صالونات النسائية، لتعدها لحفلة نسائية في بيت إحدى صديقات عمتي ويجب أن تنام مبكرًا، فزاد الحوار فيما بيننا سخونة وسئمت من محاولة تبرير غرضها من الاعتذار الواهن هذا، وزاد الضجر بي فصفعتها وكانت تلك أول مرة أؤذي فيها نادية، فرمقتني بغضب وانصرفت، ومن يومها كانت تمتنع أن تتحدث معي أو نتجالس كما كنّا نفعل في السابق، وتوقف معها مشاركتنا

في لعب دور ملاك الموت، واستطاعت أن تنخرط تحت استحواذ عمتي لها، واتّسعت الفجوة بيننا ولم نعد كما كنّا ونضجت نادية وكبرت، وأنا دخلت كلية الطب، وفي عامي الثاني بها عاد والدي من رحلته الأخيرة وأخبرنا أنه اتفق مع زميل له أن يزوج نادية لابنه أول ليلة خميس في الشهر القادم، أعلنت رفضي ومنعه عما يقرّره فأخبرني بأنه شاب متفوق يعمل أستاذًا جامعيًّا وله مستقبل باهر، ولكني تمسكت بقرار رفضي متحججًا بأن نادية ما زالت في مرحلة الدارسة الثانوية وصغيرة على تحمُّل مسؤولية منزل وحياة زوجية، ولكن كان والدي يظنني أحد جنوده الأغبياء فرفض النقاش معي، وأقسم بتنفيذ ما ينوي عليه لأن رأيي ليس مهمًا من الأساس بالنسبة له، وهذا ما جعلني أترك قصر عمتي، فلقد خسرت سر بقائي في هذا القصر، خسرت نصف روحي، خسرت أختي نادية.

بعد خمس سنوات مروا عليَّ اجتهدت فيهم في الدراسة والعمل، وكانت نادية تزوجت ورافقت زوجها في رحلته الدراسات العليا التكميلية بأمريكا، وهي التحقت أيضًا بجامعة هناك لكي تكمل دراستها، تفاجأت بوصول خبر إصابة أبي في حادث وهو في حالة خطرة، توجهت سريعًا للمستشفى لأجده طريح الفراش ويقول تقرير حالته إنه لن ينجو بسهولة من تلك الوعكة الصحية الخطيرة، فدنوت منه وأخبرته لماذا فعل ما فعله؟ لماذا حرمني من دور الأب

طيلة حياتنا؟ تزوَّج العمل وأنجب منه أوسمة لكي يتفاخر بها ويعلقها على صدره، هذا المكان الذي لم أعرفه طيلة حياتي فلم يأخذني في حضنه مرة واحدة، لم أسمع ولا مرة واحدة دقات قلبه حتى أشعر بالأمان كأي طفل لم يحرم من والده، ولم يحاول أن يعوضني عن حنان الأم، ذرفت بالدموع ولم أستطع أن أحبسها لتسقط على الوسادة التي أضعها فوق وجهه و تبللها غضب عني وأنا أقتله، فلقد كنت أشتاق لأداء دور ملاك الموت، وأن تكون العودة بعد هذا الغياب لشخص عزيز عليَّ شيئًا كبيرًا بالفعل.

بعد وفاة والدي أرسلت لنادية بالخبر كي تأتي إذا أرادت، وكان وقع الخبر على عمتي أشجان صدمة كبيرة أَرقدتها الفراش ليلتها، مما اضطرني أن أبيت معها كطبيب وابن أخ لها، وجاءت فرصتي أخيرًا لكي أنتقم مما فعلته بِنادية، كيف لها أن تتلاعب بعقلها البريء وتجعلها تتمرد عليَّ، إنها الحرباء التي أبعدت عنِّي نصف روحي، هي من صنعت تلك الفرقة وكان يجب أن تعاقب، وبِحقنة فارغة تم وخزها في رقبتها أنهت حياتها وشفيت غليلي منها، وفي الجنازة تفاجأت بوجود نادية هي وزوجها، وبعد أن انفضَّ الجَمعُ جاءت لي منفردة وقالت بغضب محذرة، إنها تشك أني المتسبب في كل ذلك، ولكنها سوف تصمت لأنها تعلم جيدًا أنها لن تستطيع أن تثبت ما تقول، أخبرتني أنها تبغضني جدًّا وتكرهني وأن ما كان يجعلها تفعل ما تفعل هو مرض نفسي يُدعَى «متلازمة الطفل المنهك»

ولقد تعالجت منها واستطاعت أن تدرك أنها لا تريد أن تلعب دور ملاك الموت أو تكون تابعًا لي مرة أخرى مهما حدث، ولذلك سوف تغادر ولن تراني أبدًا مهما حدث، أشعر أن ما فعلته بها سوف يدفعها للانتقام مني في وقتٍ ما ولهذا أردت أن أدوِّن ما فعلت بها ليعلم الجميع الدافع وراء قتلها لي.

*وبالفعل نفذت نادية وعدها ولم أرَها بعد ذلك، ولكني كنت لم أستطع أن أتوقف عن لعب دور ملاك الموت، وكان كلما سنحت لي الفرصة مع مريض في حالة حرجة أثناء نوبتي بالمستشفى أستغل الموقف وأنهي حياته، وبعد مرور سنوات كثيرة من العمل كطبيب وأستاذ جامعي وتكوين أسرة وتربية طفلة وقتل المرضى، جاء اليوم الذي أشرفت فيه على قسم التشريح أكثر مكان كنت أشعر بالحرية والراحة فيه أنا ملاك الموت وحولي سكان قلعتي الصامتون، وخلال عملي بها تعرفت على الملاك الذي عرض عليَّ أن أعمل معه، بأن أسلمه الجثث التي لم يتعرف عليها أحد أو جاءت في حوادث سواء كانت كاملة أو أجزاء منها، وأقبض منه ثمنها وهو يقوم بتقطيعها وبيع أجزائها فهو له باعٌ طويلٌ في ذلك، ويعرف كيف ينهي تلك الأمور بشكلٍ جيدٍ، وفي جلسة صغيرة بيني وبينه أخبرني بكثير من التفاخر والغرور أنه بدأ في هذا المجال منذ أن كان يعمل في الأرياف، ولقد تميَّز فيه وأصبح له اسم كبير في سوق تجارة الأعضاء، شعرت

بالغضب والغيرة من حديثه هذا، وكأنه يظن نفسه إلهَ هذا العالم، فلا أعرف كيف جاءتني الجرأة وأخبرته أني أقتل المرضى من قبل أن أكون طبيبًا منذ الصغر وأنا أفعل ذلك، ولقد قتلت أبي وعمتي عندما سنحت لي الفرصة لذلك، وإن مقدار من مات على يدي خلال تلك السنوات يتخطى حاجز المائة، فلا يستهين بي ويجب أن يعرف مقداري جيدًا، أنا لست طامعًا في المال أنا أهوى هذا الفعل، أهوى أن أكون ملاك الموت.

بعد ثورتي تلك بليلتين قابلته وكان معه شخص يدعى عامر، أخبرني أنه صديقه المقرب ويعرف كل شيء عنه وعني، وأنه مصدر ثقة ألا أقلق منه، وفي تلك الجلسة بدأ عامر يمجِّد في عملي وما أقوم به وأنها هواية ممتعة ولذيذة أن تقبض الأرواح بيديك، شعرت بالنشوة والغرور والعظمة من مدحه هذا، حتى أخبرني بأنه بصدد إثبات نظرية من تأليفه تتحدث عن الاعتذار لمن عانوا من أذيتِه في حياته، ولكنه اعتذار مختلف تمامًا عن المعروف عن معنى الاعتذار، ويريد أن يواجه به المجتمع ليعرفوا بحقيقة وجودنا، لا أنكر أنه أقنعني بفكره، شعرت أنه صوت يتحدث من داخلي، ولذلك وافقت وكان دوري في أول مرحلة من الخطة أن أنتظر رسالة من فتاة تدعى ديجا وبعدها أهاتف طبيب معي في القسم اسمه يحيى، وأطلب منه أن يحضر لي بشكلٍ عاجل، وأن أمثِّل عليه دور الأب الذي علم بخطف ابنته من خلال رسالة تُركت لي

على مكتبي، وأجبره أن يوقع على طلب رجوعه للعمل، وعندما يأتي له مكالمة أهدِّده بسلاح أعطاه لي وأمره ألا يرد عليها، وأعلم من الهاتف أن من هاتفته فتاة، وأؤدي أني سوف أخرج لأقتنص من شريكته تلك، حتى يرن هاتفي أمامه فأسرع نحوه وأرد وأتحدث كأن ابنتي هاتفتني وطمأنتني على نفسها، وبعد أن أغلق المكالمة أطرده خارج المكتب، ثم أنتظر في نفس اليوم لاستلام جثة سوف تأتي للمستشفى في جريمة قتل، أستلمها بشكلٍ سريع وأجهزها للتشريح، ثم أقدم على طلب عطلة وأغادر المستشفى، ولا أخبر أسرتي بأي شيء، ولا يلاحظون أي تغير فأنزل من المنزل في موعد عملي وأعود في موعد عودتي منه وكأن لم يطرأ شيء جديد.

حتى جاء اليوم الذي هاتفني فيه زياد الذي قابلته صدفة في شقة عامر قبل تنفيذ الخطة بيوم، وأخبرني أن عامر يقول لي أن أبدأ في المرحلة الثانية من الخطة، وبعدما أنهيت ما كُلفت به من عامر بخصوص المرحلة الثانية، لاحظت أن عامر يتجاهل التعامل معي ويضع الملاك بيني وبينه كوسيط بالتعليمات، وكأني أجير حقير عنده لست ملاك الموت، حتى أخبرني زياد أنه علمَ أن عامر يتواصل مع نادية دون أن يخبرني بتلك الخطوة كما اتفقنا من قبل، أن تكون المرحلة الثانية من خطته هي تنفيذ اعتذاري الخاص لنادية، ولكنه فعلها دون علمي، وذلك لأنه بالتأكيد يريدها أن تعود لمصر كي تنتقم منِّي ويخون

اتفاقه معي، وهَاتفت من أعرفه بأمريكا وأكدوا لي هذه المعلومات، أن نادية قدمت بالفعل على عطلة من جامعتها الفترة الأخيرة، ولذلك نصحني زياد أن أضيف الجزء الخاص من علاقتي بعامر بالملف الذي من المفترض أن أسلمه لعامر، ولكن بعدما وافق عليه ضفت هذا الجزء الأخير كي أهد المعبد على الجميع، نعم أنا شمشون هذا الفريق اللعين، أنا ملاك الموت وأرسل اعتذاري لكل من قبضت روحه.

إمضاء

الدكتور عبد العظيم وهدان»

بعد أسبوع جاء التقرير المبدئي للطب الشرعي الذي أثبت أن الجثة الأخيرة تعود للدكتور عبد العظيم بعد مقارنة بصماته، وأن الوجه المسلوخ الثالث تطابق معه لتكتمل الجثة الثالثة، وأن الثلاث جثث اجتمعوا في سبب وفاة واحد وهو الحقن بمادة سامة، ولم يجد طارق داعيًا لأن ينتظر أكثر من ذلك فطلب إحضار المتهمات الثلاث، ومواجهتهم بالحقائق التي توصلوا لها وأن كل واحدة منهن تطابق بصماتها مع أداة الجريمة المشرط الطبي التي سلخت بها وجه ضحيتها، ثم ارتدته لكي تنفِّذ جريمتها الثانية بعد أن أخفت كل واحدة منها جثة الضحية المشوه في مكان يعود للضحية، أما الدافع أو السبب الشخصي قد تم التأكد منه من خلال الملفات التي عثروا عليها بالهواتف التي مع الجثث، وكانت الدوافع كما ذكروا في التحقيقات

الأولى أسباب شخصية، ولكنها أسباب شخصية بشعة ودنيئة من الطبيعي أن يخجلوا من الاعتراف بها.

وتم التأكيد أكثر بعد إعادة تشريح جثة جمال المكي عم زياد، وتم إثبات أنه قد قُتل خنقًا، ومع صعوبة إثبات ذلك مع والد نادية أو عمتها بسبب أن الوفاة تمت منذ فترة طويلة، وحالة الجثة لن تتحمل مثل ذلك التشريح إلا بأجهزة خاصة وتتوفر خارج البلاد فقط، وهذا ما حال عن تنفيذها، ولكن يبقى اعتراف عبد العظيم دافعًا للجريمة في حد ذاته حتى إن كان ليس بالقوة القانونية المطلوبة، أما عبير فلقد تم العثور على صور لها في أوضاع مخلة مع رجل داخل شقة خديجة، ففي النهاية الثلاث مجرمات يستحققن المعاقبة سواء بالجريمة الأخيرة أو بجرائم سابقة، الثلاث يُمثلن خطرًا بتَواجدهن في هذا المجتمع، وبذلك لقد اكتملت القضية بشكلٍ كامل بالنسبة طارق، الذي أمر بِتحويلهن للنيابة الصباحية في صباح الغد، وأثناء خروجهن من مكتبه مقيدات بالحديد في حالة من الذهول والانهيار والصدمة، كان محمود في طريقه لمكتب طارق ما إن رأى هذا المشهد فتعجب؛ مما دفعه لسؤال محمد حارس مكتب طارق والذي أخبره بكل شيء، مما جعله يدخل غاضبًا على طارق وقال متهجمًا:

- كيف لك أن تغلق القضية بهذا الشكل دون علمي حتى، وأنا بمكتبي لمدة أسبوع أراجع فيه كل ملفات القضية من البداية حتى أربط جميع الخيوط ببعض، وفي

النهاية أتفاجأ بأن تغلق القضية وتتجاهلني بهذه الطريقة.

ضرب طارق سطح المكتب ونهض صارخًا فيه:

- صوتك لا يعلو في مكتبي، هل هذا مفهوم يا حضرة الضابط؟ ولا تنسَ أن القضية أنا من يديرها وأنا من كُلفت بها ودورك فيها لا يتعدى مساعد أو استشاريًّا فقط لا غير، أي أنا صاحب القرار الأول والأخير فيها، ولن أنتظرك حتى تُلقنّي بماذا أفعل، احترم نفسك يا حضرة الضابط واعرف جيدًا مع من تتحدث.

كاد محمود أن يتهور أكثر ولكنه تمالك أعصابه بكل قوة وغادر مكتبه، تاركًا طارق يتناول دواءه من علبته الخاصة وهو يلعن القولون العصبي مائة مرة، وفي طريق مغادرة محمود مبنى المديرية رنَّ هاتفه ليجد المتصلة الدكتور سوسن ففتح المكالمة ليجدها تقول له بحماس:

- لدي خبر لك جديد علمته منذ دقائق، وأنا أستعد حتى أسلمه أنا والدكتور محسن إلى الدكتور ثروت.

قال محمود بعدم اهتمام متسائلًا:

- خيرًا يا دكتورة سوسن؟

- استلمت نتيجة تحليل DNA النهائية.

انتصب محمود مكانه وقال بتردُّد:

- وماذا كانت النتيجة؟

- إيجابية حضرتك.

بلع محمود ريقه وقال بشيء من الهدوء والتركيز محددًا سؤاله الاستفساري:

- إيجابي، أي إن جثة زكريا تطابقَتْ مع عينة صفية؟

كانت كلماتها القادمة كالصاعقة على محمود حينما قالت:

- لا إيجابي للاثنين أي تم تأكيد ارتباط صفية بالجثة التي تَوفيت منذ عدة شهور، وارتباط جثة خالد وجثة عفاف بالجثة مسلوخة الوجه التي كانت على الطاولة بمسرح الجريمة الأخيرة لشخص يدعى عامر، وبمعنى أبسط الجثة التي كانت في مسرح الجريمة الأولى والتي ماتت بالسم وطعنت خمس طعنات تعود لزكريا فعلًا أخي السيدة صفية، والجثة في مسرح الجريمة الثاني مسلوخة الوجه تعود إلى عامر أخي عفاف ووالد خالد، هذه النتيجة أكيدة وصعب أن يحدث أي خطأ بها.

***

جاب محمود المدينة بسيارته لا يعرف أين يذهب؟ مع من يتحدث؟ أراد أن يلعن الهواء الذي تنفَّسه من قمة غضبه، أسئلة كثيرة تنفجر في رأسه أنتجت صداعًا يهشم عظام رأسه من الداخل، عضلات جسده ثائرة من الغضب، حاول الاتصال بعمر المنياوي ملجئه ومنقذه الدائم ولكنه أخبره أنه خارج البلاد في مهمة عاجلة، وسوف يعود بعد يومين فاعتذر له ولم يخبره بسبب اتصاله به، وصل

لمنتصف الليل ولم يجد من يلجأ له، حتى قرر أن يذهب لدكتور شريف في نهاية المطاف، ولكن قبل أن يذهب له هاتفه يستأذنه فوجده مُرحبًا جدًّا بزيارته وأخبره أنه سوف يحضر له مشروبه الخاص حتى يأتي، وبالفعل وصل لمنزل الدكتور شريف واستقبله بالداخل بالترحاب، وذهب لكي يجلب مشروبه من المطبخ، وترك كلبه ما زال جالسًا بجوار مقعده الفارغ ينتظر عودته، لا يعرف محمود ما سبب الشعور بالجرأة الذي تملَّكه كي يقترب من دولسي محاولًا تحسُّسه، لا يعرف لماذا قرَّر الآن أن يكسر حاجز الخوف من الكلاب الذي اصطحبه طيلة حياته، كان دولسي ينظر له بعينيه البنيتين دون أن يفعل شيئًا، دنا محمود بيد مرتعشة من رأسه ولمسها فوجده لم يقُم بأي شيء له، أو مهاجمته بل على العكس مدَّ رأسه نحوه وكأنه يطلب منه أن يداعبه أكثر، بالفعل تجرأ محمود أكثر وبدأ في مداعبته بكلتا يديه، وأثناء ذلك دخل عليه الدكتور شريف حاملًا المشروب، وهو يعتذر منه على التأخير ليتفاجأ بأن محمود جالس متكئ على ركبته يداعب دولسي المنسجم معه، فقال له الدكتور شريف ساخرًا:

- أرى أنك ألفته كثيرًا، هل سوف تأخذ مني دولسي أم ماذا؟ لا أنا لا أستطيع أن أستغني عنه، إلا إذا كان بإذن من النيابة.

استطاعت تلك المزحة أن تدفع محمود للابتسام قليلًا، وربَّت على رأسه الكلب ونهض عائدًا لمقعده وتابعه وهو

يتبع شريف للخارج، ثم عاد شريف بدونه ليخبره أنه وقته الخاص الذي يقضيه خارج المنزل لقضاء حاجته، فيومئ محمود برأسه متفهمًا وهو ممسك مشروبه الخاص، ولكن بعد أول رشفة استغرب وشردَ لحظاتٍ مفكرًا ثم قال بنبرة حادة بعض الشيء:

- كيف عرفت بنوع المشروب الخاص الذي أفضِّله؟ أنا لا أذكر أني أخبرتك به من قبل.

أومأ شريف برأسه إيجابًا وهو يجيبه:

- نعم أنت لم تخبرني.

ارتفع حاجب محمود وهو يشعر بالريبة قليلًا، ثم سأله:

- إذًا كيف علمت به؟ ولماذا تبحث خلفي عن مثل هذه الأشياء؟

قال محمود كلماته تلك متحديًا ثم اعتدل في جلسته بشيء من النِديّة، وأشار له شريف وقال له مهدئًا:

- هل من الممكن أن تهدأ قليلًا وسوف أشرح لك كل شيء، أنا جئت إلى مصر حتى أدرس شخصية عامر بالأخص والذي جذب انتباهي وأنا أتابع القضية في أمريكا، وكل هذا بسبب جريمته الأولى فقط، ولكن بعد مرور أيام قليلة من وصولي حدثت الجريمة الثانية حتى يظهر عامر ويفجِّر مفاجأة أنه ما زال حيًا، فزادَ فضولي أضعافًا عن القضية، وعندما كنت بمكتب وكيل الوزارة

وعلمَ بشغفي نحو قضية عامر وطلبي لدراستها اقترح علي أن أكون استشاريًّا نفسيًا لفريق التحقيق وتم تكليفي بذلك بشكل رسمي، وبدأت في دراسة القضية عن قرب أكثر ولكني لاحظت في الجريمة الثانية ظهور شيء جديد بها، عامل قوي اعتمد عليه عامر، درسه بشكل جيد حتى يكون خصمًا له، وهذا الخصم هو أنت.

وهنا أشار إلى محمود وأردف مكررًا:

- هو أنت يا محمود باشا، وهذا ما جعلني أبدأ في جمع المعلومات عنك، ولماذا عامر اختارك أنت بالتحديد حتى يكون التحدي والخصومة معك.

شغلَتْ تلك الكلمات حيزًا من تفكير محمود الذي انتبه لحديث شريف وأردف بقوله:

- استلامك الرسالة المشفرة والموجّهة لك بالاسم يوم تنفيذ الحكم، لأسلوب الألغاز الجديد والمختلف عن الجريمة الأولى والذي تحوَّل من الاعتماد على الحروف والأرقام إلى الاعتماد على الأشكال الهندسية والخطوط، وفي نفس الوقت ملتزمة بقوانين ألغاز الجريمة الأولى، حتى يتطور هذا ونتفاجأ بثلاثة ألغاز بفكرة جديدة تعتمد على الصور، ليست مرتبطة بأي بند من القوانين التي وضعها عامر لصناعة الألغاز وحلها، غير أنها في محيط معلومات شخصيات محدودة، لديهم اهتمامات محددة، أو بمعنى أدق أنت فقط من تستطيع أن تحلها بسهولة وسرعة، ألم تشعر

بشيء غريب يا محمود باشا في كل هذا؟

فَاجأه هذا السؤال فتردَّد محمود في الإجابة ليكون ردُّه مشوشًا مجيبًا:

- صراحة لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة من قبل.

ابتسم شريف وأجابه:

- هذا لأنك ركزت مع ألاعيبه معك ولا تنسى الرسالة المباشرة بالخصومة معك بصورة ابنتك جنة على علبة السجائر واللغز الرابع الذي لم يحل بعد ولماذا لم يحل حتى الآن، وإلى أين سوف يأخذنا حله.

حاول أن يفهم ما يرمي له شريف فأجابه وهو يخرج مدوَّنتَه:

- أنا بالفعل فكرت فيه، وعلمت مفتاح حل اللغز وهو أن أرتِّب الحروف بترتيب معين حتى أُكوِّن جملة مُكوَّنة من ثلاث كلمات ويكون الفاصل بينهما السجارتان الفارغتان من الحروف.

في تلك اللحظة شرد محمود وكأنه يتذكر شيئًا معينًا ثم تصفح عددًا من صفحاتها سريعًا، استطاع أن يجذب انتباه شريف الذي يتابعه بكل فضول منتظرًا معرفة نتيجة ما يفعله، وبعد لحظات من تقلُّب وجه محمود حتى قال في النهاية:

- أسفل يد جثة عبد العظيم عثرت على سيجارة كتب

عليها «احذر عبد السادي» وعندما فكرت وركزت أكثر لاحظت أن عدد حروف تلك الجملة هو نفس عدد الحروف المكتوبة على السجائر في اللغز الرابع.

قاطعه شريف بهدوء قائلًا:

- وعندما يكتب عبارة مثل تلك على سجائر بداخل علبة عليها صورة ابنتك وبجانبها قداحة كُتبَ عليها الحرف الأول من اسمك الثنائي، فما معنى هذا من وجهة نظرك أنت يا حضرة الضابط.

شعر بالريبة من سؤاله ونهض وقال متذمرًا:

- تقصد أني أنا عبد السادي هذا.

- لا يقصد أنك أنت الذي قتل عامر والمُدبر لكل هذا.

كانت تلك جملة طارق الذي ظهر شاهراً سلاحه خارجًا من ظلام ممر الغرف، فلقد كان يتلصص من الداخل لكل ما قيل ينتظر الموعد المحدد للخروج، فبعد أن هاتفَ محمود الدكتور شريف مستأذنًا بالحضور، كان حينها يجلس معه طارق كعادته اليومية لدراسة القضية، ولذلك دفعه طارق إلى قبول طَلبه والترحيب به حتى تكون مصيدةً ليقبض عليه، وكانت الصدمة على وجه محمود ظاهرة بشكلٍ فج، يحاول أن يستوعب ما يحدث تائه في مكانه، حتى قال له طارق في جدية:

- لا تحاول أن تفعل شيئًا قد تندم عليه لاحقًا، أتمنى أن

تجلس حتى ننهي حديثنا قبل أن تذهب معي إلى المديرية.

رمقه محمود بنظرات غاضبة، وبعد لحظات رضخ لأمره وجلس بهدوء مكانه، وطارق وقف أمامه مشهراً السلاح أمام وجهه، ثم قال بكثير من الاشمئزاز والغضب:

- صراحة كانت طريقة حلك للألغاز مستفزة لي جدًّا، وكان يجب أن اشك فيك، ولذلك تعمدت أن أكون متساهلًا معك حتى أراك وأنت تفرح باللعبة التي كنت تظن أننا سوف نصدقها، وترغب أن نشير نحوك ونحن نهتف لك بأنك أذكى ضابط؛ الخارق الذي يستطيع حل الألغاز، ونكّرِر ما حدث معك في الجريمة قبل أن يفضحك عامر، وفي النهاية نجد أن الألغاز أصبحت بسيطة لك وتفك رموزها بسهولة وسرعة وكأنها ألغاز فلاش، وهذا يعني شيئًا من اثنين، إما أن يكون صانع الألغاز درَس شخصيتك بشكل دقيق.

اتسعت عين طارق وقال بحدة وهو يمد السلاح ليقترب من وجه محمود أكثر:

- أو أنت؟

فَاجأه محمود بابتسامة ساخرة وأجابه متسائلًا:

- وكيف سوف تثبت ذلك؟ أين الحقائق عما تقوله؟ الحقيقة يا طارق باشا، أنت مَن علمني ذلك.

دنا طارق منه أكثر وأخرج هاتفه وفتحه على صورة

لعدد من الصور التي تسند على سطح ما ولا تعلق، صور بإطارات مميزة ومرتبة بشكل جيد أعلى مكتبة كبيرة، وقرب شاشة هاتفه من محمود وقال بتحدٍّ:

- هذه هي الحقيقة، سامحني فلقد دخلت شقتك وأنت مشغول الفترة السابقة وصوّرت هذه الصورة لمكتبتك، سوف تلاحظ أنها بها مجموعة صور بإطار ثابت لمشاهير في عالم أدب الجريمة سواء كُتَّاب أو ممثلون، لكن الشاذ في هذه الصورة أن هناك ثلاثة إطارات فارغة بدون صور، والصدفة الغريبة في الأمر أن مقاسات الصور بهم تطابق مقاسات الصور التي وُجدت مع الجثث الثلاث كألغاز مشفرة.

أدخل طارق الهاتف في جيبه مرة أخرى، ثم انحنى ومدَّ يده بجيب قميص محمود وأخرج منه قلمَ محمود ورفعه أمام عينيه، وهو يبتسم ثم قال له وهو يلعب بالقلم أمام وجهه:

- هذا غير القلم الأسود الذي كُتب به الحروف على القداحة والسجائر بالعلبة، هو نفس نوع القلم الذي كُتبَت به الألغاز خلف الصور الثلاث، والذي أيضًا صدفةً هو نفس نوع قلم الذي في جيبك ومع كل قضية تشتري قلمًا ومدوَّنة جديدة أليس هذا كلامك يا حضرة الضابط، وهذا علمته بعد معاينة توقيعك بهذا القلم على ورقة تسليم جثة زكريا للدكتور حمزة بالمشرحة، لأن لم يكن لدي ورقة بخط يدك بهذا القلم، وأقرب شيء من الممكن أن أستند إليه في اتهامي لك هو توقيعك على اوراق رسمية وتم إثبات

أنه نفس نوع الحبر المستخدَم، أما عن نقطة اختلاف الخطوط فهذه من الممكن أن تكون بسبب استخدامك ليدك اليسرى كنوع من أنواع الخداع وتُبعد عنك أي أهتمام، هذه هي الحقائق يا محمود، لأني كما قلت أنت؛ أهم شيء عندي هي الحقيقة الملموسة.

كان محمود يسمع حديثه وهو يحدق في عينيه بغضب لم ينطق بكلمة لكنه استغل قربه ومنه وأمسك بكوب العصير الذي أمامه، وفاجأ طارق وضرب به رأسه وانفجرت الدماء منها، ثم دفعه ليقع أرضًا وركض مغادرًا، وفي طريقه دفع شريف الذي نهض محاولًا منعه، ولكنه فشل في ذلك ولملم نفسه وذهب نحو طارق الذي افترش الأرض بدمائه محاولًا إسعافه، وتفاجأ بِسماع نباح كلبه دولسي بشكلٍ غريب بالخارج، فتوقع أنه قد يكون كلبه استطاع أن يمنع محمود من الهرب، ذهب للخارج ليطمئن ولكن المفاجأة أنه لم يجد أيَّ أثر لكليهما أمام باب منزله.

***

يشعر محمود بالدوار الشديد والخمول يحاول أن يفتح عينه ولكن لم تسعفه جفونه المتراخية في تلبية طلبه، الصوت من حوله مشوَّش بشكلٍ كبير، حاول أن يحرك يده ولكنها لا تتحرك لا يعرف هل هي مُقيدة أم توقفت عن الحركة أم تم بترها، والثلاثة احتمالات تؤدي لنفس النتيجة التي هو فيها الآن، كرَّر محاولته مرات عدة ولكن

النتيجة سلبية في النهاية، ولذلك استسلم للخمول الذي يجرِّفه للدوار مرة الأخرى ولكن بأسلوب أعنف.

بعد فترة وهو في تلك الحالة لا يعلم كم مرَّ عليه من الوقت، ولكنه أنصت تلك المرة لصوت صراخ أحد وتأوهات عالية، فيحاول أن يجرب حظه تلك المرة أملًا أن تنجح محاولته، حاول فتح عينه تلك المرة فتستجيب في النهاية ليجد على يمينه شخصًا ممدَّدًا على فراش طبي يتلوَّى متألمًا، وظهر طبيب واقفًا مرتديًا معطفه الأبيض، يقف حاجزًا لرؤية هوية هذا الشخص، الذي يتألم بهذا الشكل وكشاف طبي كبير مثبَّت في الأعلى، صعب كثيرًا من محاولة محمود رؤية تفاصيل أكثر، يحاول أن يلتفت مستكشفًا المكان ويصل لنتيجة واحدة في النهاية أنه مقيد على فراش طبي هو الآخر في غرفة عمليات طبية، ولكنها ليست غرفة عمليات في مستشفى، هي مجرد غرفة مُعَدَّة لهذا الغرض فقط، وهنا سمع صوت الطبيب:

- يجب أن تأخذ المسكِّن أولًا حتى أستطيع أن أبدأ العمل، اهدأ قليلًا.

قال الطبيب تلك الجملة وهو يفرغ محتويات حقنة في جسد الشخص المصاب، ثم تحرك يمينًا فيكشف عن فخذ الشخص المصاب ليجد أنها في حالة سيئة جدًا، من الواضح أنه تعرض لهجوم دامي من حيوان مفترس، فلقد تدلي لحم فخده للخارج بشكلٍ مقزز، وبعد أن أنهى الطبيب حقنته تحرك بعيدًا نحو طاولة بجوار فراش

المصاب، ثم خرج من باب الغرفة ليكشف الستار عن هوية هذا المصاب، الذي ما أن رآه محمود حتى اتّسعت عينيه صدمة، غير مصدق ما يراه ونطق لسانه دون تفكير:

- زياد؟!

التفت له زياد وهو يعتدل في جلسته متألمًا ثم ابتسم بعض الشيء فاردًا ذراعيه وقال ساخرًا:

- ألم تفتقدني يا حضرة الضابط؟ هل نسيت عبد السادي؟ ألم تكن من سبَّني بها في مكتبك وبعدها طردتني منه؟

حاول محمود استيعاب ما يحدث؟ وكيف؟ ولماذا؟ أسئلة عدة اجتاحت رأسه دون إجابة ليجد زياد أردف قائلاً:

- أعلم أن عقلك الآن انفجر من كثرة الأسئلة، ولكن لا أصدِّق أنك نسيت سبَّكَ لي، كما تعمدت أن تنسى مساعدتي لك في الجريمة الأولى، أنا الذي حلَّ كل الألغاز وأنت أخذت الشهرة والتصفيق والنجاح لوحدك، وكأني لم أفعل أي شيء معك.

حاول أن يرد عليه محمود ولكنه نطق بأسلوب شِبه متلعثم بسبب الخمول المسيطر على عضلات جسده:

- هذا على أساس أنك كنت تساعد لوجه الله، كان كل هذا حتى تنفذ أوامر سيدك، فعلًا عبد رخيص، عبد لشخص مجنون، لم أخطئ عندما لقَّبتُك بعبد السادي.

رمقَه زياد بغضب ثم قال بحنق:

- ومن أجل هذه الكلمة قررت أن أقتل عامر، لأنني لست عبدًا لأحد، أنا سيد نفسي.

قال كلماته تلك صارخًا فيه ثم أردف بغضب:

- عندما رأيتك في المحكمة عند سماع النُطق بالحكم وحولك يصطف الإعلام والصحافة والهالة الكبيرة التي فزت لوحدك بها، قررت أن التحدي القادم يكون معك أنت فقط، راقبتك لفترة طويلة وجمعت عنك معلومات كثيرة، علمت عنك كل شيء، وعندما كلمني عامر بعد أن نفَّذ انتقامه في يحيى بلغني أن أخبر عبد العظيم حتى ينتقل إلى المرحلة الثانية من الخطة وهي كانت بسيطة جدًّا، هو أننا ننفذ نفس شكل الجريمة التي صُممت إلى عامر ولكن مع عبد العظيم وديجا وأنا، وفيها نوهم الجميع بجريمة قتل كاملة الأركان من جثة وتواجد في مسرح الجريمة وأدلة ويكون الدافع لقتلنا عبارة عن ملفات نعترف فيها أننا آذينا هؤلاء الأشخاص ولذلك هُم دبَّروا تلك الجريمة لكي ينتقموا منا، وبذلك نُثبِت عليهم تهمة القتل ويعدمون ظلم ويدخلون الجنة.

اعتدل جالسًا بكثير من الألم، ولكنه حاول أن يظهر ابتسامته وأردف بكثير من الثقة:

- وهذه هي نظرية عامر وتسمى «الاعتذار السادي»، وفي نفس الوقت نظلّ على قيد الحياة، وكما استعان عامر

بجثة زكريا كشبيه له، يجب أن نفعل مثله، وهذه صدفة صعب أن نتكرر بسهولة لنا نحن الثلاثة، وهذا كان دور عبد العظيم في المرحلة الثانية كما كلَّفه عامر بها أن يحاول أن يصل لثلاث جثث بهم نسبة تشابه كبيرة بيننا، وبسبب صعوبة تحقيق هذا في فترة قصيرة اقترح عبد العظيم أننا نسلخ الوجه من الجثث ونتخلص منها، لكن ديجا ضافت على فكرته أنها تستطيع أن تُقرِّب الوجوه المسلوخة من ملامحنا بقدر الإمكان، وذلك باستخدام مستحضرات التجميل والشد والقص والتعديل في الوجوه المسلوخة، ولكن اشترطت أن نتوافق الجثث معنا بنسبة لا تقل عن 70% من ملامحنا على الأقل، وعبد العظيم أخبرها أن هذا حلّ رائع ويعطي فرصة أكبر في البحث عن جثث شبيه لنا.

عبس بملامح وجه ثم أردف:

- ولأن تنفيذ هذا الأمر به مقدار من الصعوبة، كان هذا السبب في تأخير المرحلة الثانية ولكن في النهاية استطاع عبد العظيم أن يحصل على جثث متوافقة بنسبة أكبر من ٧٠٪، وبالأخص جثتي المزيفة والتي كانت قريبة من ملامحي بنسبة ٨٥٪ وهذا لأن ملامحي بسيطة ولا يوجد بها شيءٌ مميزٌ، فرحنا كثيرة ولكن لم تدُم السعادة لنا وهذا بعد أن دخل علي الملاك شريك عامر واعترف لي بخطة عامر الشيطانية، وبنيته المُبيَّتة لنا، أنه سوف يقتلنا ويستخدم جثثنا الثلاث الحقيقية في تنفيذ

الجريمة بدلًا من الجثث البديلة الشبيهة، وهذا هو التطبيق الفعلي لنظرية الاعتذار السادي، والنظرية عند عامر كانت مقسَّمة لمرحلتين، أنه مخصص في المرحلة الأولى الاعتذار إلى الأشخاص الذي آذاهم في حياته، والمرحلة الثانية وهي الاعتذار للأشخاص الذين ساعدوه على تنفيذ المرحلة الأولى لأنه لا يثق في أحد، وكان يرى أن مكاننا ليس معه في الدنيا؛ لأن الدنيا لا تصلح إلا لشخص واحد وهو عامر.

دخل الملاك بمعطفه الأبيض والكمامة الطبية والقفازات الطبية، أومأ لمحمود محييًا إياه، ثم ذهب لتحضير حقنة طبية بجانب فراش زياد الذي أردف حديثه بنبرة حادة عما سبق متهجمًا:

- هو كان يظن أنه أذكى عقل على الكون، برغم أنه استغلني واستغل ذكائي في نقطة الألغاز، والتي منذ نعومة أظافري وأنا أعشقها ومجنون بها كما أنت مهووس بالقصص البوليسية، ومن أجل ذلك أسست صفحة على موقع الفيس بوك باسم ألغاز وأرقام، أنا الأدمن الحقيقي والمؤسس يا محمود.

قال تلك الكلمات بغرور وثقة رغم الألم الذي يشعر به ثم أردف:

- والبث المباشر من على صفحتي كانت فكرتي أنا، حتى نعطي أساسًا لألغاز الجريمة، وحتى نضمن أيضًا انتشار خبر الجريمة وفيديو البث الشهير، ولكن عامر خائن ليس له

عزيز أو غالٍ سوى نفسه.

وهنا رفع يديه مشيرًا نحو الملاك الذي بدأ في وضع القطن والشاش الطبي على الطاولة تمهيدًا لعلاجه، ثم أردف:

- ولذلك اتفقت أنا والملاك أن نقلب خطته عليه، أقنعت عبد العظيم وديجا أن عامر قرَّر الغدر بتواصله مع قمر ونادية، ونصحتهم أن يضيفوا في الملف الخاص بهم كيف بدأت علاقتهم مع عامر، حتى يكون كبطاقة ضغطٍ على عامر في أي وقت، وطلب منَّا عامر أن نتصل بالثلاث نساء: عبير وقمر ونادية حت نطلب مقابلتهم بشكل عاجل وإلا سوف يتم فضحهم إذا رفضوا، ويوم تنفيذ الخطة وصل بالفعل الثلاث نساء إلى منزل ملاك أو الموقع المُرسَل لهم من قبل، وجاء دوري أنا والملاك في تَخديرهم ونَقلهم إلى سيارة، وجاء دور الملاك الأهم وهو التأكد من تخديرهم، وذهبت أنا واستلمت من ديجا الوجوه المسلوخة بعد التعديل، يمر الوقت قليلًا وتأتي اللحظة على حسب خطة عامر النذل مع الملاك أن يحقن كلًا من ديجا وعبد العظيم وأنا بالسُّم بعد أن خدرنا، أثناء تسجيل عامر للفيديو الثاني لكن تفاجأ بِدخولي مع الملاك في نهاية الفيديو.

اتسعت عيناه سعادة وقال بنشوة ساخرًا:

- يمكنك أن تقول إن الصدمة قتلته قبل أن أقتله بيدي،

لن تتخيل كم كانت السعادة والنشوة لحظة لن أنساها وأنا أستمتع بنظرات موت عامر الخائن الخسيس.

رمقَ محمود بغضب وقال بحنق:

- رأيت في عامر صورة عمي المُستغل المستبِد المغرور، وهو يتعذب بالسم الذي حقنته في رقبته، وضِفت على الخطة الموضوعة جثته في الجريمة، هذا غير لصق الوجوه المسلوخة على النساء الثلاث، هذا بعد أن أقنعني الملاك بالتخلص من عبد العظيم وديجا واستخدام جثثهم بدلًا من الجثث الشبيه لخداع الشرطة في التحقيقات، وعدلت فكرة الألغاز وطوَّرتها خصيصًا حتى تتناسب مع مقدار ذكائك ومعرفتك يا حضرة الضابط العاشق للروايات البوليسية وعالم الجريمة.

قال تلك الكلمات ساخرًا وهو فاردٌ يده نحو محمود وانحنى برأسه تواضعًا، ثم أردف بثقة:

- بالطبع وجودي في مكتبك فترة طويلة كان له الفضل أن ألاحظ نوع القلم الذي تستخدمه في نمطية عملك، هذا غير زيارتي لشقتك أسفًا على سرقة اشياء شخصية يمكن أن أبني بها ألغازًا تكون سهلة على معاليك، تكون رسالة واضحة ومباشرة لك أنك سوف تتورط في الجريمة لأني استخدمت الصور التي وضعتها بيدك فوق مكتبتك، لا أظن أنك صادفت في حياتك تحديًا نظيفًا بهذا الشكل يا حضرة الضابط.

لم يستطع محمود أن يظل صامتًا كل هذا فردَّ عليه بغضب متحاملًا على نفسه ألم الصداع الرهيب وقال بنبرة ملؤها الكراهية:

- أنا بالفعل لاحظت أمر الصور هذا من أول لغز بصورة أجاثا كريستي وتأكدت من ذلك عندما عُدت إلى منزلي واكتشفت اختفاءهم، وكنت منتظرًا كيف سوف تستخدمهم في الألغاز التالية، وبالطبع لا أستطيع أن أخبر أحدًا بذلك، لأنها سوف تكون لطارق أباظة اداة إثبات على جريمة لم أفعلها، ولن يبحث عن دليل براءتي، ولذلك كنت أبحث عن مَن الذي يسعى لإثبات التهمة عليَّ، وهذا جعلني أستمر في التحقيق والبحث في القضية من البداية ولكني تفاجأت بأن طارق أغلق القضية، قبل أن أثبت براءتي.

رسم زياد بوجهه ملامح الحزن المزيف وقال مستاء:

- يا له من قدر غريب أيها الضابط، أصبحت للأسف الآن متهمًا، صعب أن تصبح دائمًا بطل القصة، وأتمنى أن تتركني أكمل إنجازات البطل الحقيقي، أنا البطل الحقيقي.

نظرَ زياد له مشمئزًا ثم أردف بثقة:

- استخدمت جثتي المزيفة من الجثث التي جلبها عبد العظيم حتى أنفِّذ خطتي في الجريمة، ولكن جثة عبد العظيم وديجا هم جثتهم الحقيقية، وأنا من سلخَ الوجوه بمساعدة الملاك حتى لا يظهر أن الجريمة تمت على يدِ

متخصّصٍ، وهل هناك ضابط قد درَس تشريح من قبل؟ بالتأكيد لا.

قال تلك الكلمات وظلَّ يضحك ساخرًا وتعالت ضحكاته وبدأ ينتفض من مكانه، وفجأة توقف عن حركة وتدلّي جسده جانبًا، وهنا اقترب منه الملاك بهدوء ووضع يده على رقبته لقياس النبض، ثم استدار نحو محمود وقال بنبرة هادئة وثابتة مشيرًا بيديه اعتذارًا:

- سامحني، أعلم أنه يتحدث كثيرًا، وصراحة تملَّك الصداع رأسي وأظن أنه أصابك أنت الآخر، لا تقلق لن تتذكر شيئًا من هذا الصداع، هذا لأني حقنتك بمخدر خاص مستخلص من احتراق نوع معين من أنواع العقارب، سوف تشعر معه بصداع الرأس وبعض الهلاوس التي سوف تستمر معك لثلاثة أيام مع فقدان ذاكرة قصير سوف يزول أثره تدريجيًّا وتعود إلى حياتك مرة ثانية لكي تغلق هذه القضية يا بطل.

لم يستوعب محمود ما قيل له فأشار نحو زياد، ثم قال متسائلًا في تردُّد وشرود وصدمة:

- أغلق قضية؟ زياد؟

أشار له الملاك بيديه بألا يكترث وأكمل:

- لا تقلق عليه فلقد مات، كان يظن أني أعطيه مُسكن حتى أعالجه من عضة الكلب الذي خرج خلفك ليدافع عنك بعد أن حَقنك زياد بالمخدر، قبل أن يضعك في

حقيبة العربية تفاجأ بكلب يهاجمه وأستطاع أن يعض نخذه، ولم يتركه إلا بعد حقنت الكلب بمخدر وخارت قواه أرضًا وأخرجت نخذه من بين أنيابه وتحركنا سريعًا.

ثم أشار بسبابته بالنفي، وهو يتوجه نحو فراش زياد وجلس بجواره في هدوء وقال مطمئنًا:

- لا اطمئن أنا لا أقتل حيوانًا قط، ولكن من الممكن أن أقتل البشر الحيوانات بقلبٍ راضٍ.

تنهَّد وهو ينظر لزياد، ثم ضغط على جرح قدمه الذي ما زال يتدفق منه الدم ليتساقط على الأرض، وقال في ثقة:

- صراحةَ كان يجب أن أتخلص منه، أنا لا أحب أن أتعامل مع الأذكياء؛ لأن الفرق بين الإنسان والحيوان هو العقل، وعندما استخدم الإنسان عقله أصبح مدمرًا ودمويًّا أكثر من الحيوان، أكبر خطر يهدد الكون هو الإنسان.

قفز من جلسته وتقدَّم نحو محمود وهو يبتسم:

- وأنت تستحق أن تعيش عنه، لأنك غبي، لقد أعطيتك إشاراتٍ عديدة حتى تفهم أن زياد مَن يدير الأمر دون أن يشعر هو بذلك، لكن كنت غبيًّا.

رفع يده متعجبًا بيأس، ثم أردف وهو يعد على أصابعه:

- لغز علبة السجائر وكلمة «عبد السادي» التي أقنعت بها زياد كي تكون كرد كرامة له وتحدٍ واضح أن مع من

سبه هذه السُبة لكن كنت غبيًّا، ضحيت بجثة زكريا رغم احتياجي لها في عملي ووضعتها لك في شقة عامر، وكتبت لك توقيع عامر المشفر حتى أشير لك أنك يجب أن تعود مرة أخرى للألغاز ولكنك كنت غبيًّا، وعندما طفح مني الكيل كتبت حل لغز السجائر على سيجارة ووضعتها أسفل الصورة بجوارة جثة عبد العظيم دون أن يشعر زياد لكنك كنت غبيًّا.

وهنا دنا من محمود الذي حاول أن يرد عليه بأي كلمة ولكن كان لسانه متراخيًا للغاية سواء من المخدر أو الصدمة أو كليهما، فاضطر أن يكمل إنصاته المشوَّش لحديث الملاك الذي أردف:

- وشخصية مثلك يجب أن تعيش، ولذلك أقنعت زياد أن نخطفك حتى يحضرك هنا وينتقم لنفسه منك، وبدلًا من قَتلك بحقنة سامة أعطيتك مخدر العقارب، وأعطيته هو الحقنة السامة بدلًا من المسكن، أما عن أمر اتهامك الذي سعى خلفه زياد في خطته فلا تقلق منه بتاتًا، أنا سوف أضعك أنت وزيادة في سيارة وأترككم على الطريق الصحراوي، وهو يمسك في يده الحقنة كأنه أقدم على الانتحار، لأن تأثير العضة يمكن أن تجعله ينزف متألمًا حتى الموت، وحينها سوف يظن الجميع أنه اختار أن ينتحر بدلًا من أن يقبض عليه لأنه حتى لا يستطيع أن يقود السيارة بهذا الجرح الغائر والألم الشديد.

ذهب نحو الباب وأمسك بحقيبة كانت واقعة على

الأرض بجانبه، وأشار لها:

- ومعه سوف تجد هذه الحقيبة بها حاسبه الآلي المحمول والذي به ملفات فيديو للقطات مسجلة له وهو يضع الجثث في الأستوديو المزيف، وهو يرسم الألغاز على جثة عامر، هذا غير فيديو مهم جدًا وهو الجزء المحذوف من فيديو عامر الثاني وهو يدخل عليه ويَحقنه بالسم في رقبته، أي كل شيء يدين زياد ويثبت بَراءتك سوف تجدها هنا.

صمت قليلًا وشرد لحظات ثم أردف قائلًا بعد أن تنهد حزنًا:

- رغم أني كنت أحب عامر جدًّا، لكن كان يجب أن أساعد زياد في التخلص منه، عامر استطاع أن يفعل كلَّ هذا وسَبّب حجم كبير من الأذى لكل من تعامل معه طيلة حياته، ورغم هذا لم يقتل بيديه أحدًا، عامر رغم جبروته وذكائه المخيف إلا أنه لم يقتل أحدًا بيديه، وهذا أنا رأيته في عينيه وهو يفكر في طعن زكريا كان خائفًا ومترددًا، عامر لم يقتل بدم بارد مثل عبد العظيم، أو يستخدم آلات حادة في التعذيب مثل زكريا، عامر أراد أن يثبت نظريته ويعلن من خلالها مرضه النفسي ليس أكثر.

نظر إلى محمود الغاضب وكأنه ردَّ متهكمًا على قوله في صمته المريض فأجابه بثقة وانفعال:

- نعم أعرف أنه مريض نفسي وخطير جدًّا أيضًا، ولكنه لم يخلق الآفة لهذا المرض، المرض موجود ومنتشر

لدي العديد من الناس حولنا، المجتمع كله أصبح ساديًا، الجميع يستغل أي فرصة يشعر فيها بالقوة أو أنه يمتلك درجة أعلى اجتماعيًا أو ماديًا أو سُلطة حتى لو كانت لحظية وحينها يمارس السادية ويستمتع بتعذيب الذي أمامه، حتى لو كانت مدة هذه المتعة لحظات قليلة.

أومأ برأسه مؤكدًا وقال بثقة:

- عامر سمير أكبر سادي قد تعرفه حقًّا، ولكنه ليس السادي الوحيد، انظر حولك سوف تجد عامر في وجوه ناس كثيرة، عامر أراد أن يعتذر وكان عنده الشجاعة أن يعترف بخطئه بكل صدق رغم فظاعة وبشاعة أفعاله، لكنه كان شجاعًا أن يعترف بها ويعلن اعتذاره لكل شخص آذاه عن قصد لأنه واعٍ لمرضه جيدًا، وأنا أتمنى أن يصبح المجتمع مثل عامر يعلم عيوبه ومعترف بها حتى نستطيع أن نقتل هذا المرض، عامر سمير ليس قاتلًا حضرة الضابط، عامر سمير مريض، لأن المجتمع هو القاتل الحقيقي.

نظر إلى محمود الذي غاب عن الوعي أمامه غارقًا في بحر من الهلاوس وهو يتحدث فابتسم وخرجَ من الغرفة، وبعد فترة استيقظ محمود ليجد نفسه راقدًا على فراشٍ طبيٍّ، بداخل إحدى الغرف الطبية وبجواره تجلس السيدة صفية تربت على يديه وتبتسم بوجهها البشوش وقالت بحُنوٍّ:

- الحمد لله على سلامتك، قلقتني عليك يا ولدي، عندما غابت مكالمتك اليومية لي المعتادة منذ لقائنا في مكتبك

أو جئت للفندق الصغير الذي أسكنتني فيه كما بلغتني، حينها شعرت بالقلق عليك صراحةً وأزعجت الجميع في السؤال عنك، حتى أخبرني الصول قنديل الله يعمر بيته بالخير وأخبرني بأن تم نقلك إلى المستشفى بعد أن عثروا على من خطفك ربنا يجازيه هو الآن بين يدي الخالق، وقد اصطدم بسيارته في عامود إنارة على الطريق فرعي من الطريق الصحراوي، وتم نقلك في النهاية إلى هنا وأنت من يومها في غيبوبة، المهم أن أطمئن عليك كيف حالك الآن؟

نظر لها محمود مبتسمًا وأومأ برأسه مجيبًا وأجابها:

- الحمد لله أنا أفضل الآن يا ست الكل.

نهضت من جلستها وقبَّلت رأسه وقالت بنبرة يملؤها الحب:

- طالما أنت بخير وقلبي وعيني مطمئنان عليك إذًا يمكنني أن أرحل الآن، أنا لم أرغب في السفر بجثة زكريا كي أَدفنها إلا بعد أن أطمئن عليك، احترس على نفسك يا ولدي، وتذكَّر ابنتك وادعُ لها، لأن المتوفي مهما غِبت عنه لن يغضب منك، لأن لم يبقَ في قلبه مكانًا لغضبه، المهم عنده أن تتذكره، لا تعرف كم يفرحه بذلك لأنه يشعر أنه ما زال حيًّا لأن ذكراه باقية في نفوس الأحياء.

أمسكَ يدها وقبَّلها برفقٍ وحنوٍّ، وربتت هي بيديها الأخرى على رأسه، ثم غادرت وتركته وحيدًا، وبعد عدة

ساعات وهو هذا الحال دخل عليه عمر المنياوي راكضًا فرحًا وهو يحضنه لكي يطمئن عليه، ثم جلس بجواره وقال والسعادة تملأ ملامحه:

- أول ما حدثتني المستشفى وعلمت أنك أفقت جئت بسرعة، كيف حالك الآن؟ أخبرني؟

- أنا الحمد لله بخير، أشعر فقط ببعض الدوار البسيط وصداع الرأس وبعض الهلاوس الخفيفة.

ربّت محمود على يده وردّ مطمئنًا:

- لا تقلق، الدكتور طمأنني قبل أن أدخل عليك، وقال غدًا سوف يأذن لك بالخروج من المستشفى، والصداع وبعض الهلاوس الخفيفة سوف تستمر معك أيامًا قليلة ثم تختفي، وهذا أكيد بسبب الحادثة.

ضاقت عينا محمود ثم قال متسائلًا:

- السيدة صفية قالت شيئًا مثل هذا لكني لم أكن بتركيز جيد حتى أسألها عنها.

- أنت لا تتذكر شيئًا منها حقًّا؟

قال عمر سؤاله هذا منتظراً رد محمود الذي شرد قليلًا ثم ردَّ بعدم تأكد:

- ما أتذكره أني خرجت من منزل الدكتور شريف لا أرى أمامي من شدة غضبي، أحاول أن أهرب من طارق الذي يرغب في إدانتي بقضية عامر، ما إن خرجت إلى

الشارع وفوجئت بمن جاء لي من الخلف وغرس حقنة في رقبتي حاولت أن أقاوم ولكن للأسف غبت عن الوعي، ولم أشعر بشيء حتى أفقت منذ ساعات، ولكن كانت هناك ذكريات مشوشة لهلاوس غريبة راودتني عن شخص تحدث معي لكن لا أستطيع أن أميز شيئًا فيها أو أتذكرها.

أجابه عمر بضيق قائلًا:

- بالتأكيد هذا زياد.

- زياد؟ هل ما زال حيًّا؟

قال محمود تلك الكلمات ببطءٍ مصدومًا، وردَّ عمر عليه وأومأ برأسه مجيبًا:

- نعم كان حيًا ويخدعنا مثل عامر بموته المزيف، ولكن تم فضحه وكشف أمره بشيءٍ لم يكن في حسبانه، كلب الدكتور شريف.

- دولسي؟!

أومأ عمر برأسه عليه مجيبًا وقال مبتسمًا:

- زياد كان ينوي خطفك، ولكن كلب الدكتور شريف حاول أن ينقذك منه، فعضه عضة قوية أو يمكن أن تقول إنه نهش من لحم قدمه، مما اضطر زياد أن يَحقنه بباقي الحقنة التي حَقنك بها حتى سقط الكلب أرضًا، ووضعك زياد في السيارة وفرَّ بك بعيدًا، وكانت لعضة الكلب الفضل في التأثير القوي على زياد وأعصابه

التي لم يتمالكها أثناء قيادته بسبب شدة الألم والنزيف الكبير مما جعل سياقته غير متزنة واصطدم بعمود إنارة بطريق فرعي على الطريق الصحراوي، وننتظر الآن نتيجة المعمل الجنائي ليحددوا سبب الوفاة الحقيقي هل هو بسبب عضة الكلب والنزيف المستمر أم بسبب الحقنة التي كانت في يده؟

انفرجت شفتا عمر واتسعت عيناه وأكمل:

- وعثروا على دليل براءتك أيضًا.

- كيف؟

أثارت كلمات عمر فضولَ محمود فقال كلماته تلك وهو يحاول أن يعتدل في جلسته مقتربًا من عمر الذي قال بحماس:

- عثروا على حقيبة الحاسب الآلي الذي يعود لزياد بالسيارة، وكان عليه كل تصميمات الألغاز وصور شقة عامر وأماكن الألغاز بها، ومقطع فيديو له وهو يقتل عامر، ومقاطع فيديوهات أخرى وهو يعد مسرح الجريمة، وبعد أن قام طارق بتقديم الأدلة لاتهامك وجد أن أدلة زياد أقوى لاتهامه بدلًا عنك، ولذلك قدَّمها جميعها للنيابة التي أثبتت براءتك وسقط اتهامه لك بشكل نهائي، ولا يبقى سوى أيام قليلة وتغلق تلك القضية للأبد وتعود إلى عملك مرة أخرى يا حضرة الضابط.

شردَ محمود قليلًا وهو يحاول أن يستوعب ما سمعه، ثم

طرق في ذهنه سواء ضروري لم يعرف إجابته بعد، فقال لمحمود مستفهمًا:

- ودولسي ما حدث له؟

- الحمد لله بحالٍ جيد لا تقلق، عندما خرج الدكتور شريف للخارج وجدَ كلبه ملقًى على الرصيف واستطاع أن يذهب به لأقرب طبيب بيطري وقام بإسعافه، ولكنه تأخر في الخروج وكان أمرًا صعبًا عليه بسبب مشكلة نظره، فخرج متعكزًا يتحسس خطواته ببطء فتأخر في إنقاذك ولم يرَ ما حدث لك.

نهض عمر وقال له في هدوء مبتسمًا:

- استغل هذه الفترة وأرِح جسدك وعقلك قليلًا أنت تحتاج إلى هذا بشدة يا محمود؛ لأن هذه القضية أنهكتك فعلًا وأصبحت إحدى ضحاياها، يجب أن تعود يا محمود كما كنت؛ المحقق محمود صقر.

***

على جانب آخر من البلدة وقف الملاك وهو يحمل صندوق يستخدم لحفظ الأشياء التي تحتاج لدرجة حرارة منخفضة، وقف ممسكًا بها أمام خزانة كبيرة بشاشة رقمية كبيرة، وضع الصندوق أرضًا وارتدى قفازًا طبيًّا ثم انحنى ليفتح الصندوق بحرصٍ شديد، ما إن فتحه حتى تصاعدت الأبخرة الباردة منه، وخرج منه وجه مسلوخ بعناية ارتداه على وجهه، ثم اقترب من الشاشة الإلكترونية للخزانة

والتي تقوم بمسح الوجه، وأنارت إطارات الخزانة باللون الأخضر معلنة عن تطابُق بصمة الوجه، وفي تلك اللحظة ظهر خلفه قدري يحمل عدة حقائب ونظر ببلاهة لعظمة الخزانة وحجمها الضخم، وبجواره وقفت سوسن تنظر بإعجاب مندهشة لما تراه، ودنت من الملاك وقبضت على ذراعه فرحًا وأراحت بشفتيها على خد القناع الذي يرتديه، وقبَّلته قُبلة حارة من فرط السعادة وهي تقفز، فنظر لها الملاك مبتسمًا ومدَّ يده وأمسك مقبض الخزانة، وفتحها ليجدها تنير أمامه لتكشف عن عدة صناديق بداخلها، فنزع من على وجهه القناع ونظر له وهو بين يديه قائلًا بسعادة:

- كان يجب أن أحتفظ بوجهك يا عامر يا صديقي، وكان يجب أن أسلخه أنا بيدي، وتضيع ثروة عملك عشرة ملايين دولار هباءً، هم بالفعل نقصوا عدة رزم قليلة ضاعوا في عملية يحيى قبل أن تشعل فيه النار، لكن لا تقلق، ثروتك لن تذهب لشخص غريب، سوف تذهب لأخيك الملاك.

- أنا لا تسعني الفرحة يا حبيبي.

قالت سوسن تلك الكلمات وهي تحتضنه من الخلف وتقبِّل كتفه، وتنظر بذهول للصناديق غير مصدقة ما تراه، ولكنها تفاجأت بيدٍ أتت من خلفها بمشرط طبي لتذبح رقبة الملاك ورقبتها في حركة واحدة وبشكل سريع، جعلتهما يسقطان فورًا فوق بعضهما أرضًا، وهما ينتفضان

بجسدهما المرتعش بسبب تدفق الدم الغزير من عُنقهما، ومن فوقهما عبرَ قدري وهو يضع المشرط الملوث بدِمائهما في جيبه، ثم دخل الخزانة ليفتح الصناديق وينقل الأموال التي بها في الحقائب التي معه، ما إن فتح الصناديق حتى تفاجأ أنها فارغة جميعها من الداخل، لا تحتوى على أي عملة ورقية أو أي شيء خاوية عن آخرها، وكُتبَ في قاع كل صندوق مِنهم تلك الجملة:

«تعلمت من كوني نذلًا في تلك الحياة ألا أثق بأحد

توقيع/ عامر سمير المندَراوي»

***

«قاتلي العزيز، لا تتأخر عن موعدك فأنا لا أطيق الانتظار».

تمت بحمد الله

17 أغسطس 2023

محمد حياه

«للتواصل مع الكاتب من خلال حسابه الشخصي على موقع الفيس بوك

Facebook: mohamedhayah

أو على حسابه الشخصي على موقع جود ريدز

Goodreads: Mohamed_Hayah